



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم علوم القرآن و الحديث

تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي

في تفسيره "مفاتيح الغيب"

— دراسة تحليلية —

|| رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ||

إعداد الطالبة:

أسماء زعيتر

المشرف: الأستاذ الدكتور:

نصار نصار

العام الدراسي: ٢٠١٥ - ٢٠١٦ م



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم علوم القرآن و الحديث

تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي

في تفسيره "مفاتيح الغيب"

— دراسة تحليلية —

|| رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ||

إعداد الطالبة:

أسماء زعيتر

المشرف: الأستاذ الدكتور:

نصار نصار

العام الدراسي: ٢٠١٥ - ٢٠١٦ م

تمت مناقشة هذه الرسالة صباح يوم الاثنين: ٢٥ / ٤ / ٢٠١٦ م من قِبَل لجنة الحكم المكوّنة من السادة الأساتذة:

أ.د. محمد الشرجي:

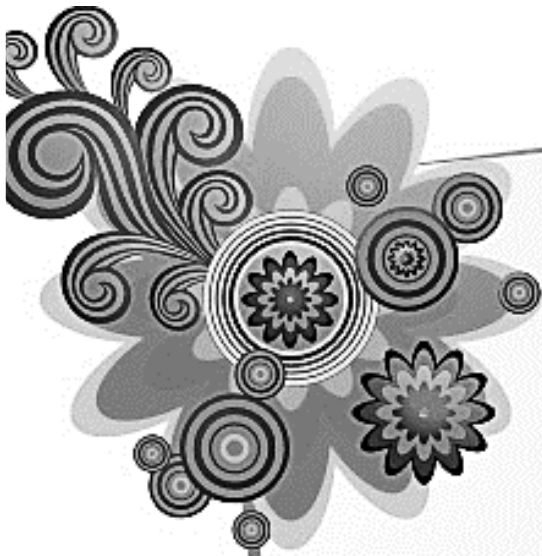
أ.د. نصار نصار :

د. عبد العزيز حاجي:

وحصلت على تقدير جيّد جداً.



الإهداء:



إلى والديَّ الكريمين

وكلُّ من كان له يدٌ في تعليمي..

شكر وتقدير

أُتقدّر بالشكر والتقدير الأستاذي الكريمين اللذين
أشرفا علي هذا البحث الدكتور عبد الله المحوري،
والأستاذ الدكتور نصار نصار حفظهما الله لما بذلا
من جهود في تصويب أخطاء هذا البحث

والأستاذ الدكتور محمد التريجي حفظه الله
لما كان له من جهود في اختيار هذا الموضوع ورعايته له.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، مُنزل القرآن والذكر الحكيم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

ويبقى كتاب الله أوثق شافعٍ، وخير جليسٍ، وأي علم أشرف من علم متعلّق به؟!

فحريّ بالأوقات أن تُستغرق في فهمه، وبالأعمار أن تُبذل في خدمته، وبالجهود أن تُستفْرغ لاستخراج دُرّهِ وإبراز معانيه.

وهذا ما فعله علماء الإسلام الذين قيَّضهم الله في كلِّ زمان، فعكفوا عليه خادمين له، وباذلين أعمارهم وأنفسهم في سبيل الوصول إلى جوهره ولُبابه، فلم يَتَوَانَوْا عن خوض كلِّ بحرٍ من بحوره بحثاً عن أصداف تحوي جواهر معانيه، فكان نتاج أعمالهم عقوداً من جواهر المعاني.. فَمَنْ حازها ظَفَرَ بحظٍّ وافرٍ من معاني القرآن الكريم..

ولمّا كان للعلماء جهودٌ في كلِّ عصرٍ من العصور لمحاولةِ استخلاص المعاني وتثوير القرآن الكريم، وكان العلم ميراثاً من السابقين إلى اللاحقين، أصبح لزاماً على أهل كلِّ عصرٍ أن يدرسوا جهودَ العلماء السابقين؛ للاستفادة من علومهم أوّلاً، ولمعرفة طريقتهم في استخراج المعاني، والاستنباط والاستدلال، بُغْيَةِ الإفادة من منهجهم في تفسير القرآن الكريم.

وإنّ كتاب الله تعالى، يصدّق بعضه بعضاً، ويفسّر بعضه بعضاً، ولذلك لجأ المفسّرون إلى تفسير القرآن بالقرآن، تحقيقاً لذلك، ومن كتب التفسير التي عُنيَتْ بتفسير القرآن بالقرآن، كتاب "مفاتيح الغيب" أو "التفسير الكبير"، للإمام الرازي، إلّا أنّ الأنظار لم تُلَفّت إلى هذا الجانب منه. ولذلك اخترتُ بحثي بعنوان:

تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب"

دراسة تحليلية

وما كان في هذا البحث من توفيقٍ فهو من فضل الله تعالى ذي الطَّوْلِ والنَّعمِ ، وما كان فيه من قصورٍ أو خللٍ فهو من نفسي القاصرة ، ومن الشيطان الرجيم المتربّص ببني آدم .. والله من وراء القصد...

أهمية البحث:

- (١) أنه يبحث في أصل مهم من أصول التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن.
- (٢) كونه في تفسير له مزايا كثيرة بين كتب المتقدمين والمتأخرين في التفسير.
- (٣) الاطلاع على جهد إمام مجتهد متكلم أصولي فقيه في هذا المجال، ومنهجه، والأسس التي اعتمد عليها.
- (٤) بيان أنواع تفسير القرآن بالقرآن.
- (٥) معرفة مدى ارتباط تفسير القرآن بالقرآن بأصول الفقه.

سبب اختيار البحث:

تميّز تفسير الإمام الرازي في جانب تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الجانب من تفسيره لم يسبق أن التفت أحد من قبل إليه بدراسة متخصصة؛ لما شاع عن التفسير من أنه مختص بعلم الكلام والعقائد والفقه، ولأنه مصنف تحت قائمة كتب التفسير بالرأي، فقد جرت العادة أن يُدرّس تفسير القرآن بالقرآن في كتب الرواية "أو المأثور". ولم أجد في الدراسات المعاصرة التي اطلعتُ عليها من ربط بين تفسير القرآن وعلم أصول الفقه، فما اطلعتُ عليه اكتفي فيه بدراسة تفسير القرآن بالقرآن في كتب التفسير فقط.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن هذه الأسئلة:

- ١- ما مدى إتمام الإمام الرازي لتفسيره؟
- ٢- ما هو دور النقل والاجتهاد في تفسير القرآن بالقرآن؟
- ٣- ما هي طريقة الإمام الرازي في تفسير القرآن بالقرآن؟
- ٤- ما أسباب اعتماد الإمام الرازي على تفسير القرآن بالقرآن؟

٥ - على أيّ أُسسٍ اعتمد الإمام الرازي في تفسير القرآن بالقرآن؟

٦ - ما هي أنواع تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي؟

منهج البحث:

١ / المنهج الاستقرائي: في قراءة التفسير كاملاً، واستخلاص أمثلة الدراسة، والألفاظ المستخدمة في تفسير القرآن بالقرآن.

٢ / المنهج التحليلي: دراسة وتحليل الأمثلة المستخلصة من التفسير.

٣ / المنهج الاستنتاجي: استنتاج طريقة الإمام الرازي في تفسير القرآن بالقرآن، والأسس، والأنواع.

٤ / المنهج النقلي: فيما يتعلق بترجمة الإمام الرازي وغيره من التراجم، وفي أدلة حجّة تفسير القرآن بالقرآن.

٥ / المنهج الوصفي: في دراسة حالة العصر، وفي دراسة منهج الإمام الرازي في تفسيره.

٦ / المنهج النقدي: في الردّ على إشكالاتٍ وردت في ترجمة الإمام الرازي، وفي الوصول إلى نتيجةٍ توضح مدى إتمام الإمام لتفسيره.

منهج الكتابة في البحث:

• أولاً: منهج التوثيق:

١ - توثيق الآيات القرآنية الواردة في البحث في السطر ذاته في متن البحث بحروف أصغر بين

قوسين مرّكين هكذا []. وإذا أعيد ذكر الآية في المثال نفسه، أو جزءٌ منها لا أعيد كتابة التوثيق.

٢ - تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث: إذا وُجدت في الصحيحين أو أحدهما فيُكتفى

بذلك، وإلا فُأبحث عنه في الكتب الستة، ثم في باقي مصادر السنّة النبوية، أو كتب التفسير، مع

ذكر الحكم عليها من أقوال علماء الحديث إذا وجدته.

٣- توثيق الأقوال أو الأفكار المنقولة: بذكر اسم الكتاب فقط، ولا أشير إلى المؤلف، إلا عند تطابق عنوان الكتاب، كما في كتاب "طبقات المفسرين" مثلاً، فإن العنوان ذاته لثلاثة مؤلفين هم: الداوودي، والسيوطي، والأدنوي. وإذا كان هناك فارق ولو بكلمة لا أذكر المؤلف، فإن كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي، وأما كتاب "طبقات الشافعية" فهو لابن قاضي شهبة.

٤- إذا تكرّر ذكر المرجع في نفس الصحيفة لا أقول: "المرجع السابق"، بل أعيد ذكر المصدر في كلّ مرة خشية حصول اللبس.

٥- إذا وردت قراءة قرآنية أو ثقفا من كتب القراءات المعتمدة.

٦- عزو الأبيات الشعرية إلى قائلها، أو إلى الكتب التي ذُكرت فيها قدر الإمكان، ككتب الأدب مثلاً.

• منهج كتابة أمثلة الدراسة:

(١) أذكر لكل فكرة من أفكار البحث مثلاً واحداً أو اثنين أو ثلاثة لا أكثر، وذلك بحسب طول المثال، وتوضيحه للفكرة، وأهمية الفكرة المدروسة، ومدى اهتمام الإمام بها.

(٢) الأمثلة المعتمدة في التفسير هي ما ذكره الإمام ونسبه لنفسه، أو ما ذكره من أقوال غيره ورّجحه على غيره من الأقوال، ويُستثنى من ذلك ذكره لآراء الشافعية ووجوه الاستدلال لهم، وتقوية مذهبهم.

• منهج التوضيحات في الرسالة:

١. شرح الألفاظ الغريبة من معاجم اللغة.

٢. التعريف بالمصطلحات العلمية من الكتب المعتمدة في كلّ فنّ قدر الإمكان، وإلا فمن كتب المصطلحات العامة.

٣. ترجمة الأعلام الواردين في البحث: الترجمة لكلّ علم من الكتب المعتمدة في فنّه، فمثلاً الترجمة لفقهاء الشافعية من كتب طبقاتهم، وللقراء من كتب تراجم القراء، وللغويين من الكتب الخاصة

بهم أو بالأدباء، وللمفسرين بكتب طبقاتهم،..... وهكذا، وقد أعود إلى أكثر من كتابٍ إذا استدعى الأمر ذلك.

٤. التعريف بالأماكن المذكورة في البحث فيما عدا الأماكن المعروفة المشهورة مثل: دمشق، حلب... ، وذلك من الكتب المعاصرة؛ لأن الكتب القديمة لم تعد تعرف بالمكان، بل تزيده غموضاً؛ لاختلاف أسماء الدول والمدن والأقاليم مع الزمن.

٥. أرفقت ملحقاتاً بالفصل التمهيدي خاصاً بالصور الموضحة لما جاء في الفصل، مما يحتاج توثيقه إلى توثيق بالصور، كخريطة لشرق العالم الإسلامي، وبعض الصور للمخطوطات المهمة.

الدراسات السابقة:

لا يوجد بحسب اطلاعي دراسة اعتنت بهذا البحث من قبل، كل ما هنالك دراسات عن تفسير القرآن بالقرآن بنحو عام، أو دراسات عن تفسير الرازي من جوانب أخرى غير تفسير القرآن بالقرآن: أولاً: الدراسات السابقة المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن :

١- "تفسير القرآن بالقرآن أصوله ومنهجه، د. عبد المقصود عبد الهادي، دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة القاهرة - مصر ، ١٩٨٥

٢- "تفسير القرآن بالقرآن": خالص ألبيرق، دكتوراه، معهد العلوم الاجتماعية/ جامعة أنقرة، ١٩٨٨ .

٣- "تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تاريخية نظرية": د. محمد قجوي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب ، ٢٠٠١ م .

٤- "تفسير القرآن بالقرآن: تأصيل وتقويم": د. محسن بن حامد المطيري، رسالة دكتوراه ، جامعة الملك سعود، الرياض .

٥ - تفسير القرآن بالقرآن (دراسة تأصيلية) : د. أحمد البريدي، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي، منشور على شبكة الانترنت. في ٥٨ صحيفة .

٧- بحث د. مساعد الطيار منشور في مجلة البيان، العدد ٦٧. منشور على شبكة الانترنت.

لم أتمكن من الحصول على هذه الرسائل أو الأطروحات، عدا الباحثين الآخرين.

هذا بالإضافة إلى غالبية الكتب المختصة بأصول التفسير، أو قواعد التفسير، لم يخلُ كتاب منها عن ذكر "تفسير القرآن بالقرآن" إلا أن الملاحظ في ما وقع بين يديّ من هذه الكتب أنها تتناول موضوع تفسير القرآن بالقرآن بنحوٍ عابر دون تفصيلٍ وافٍ، بل لا يوجد اختلاف بين ما اطلعتُ عليه من هذه الكتب في عرض المعلومات.

ثانياً: الدراسات المتعلقة بتفسير الإمام الرازي، من جوانب أخرى غير تفسير القرآن بالقرآن :

١ - "الرازي مفسراً": د. محسن عبد الحميد، رسالة دكتوراه، تناولت دراسة تفسير الرازي بنحو عام، ودراسة منهجه في تفسيره .

٢ - "دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي": د. عبد الله الرومي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الملك سعود.

٣ - "المباحث البيانية في تفسير الرازي": د. أحمد هندراوي هلال، دراسة بلاغية تفصيلية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الأزهر .

٤ - "التفسير الكبير للفخر الرازي لغوياً نحوياً": محمود أحمد السويد ، جامعة دمشق كلية الآداب.

٥ - منهج الرازي في الردّ على النصارى: سميحة الواحدي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة في الجزائر، ٢٠١٠م. واستفدت من هذه الدراسة في دراسة حالة العصر.

٦- المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الرازي: عبد الله بن مقبل بن ظافر اليميني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤١٣هـ.

٧- الاستنباط عند الإمام الفخر الرازي من خلال تفسيره "مفاتيح الغيب" دراسة نظرية تطبيقية: عبد الله معايل القحطاني، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠١٤م.

٨- الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: د. طه جابر العلواني.

٩- التناسب في تفسير الإمام الرازي: دراسة في الاقتران: منال المسعودي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى.

وغالب استفادتي من هذه الدراسات هو في الاطلاع على آرائهم في إتمام الإمام الرازي تفسيره.

خُطَّةُ البَحْثِ:

قسمت بحثي إلى مقدمة، وفصل تمهيدِيّ، وأربعة فصولٍ أساسيّة، وخاتمة، على النّحو الآتي:

الفصل التمهيدي: التعريف بالإمام الرازي وتفسيره: وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الرازي:

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير:

الفصل الأول: الجانب النظري من تفسير القرآن بالقرآن: وفيه مباحث:

-المبحث الأول: معنى تفسير القرآن بالقرآن:

-المبحث الثاني: حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:

-المبحث الثالث: أسس تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

-المبحث الرابع: أنواع وألفاظ تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

الفصل الثاني: حمل دلالات الآيات بعضها على بعض: وفيه مباحث:

- المبحث الأول: حمل العام على الخاص :

- المبحث الثاني: حمل المطلق على المقيّد :

- المبحث الثالث: حمل التشابه على المحكم :

الفصل الثالث: تفسير القرآن بالاستدلال بالآيات القرآنية: وفيه مباحث:

- المبحث الأول: دور الاستدلال بالقرآن الكريم في اجتهاد الإمام الرازي في تفسيره:

- المبحث الثاني: صور من استدلال الإمام الرازي بالقرآن الكريم لاجتهاداته:

- المبحث الثالث: تفسير المفردات القرآنية بالقرآن الكريم :

- المبحث الرابع: الاستدلال بالنظائر القرآنية :

الفصل الرابع: السياق القرآني:

- المبحث الأول: وظائف السياق :

- المبحث الثاني: أنواع السياق :

- المبحث الثالث: صلة السياق بالنّظم عند الإمام الرازي

الخاتمة:

- النتائج

- التوصيات

الفهارس:

الفصل التمهيدي:

التعريف بالإمام الرازي وتفسيره:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الرازي:

المطلب الأول: حياة الإمام الرازي.

المطلب الثاني: مكانة الإمام الرازي العلمية:

المطلب الثالث: حالة العصر السياسية والعلمية:

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير:

المطلب الأول: تأليف الإمام الرازي للتفسير:

المطلب الثاني: عرض موجز لمنهج الإمام الرازي في تفسيره.

المطلب الثالث: شبهات حول التفسير:

المبحث الأول:

التعريف بالإمام الرازي:

المطلب الأول: حياة الإمام الرازي:

اسمه ونسبه:

محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي البكري^(١)، الطبرستاني^(٢) الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن خطيب الري^(٣)، وكان يلقب بهراة^(٤) شيخ الإسلام^(٥).

مولده: وُلِدَ الإمام في رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسة، وقيل: سنة أربع وأربعين^(٦).

صفته: كان الإمام رَجَّ القامة، عَبلَ الجسم^(٧)، كبير اللحية، جَهْوَري الصَّوت، صاحب وقارٍ وحِشمةٍ، له ثروةٌ وممالك، وبِزَّةٌ حسنة، وهيئةٌ جميلة^(٨).

(١) طبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ٨٣)

(٢) طبرستان: بلدة معروفة بإيران، تهذيب الأسماء واللغات: (٣ / ١٩٢). يُنظر: مصوّر يوضح موضع المدينة في آخر الفصل.

(٣) الرِّي: مدينة قديمة كان اسمها راغا. تقع أطلالها على بعد ٨ كم جنوب شرق طهران بإيران. فتحها المسلمون في خلافة عمر على يد نعيم بن مقرن، مسقط رأس الخليفة العباسي هارون الرشيد. [الموسوعة العربية الميسرة: (١٦٩٩)]. يُنظر: مصوّر يوضح موضع المدينة في آخر الفصل.

(٤) هَراة: مدينة آرية قديمة، وهي عاصمة مقاطعة هَراة شمال غرب أفغانستان على نهر هري رود. كانت الطريق التجارية بين فارس والهند، ولذلك كانت مطمعاً للغزاة، اندمجت بأفغانستان، فتحها الأحنف بن قيس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت قاعدة الدولة الصفارية، توفي فيها الإمام الرازي. [الموسوعة العربية الميسرة: (٣٤٩٤)]. يُنظر: مصوّر يوضح موضع المدينة في آخر الفصل.

(٥) وفيات الأعيان: (٤ / ٢٤٩)

(٦) طبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ٨٥)، طبقات الشافعية: (٢ / ٨١).

(٧) عَبلَ: أي ضخّم، [يُنظر: القاموس المحيط: مادة عبل (١٣٢٩)].

(٨) شذرات الذهب: (٧ / ٤٠)

شيوخه:

١- اشتغل أولاً على والده الشيخ ضياء الدين عمر^(١)، وكان والده من تلامذة محيي السنة أبي محمد

البغوي^(٢).

٢- ثم قرأ الحكمة على المجد الجيلي^(٣) بمراغة^(٤).

(١) عمر بن الحسين بن الحسن، الإمام الجليل ضياء الدين أبو القاسم الرازي، خطيب الرّي، كان أحد أئمة الإسلام مقدماً في علم الكلام، له فيه كتاب (غاية المرام)، أخذ الإمام ضياء الدين علم الكلام عن أبي القاسم الأنصاري تلميذ إمام الحرمين، وأخذ الفقه عن البغوي، وكان فقيهاً أصولياً متكلماً صوفياً خطيباً محدثاً أديباً. ولم يذكر السبكي تاريخ وفاته، بل ذكره في طبقة الذين ماتوا بعد الخمسمئة، وذكر ابن قاضي شهبة أنه توفي في العشرين الرابعة بعد الخمسمئة. [يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٧/ ٢٤٢)، طبقات الشافعية: (٢/ ١٥)].

(٢) الحسين بن مسعود الفراء، الشيخ أبو محمد البغوي، صاحب التهذيب، الملقب محيي السنة، من مصنفاته: شرح السنة، والمصابيح، والتفسير المسمى "معالم التنزيل"، وله فتاوى مشهورة لنفسه، غير فتاوى القاضي الحسين التي علقها هو عنه، كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالكاً سبيل السلف، له في الفقه اليد الباسطة، توفي في شوال سنة ست عشرة وخمسمئة بمرو الروذ. [طبقات الشافعية الكبرى: (٧/ ٧٥)]

(٣) المجد الجيلي: هو مجد الدين يحيى بن الربيع الواسطي. لم أجد في كتب التراجم علماً بهذا اللقب، والقرائن الدالة على أنه هو المقصود: أولاً: أن كتب التراجم في ترجمة الإمام الرازي ذكرت أنه صاحب محمد بن يحيى، فكان المفتاح هو العودة إلى ترجمة محمد بن يحيى، فلا بُدَّ أن يكون المجد الجيلي أحد تلامذته. ثانياً: وقع الاختيار من بين تلامذة محمد بن يحيى على الربيع بن سليمان الواسطي، لأنه درس بالنظامية، وبرع في العلوم كالنفسير والقراءات والحكمة والجدل. وهذا ما أخذه عنه الإمام الرازي بجسب كتب التراجم، ثالثاً: أن الربيع بن سليمان التقى بالسهروردي؛ وقد ذُكر في ترجمة السهروردي أن شيخه هو المجد الجيلي شيخ الإمام الرازي. رابعاً: أنه لُقّب بـ "مجد الدين": في معظم التراجم. خامساً: أن تاريخ ولادته ووفاته يدل على أنه عاصر الإمام الرازي، والله أعلم. [يُنظر التراجم في: ترجمة المجد الجيلي: سير أعلام النبلاء: (٢٠/ ٢١٣)، طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٣٩٣)، طبقات الشافعيين: (٧٨٥). ترجمة السهروردي: سير أعلام النبلاء: (٢١/ ٢١٠)، طبقات الشافعيين: (٧٣٤)، الوافي بالوفيات: (٢/ ٢٣٦)، معجم الأدباء: (٦/ ٢٨٠٦)]، وقد وصل إلى هذه النتيجة د. طه جابر العلواني في كتابه لكنه لم ينطلق من أصحاب محمد بن يحيى بل اختاره من بين الأعلام الواردين في المئة السادسة، لأنه لُقّب بمجد الدين.

(٤) مَرَاغَة: مدينة واقعة إلى الشرق من بحيرة أرمية، في الشمال الغربي من إيران، وهي عاصمة أذربيجان قديماً، كما أنها كانت عاصمة هولوكو، وهي من أشهر المدن الإسلامية؛ إذ أسس فيها نصير الدين الطوسي مرصداً فلكياً، ومكتبة عظيمة، كانت تُعدّ من أهم المكتبات العربية الإسلامية في العالم. [موسوعة المدن العربية والإسلامية: (٢٨٢)]. يُنظر: مصوّر يوضح موضع المدينة في آخر الفصل.

٣- وتفقه على الكمال السَّمْناني^(١).

٤- وَذُكِرَ أَيْضاً أَنَّ مِنْ شُيُوخِهِ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ كُبْرَى^(٢)، وَتَعَلَّمَ عِنْدَهُ التَّفْسِيرَ، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّصَوُّفَ^(٣).

وَقَدْ ذُكِرَ فِي التَّرَاجِمِ أَنَّ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ كُبْرَى اجْتَمَعَ بِهِ الْإِمَامُ الرَّازِي، وَمَعَهُ فُقَيْهٌ آخَرٌ، وَتَنَازَلَا فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ﷻ وَتَوْحِيدِهِ فَأَطَالَ الْجَدَلُ، فَسَأَلَ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ عَنْ عِلْمِ الْمَعْرِفَةِ، فَقَالَ: وَارِدَاتُ تَرَدُّ عَلَى النَّفُوسِ تَعْجِزُ النَّفُوسُ عَنْ رَدِّهَا، فَسَأَلَهُ الْإِمَامُ الرَّازِي: كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى إِدْرَاكِ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَتْرَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَالْحُظُوظِ، فَقَالَ: هَذَا مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ، وَأَمَّا رَفِيقُهُ فَإِنَّهُ تَزَهَّدَ وَتَجَرَّدَ، وَصَحِبَ الشَّيْخَ، فَفُتِّحَ عَلَيْهِ^(٤).

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ ذَكَرَهَا الذَّهَبِيُّ^(٥) فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَقَالَ: "وَهَذِهِ حِكَايَةُ حَكَاهَا لَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْيُونِنِيُّ^(٦)، وَلَا أَحْفَظُهَا جَيِّدًا"^(٧). وَمَنْ ذَكَرَهَا مِنْ بَعْدِ الذَّهَبِيِّ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ الذَّهَبِيُّ لَمْ يَحْفَظِ الْقِصَّةَ جَيِّدًا، فَلِمَ تُرَوَّى الْقِصَّةُ؟ أَمْ الْقَصْدُ هُوَ انْتِقَاصُ الْإِمَامِ الرَّازِي؟ وَحَتَّى عَلَى فَرَضِ صَحَّتْهَا،

(١) أَحْمَدُ بْنُ زُرَّارٍ بْنُ كُثَيْبٍ أَبُو نَصْرِ الْكَمَالِ السَّمْنَانِي، أَبُوهُ زُرَّارٌ بَكْسَرُ الرَّازِي بَعْدَهَا رَأً مَشْدُودَةً، وَجَدَهُ كَمْ بَضْمُ الْكَافِ بَعْدَهَا مِيمٌ مَشْدُودَةٌ، لَمْ يُذَكَّرْ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ إِلَّا عِنْدَ السَّبْكِ وَاقْتَصَرَتْ التَّرْجُمَةُ عَلَى ذِكْرِ اسْمِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ تَارِيخَ وَفَاةٍ لَهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنَ الطَّبَقَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، تَوَفَّى بَعْدَ الْخَمْسَمِئَةِ. [طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى: (١٧/٦)].

(٢) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى: (٨٦/٨)، طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ: (٨١/٢)

(٣) أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الزَّاهِدِ الْكَبِيرِ نَجْمِ الدِّينِ كُبْرَى أَبُو الْجَنَابِ -بِفَتْحِ الْجِيمِ ثُمَّ نُونٌ مَشْدُودَةٌ- الْخَيَوَقِيُّ الصُّوفِيُّ، شَيْخُ خُورَزْمٍ، كَانَ صَاحِبَ حَدِيثٍ وَثَنَةٍ وَقُرْآنٍ، وَاجْتَمَعَ بِهِ الْإِمَامُ الرَّازِي. اسْتَشْهَدَ سَنَةَ ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَسَمِئَةً مَدَافِعًا عَنْ بَلَدِهِ مِنْ غَزْوِ التَّتَارِ. [طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى: (٨/٢٥-٢٦)، طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ: (٥١/٢)].

(٤) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: (١١٨/١٦)، طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ: (٥١/٢).

(٥) الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: (١٧٣/٧).

(٦) الْإِمَامُ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَابِيزِ الْتَرْكَمَانِيِّ الذَّهَبِيِّ. مِنْ كُتُبِهِ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، تَذَكُّرَةُ الْحَفَاطِ، مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ، مَعْرِفَةُ الْقُرَاءِ الْكِبَارِ، تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ، وَسَبْعَمِئَةً. [شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: (٨/٢٦٤)].

(٧) الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْيُونِنِيِّ الْبَعْلَبَكِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسَمِئَةً. [تَذَكُّرَةُ الْحَفَاطِ: (٤/١٥٥)].

(٨) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ: (١٣/٥٣٧).

فإنها لا تنافي حقيقة أن الإمام الرازي كان صوفياً؛ فإن تفسيره لم يُجْل من ذكر أقوال الصوفية وإشاراتهم مع تعظيمهم، كما قال في تفسيره: "قال أرباب الإشارات" ^(١)، "سمعتُ بعضَ الأكابر من أصحاب القلوب" ^(٢)، "قال أصحابنا الصوفية" ^(٣).

تلامذته:

- ١ - القطب المصري ^(٤):
- ٢ - زين الدين الكشي ^(٥):
- ٣ - محمد بن الحسين تاج الدين الأرموي ^(٦):
- ٤ - شمس الدين الحنوي ^(٧):
- ٥ - شمس الدين الخسروشاهي ^(٨):

(١) مفاتيح الغيب: (٩٢ / ١).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٥ / ١٠٦).

(٣) مفاتيح الغيب: (٨٤ / ٢١).

(٤) إبراهيم بن علي بن محمد السلمى المغربي، الحكيم القطب المصري، الإمام في العقلية، رحل إلى خراسان إلى حضرة الإمام فخر الدين الرازي وقرأ عليه، وصار من كبار تلامذته، وشرح كليات القانون وصنف كتباً كثيرة، قُتل بنيسابور فيمن قتل ظُلماً على يد التتار سنة ثمان عشرة وستمئة. [طبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ١٢٠-١٢١)].

(٥) لم أجد ترجمة له، مذكور في الوافي بالوفيات أنه كان من كبار تلاميذ الإمام الرازي الذين يتصدرون درسه. [الوافي بالوفيات: (٤ / ١٧٧)]

(٦) محمد بن الحسين تاج الدين الأرموي، مدرّس الشرفية ببغداد، أحد تلاميذ الإمام الرازي، كان بارعاً في العقلية وغيرها، ألف كتاب الحاصل مختصر المحصول في أصول الفقه، توفي سنة ثلاث وخمسين وستمئة. [طبقات الشافعيين: (٨٧٧)].

(٧) أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس الحنوي الشافعي، كان فقيهاً أصولياً متكلماً مناظراً ديناً ورعاً ذا همّة عالية، ولد في حوئي في أذربيجان، ودخل خراسان وقرأ بها الأصول على الفخر الرازي، وقيل: بل على صاحبه القطب المصري، وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمئة في دمشق. [طبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ١٧)، طبقات الشافعيين: (٨٢٩)]

(٨) عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يونس بن خليل، الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو محمد الخسروشاهي ؛ ولد سنة ثمانين وخمسمئة بخسروشاه، اشتغل بالعقلية على الإمام الرازي، وسمع من المؤيد الطوسي، وبرع في الكلام، وتفنن في العلوم، ودرّس وأقرأ، واشتغل عليه زين الدين ابن المرحل خطيب دمشق، وتوفي بدمشق سنة اثنتين وخمسين وستمئة. [فوات الوفيات: (٢ / ٢٥٧-٢٥٨)]

٦- ابن عَنَيْن^(١).

٧- السلطان محمد بن تَكُش^(٢).

٨- إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني^(٣).

حياته وأسفاره:

كان أوَّل أمره فقيراً، ثم فُتِحَت عليه الأرزاق، وانتشر اسمه وبعُدَ صيته، وقُصِدَ من أقطار الأرض لطلب العلم. وعَبَرَ إلى خوارزم^(٤) بعدما مهر في العلوم، فَجَرَتْ بينه وبين المعتزلة^(٥) مناظراتٌ أدَّت إلى خروجه منها، ثم قصد ما وراء النهر، فجرى له أشياء، نحو ما جرى بخوارزم، فعاد إلى الرِّيِّ، ثم اتصل بالسلطان شهاب الدين الغوري^(٦)، وحظي عنده، ثم بالسلطان الكبير علاء الدين خوارزمشاه^(٧) محمد بن تكش، ونال

(١) محمد بن نصر الله بن الحسين بن عَنَيْنَ الدمشقي الأنصاري، أصله من الكوفة، ولد بدمشق سنة تسع وأربعين وخمسمئة، لغوي أديب شاعر مجيد، رحل إلى العراق والجزيرة وخراسان وأذربيجان وخوارزم، ولما كان بخوارزم حضر درس الإمام الرازي، وله قصة مشهورة سيأتي ذكرها، وتوفي سنة ثلاثين وستمئة بدمشق. [معجم الأدباء: (٦/ ٢٦٦١)، وفيات الأعيان (٥/ ١٨)].

(٢) خوارزم شاه محمد بن تكش بن ألب أرسلان بن اتسز بن محمد بن انوشتكين، السلطان المشهور، ملك خراسان وما وراء النهر، وسمرقند، توفي سنة سبع عشرة وستمئة هـ. [تاريخ الإسلام: (١٣/ ٥١٥)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٠٠)].

(٣) لم أجد ترجمة له، وذكر في الوافي بالوفيات أنه كان من كبار تلاميذ الإمام الرازي الذين يتصدرون درسه، وعنه نقل المؤرخون وصية الإمام الرازي التي أملاها قبل وفاته. [الوافي بالوفيات: (٤/ ١٧٧)، طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٩٠)].

(٤) خُوارِزْم: امبراطورية في العصور الوسطى بوسط آسيا، عاصمتها أوجيتش، حكمها السلاجقة والأتراك وخضعت لحكمهم بخارى وسمرقند ومعظم فارس، غزاها جنكيز خان. [الموسوعة العربية الميسرة: (١٤٥٨)]. يُنظر: مصوّر يوضح موضع المدينة في آخر الفصل.

(٥) اتفق المعتزلة على أصول خمسة هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، والمنزلة بين منزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يُنظر: شرح الأصول الخمسة: (١٢٨) وما بعدها. ولهم فرق كثيرة. يُنظر: الملل والنحل: (١/ ٤٣) وما بعدها.

(٦) السلطان محمد الغوري: هو محمد بن سام، السلطان شهاب الدين أبو المظفر الغوري، صاحب غُزنة، قتله الباطنية في شعبان سنة اثنتين وستمئة، وكان ملكاً شجاعاً غازياً عادلاً حسن السيرة، يحكم بموجب الشرع وينصف المظلوم والضعيف، ويحضره العلماء، وكان شافعي المذهب، أشعري العقيدة. [يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٦٠)، الوافي بالوفيات: (٣/ ٦٩)].

(٧) خُوارِزْم شاه: لقب حكام خوارزم قبل الفتح العربي وما بعده. [الموسوعة العربية الميسرة: (١٤٥٨)].

عنده أسنى المراتب، واستقرَّ عنده بخراسان. ثم أقام بهراً وكان يُلقَّب بها شيخ الإسلام، وكان كثير الإزراء بالكرامية^(١)، فقليل إنهم وضعوا عليه من سقاه سماً فمات^(٢).

وكان خوارزمشاه محمد بن تكش يأتي إليه، وكان الإمام الرازي إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمئة من الفقهاء وغيرهم^(٣).

مذهبه العقدي:

الإمام الرازي من الأشعرية وهم من أهل السنة والجماعة، والدليل على حسن اعتقاده أنه قال في آخر كتابه: "اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين" بعد أن ذكر نبذة من مصنّفاته في الردّ على الفلاسفة والانتصار لمذهب أهل السنة والجماعة: "...ومع هذا فإن الأعداء والحساد لا يزالون يطعنون فينا وفي ديننا، مع ما بذلنا من الجِدِّ والاجتهاد في نُصرة اعتقاد أهل السنة والجماعة، ويعتقدون أنّي لست على مذهب أهل السنة والجماعة! وقد علّم العالمون أنّه ليس مذهبي، ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة والجماعة، ولم تزل تلامذتي وتلامذة والدي في سائر أطراف العالم، يدعون الخلق إلى الدين الحقّ والمذهب الحقّ، وقد أبطلوا جميع البدع، وليس العَجَب من طعن هؤلاء الأضداد الحساد، بل العَجَب من الأصحاب والأحباب؛ كيف قعدوا عن نصري والردّ على أعدائي، ومن المعلوم أنّه لا يتيسّر شيءٌ من الأمور إلا بالمعاونة والمساعدة، ولو أمكن ذلك من غير مساعدة، لما كان كليّم الله موسى بن عمران عليه السلام - مع حُجَجِهِ الباهرة وبراهينه القاهرة - يقول مخاطباً للربّ ﷻ: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤]"^(٤).

(١) الكَرَامِيَّة: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام وكان من زهاد سجستان، وهذا المذهب له فرق كثيرة، وفي الجملة: فهم كلهم يعتقدون أنّ الله تعالى جسم وجوهر ومحلّ للحوادث، ويشبّهون له جهةً ومكاناً. [يُنظَر: اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: (٦٧)].

(٢) وفيات الأعيان: (٤ / ٢٤٩)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ٨٤-٨٤)

(٣) طبقات الشافعية: (٢ / ٨٢)

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: (٩٢-٩٣).

كما أنّه نُقِلَ سنده في العقيدة في ترجمته إلى أبي الحسن الأشعري^(١) رحمه الله^(٢).

وقيل: إنّهُ ندم على دخوله في علم الكلام، قال: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام^(٣).

وله وصيةٌ أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدلّ على حُسْنِ العقيدة^(٤).

فذكر البعض أنّ هذا الكلام يعني رجوع الإمام الرازي عن معتقده الأشعري وأنه يدلّ على خطأ مبدأ علماء الكلام^(٥).

الردّ على قولهم:

١/ هذا إن صحّ عنه فلا يُفيد تركه لمعتقد الأشاعرة لا تصريحاً ولا تلميحاً، وغاية ما هنالك أنه رحمه الله تعالى يرى أنّ أقرب الطرق في إثبات صفة الربّ ﷻ طريق القرآن، وهذا حقّ لا ريب فيه لا يخالفه إلا زائغٌ. والادّعاء بأنّه رجع عن معتقد الأشاعرة، تقويلٌ للإمام بما لم يَقُلْهُ وتحميلٌ للكلام ما لا يَحْتَمِلُ، هذا إذا سلّمنا صحة هذه الأقوال عن الإمام^(٦).

٢/ وكذلك فإنّ أحداً من تلامذته لم ينقل عنه أنّه رجع عن مذهب الأشعرية، ولا علماء الكلام من بعده تركوا العلم، ولا الذين ترجموا للإمام نقلوا ذلك.

٣/ لو كان الاشتغال بعلم الكلام ممّا لا طائل منه، لانتصر أربابُ الفرقِ المبتدعة، وأعداء الإسلام المشكّكون به، لأنّ تشكيكهم لم ينته ولم يتوقّف على مرّ العصور، ولولا تصدّي علماء الكلام الذين قيضهم الله لردّ الشُّبه، لرّبما ظهر تفوّق أولئك المشكّكين على أهل الحقّ.

(١) أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري ﷺ، الشيخ المتكلم رئيس الأشاعرة واليه ينسبون صاحب التصانيف الكلامية في الأصول والمثل والنحل، كان على مذهب المعتزلة ثمّ عاد إلى مذهب أهل السنة، له كتاب اللُّمع، والتفسير، توفي سنة ثلاثمئة وأربع وعشرين. [الوافي بالوفيات: (٢٠ / ١٣٧)].

(٢) وفيات الأعيان: (٤ / ٢٥٢)، اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين عمر، ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي، وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، وهو على الشيخ أبي الحسين الباهلي، وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.

(٣) طبقات الشافعية: (٢ / ٨٢).

(٤) وفيات الأعيان: (٤ / ٢٥٤).

(٥) شرح العقيدة الواسطية: (١ / ٩٦).

(٦) يُنظَر: أهل السنة الأشاعرة: (٧٨).

مذهبه الفقري:

كان الإمام الرازي شافعي المذهب، ومما يدلّ على ذلك أنّ الإمام ألف كتاباً في الفقه الشافعي هو "شرح الوجيز للغزالي"، كما أنه ألف كتاب "مناقب الإمام الشافعي" ^(١).

وقد نُقل في ترجمته سنده في أخذ المذهب الشافعي إلى الإمام الشافعي رحمه الله ^(٢).

وتفسيره زاخراً بالاستدلال لمذهب الشافعية في آيات الأحكام.

المطلب الثاني: مكانته العلمية:

كان شديد الحرص في العلوم، وأصحابه أكثر الخلق تعظيماً له، وتادباً معه، له عندهم المهابة الوافرة.

وكانت له يدٌ في الوعظ باللسانين العربيّ والفارسيّ، وكان من أهل الدين والتّصوّف وله يدٌ فيه، وتفسيره ينبئ عن ذلك ^(٣).

وذكر السبكي ^(٤): نثراً أديباً يصف مكانة الإمام الرازي العلمية في دفاعه عن أهل السنّة، وفي علم العقائد، وفي علم الكلام وردّه على الفرق المبتدعة، وفي علم الحكماء، وفي التفسير والفقه والأصول، فقال: "إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، والارتفاع قدراً على الرفاق، وهل يجري من الأقدار إلا الأمر المحتوم؟! بحرٌ ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وخبزٌ سما على السماء، وأين للسماء مثلاً ما له من الزواهر؟! وروضة علم تستقلّ الرياض نفسها أن تحاكي ما لديه

(١) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي، أحد الأئمة الأربعة في الفقه، له كتاب الرسالة في أصول الفقه، والأمّ، توفي سنة أربع ومئتين. [ينظر: مقدمة طبقات الشافعيين: (٣) وما بعدها]

(٢) وفيات الأعيان: (٢٥٢/٤)، اشتغل على والده، ووالده على أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء، البغوي، وهو على القاضي حسين المروزي، وهو على الففال المروزي، وهو على أبي زيد المروزي، وهو على أبي إسحاق المروزي، وهو على أبي العباس بن سريج، وهو على أبي القاسم الأنطاقي، وهو على أبي إبراهيم المزني، وهو على الإمام الشافعي.

(٣) وفيات الأعيان: (٢٤٩/٤)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٨/٨٤).

(٤) السبكي: تاج الدّين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تّمام بن يوسف بن موسى ابن تّمام السبكي الشافعي. من كتبه: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، وشرح منهاج البيضاوي، والقواعد المشتملة على الأشباه والنظائر، وطبقات الشافعية الكبرى توفي سنة إحدى وسبعين وسبع مئة. [شذرات الذهب: (٨/٣٨٠)]

من الأزاهر، انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الإسلامية، وابتسمت بذره النظيم ثغور الثغور المحمدية، تنوع في المباحث وفنونها، وترفع فلم يرص إلا بنكت تسحر ببيونها، وأتى بجنات طلعها هضيم، وكلمات يُقسّم الدهر أن الملحد بعدها لا يقدر أن يضيف...^(١).

مُصَنَّفَاتُهُ:

ذكرت كتب التراجم الكتب التي ألفها الإمام الرازي^(٢)، وهي مصنفة بحسب العلوم، أما الكتب المطبوعة منها فقد ذكرت معلومات الطباعة الخاصة بها، وأما الكتب غير المطبوعة فاكتفيت بما ورد في كتب التراجم.

في علم التفسير:

١ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب^(٣).

٢ - من أسرار التنزيل^(٤).

٣ - أسرار التنزيل وأنوار التأويل^(٥).

في علم الكلام والعقائد:

١ - أساس التقديس^(٦).

٢ - المطالب العالية من العلم الإلهي^(٧).

٣ - نهاية العقول في دراية الأصول^(٨).

٤ - الأربعين في أصول الدين^(٩).

(١) يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٨٤-٨٥).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/٨٧)، طبقات الشافعية: (٢/٨٣-٨٤)، وفيات الأعيان: (٤/٢٤٩)، طبقات المفسرين للأذنه وي: (٢/٢١٤).

(٣) له طبعات عدة أولها طبعة المكتبة البهية، سنة ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م، وعنها أخذت دار الكتب العلمية، ودار الكتاب العربي في طبعها الأولى، وطبعة دار الفكر، وطبعة دار إحياء التراث العربي الثانية، والثالثة، ١٤٢٠هـ. في اثنين وثلاثين جزءاً.

(٤) كتاب مطبوع في دار المسلم، القاهرة، مصر. دون تاريخ.

(٥) طبع لدى دار الجليل بالاشتراك مع مكتبة الكليات الأزهرية، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، سنة ١٩٩٢هـ.

(٦) طبع في مكتبة الكليات الأزهرية، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، سنة ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ.

(٧) طبع في دار الكتاب العربي، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٨) طبع في دار الذخائر، بيروت، بتحقيق: د. سعيد فودة، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

(٩) طبع في مكتبة الكليات الأزهرية، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، د.ت.

٥ - محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين^(١).

٦ - اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين^(٢).

٧ - المعالم في أصول الدين^(٣).

٨ - لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات^(٤).

٩ - البيان والبرهان في الردّ على أهل الزيغ والطغيان: ولم يُطبع هذا الكتاب ولم أجد معلومات عن مخطوطاته.

١٠ - المباحث العمادية في المطالب المعادية. ولم يُطبع هذا الكتاب ولم أجد معلومات عن مخطوطاته.

١١ - تهذيب الدلائل وعيون المسائل. . ولم يُطبع هذا الكتاب ولم أجد معلومات عن مخطوطاته.

١٢ - إرشاد النظر إلى لطائف الأسرار. ولم يُطبع هذا الكتاب ولم أجد معلومات عن مخطوطاته.

١٣ - أجوبة المسائل النجارية. ولم يُطبع هذا الكتاب ولم أجد معلومات عن مخطوطاته.

١٤ - تحصيل الحقّ^(٥).

في أصول الفقه:

١ - المحصول في أصول الفقه^(٦).

٢ - الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل^(٧).

في الفقه: شرح الوجيز للغزالي. ولم يُطبع هذا الكتاب ولم أجد معلومات عن مخطوطاته.

في الحكمة: ١ - رسالة في أقسام اللذات^(٨).

(١) طبع في المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت.

(٢) طبع في مطبعة النهضة المصرية، بتحقيق: علي سامي النشار، ١٣٥٦ هـ، ١٩٣٨ م.

(٣) طبع بحاشية كتاب محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين، في المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت.

(٤) طبع في المطبعة الشرفية بمصر، سنة ١٣٢٣ هـ.

(٥) لم يُطبع هذا الكتاب، وله نسخة مخطوطة في استانبول تحت رقم: (٢/١٩٢٩) بحسب كتاب الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: (١٧١).

(٦) طبع في دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

(٧) طبع في دار الجليل، بيروت، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

(٨) طبع مع دراسة إنكليزية بعنوان: الأخلاق الغائية عند الإمام الرازي: THE TELEOLOGICAL ETHICS OF FAKHR AIDIN

ALRAZI، كتبها: أيمن شحادة، AYMAN SHIHADAH، بواسطة: BRILL. في الولايات المتحدة بوسطن، سنة ٢٠٠٦ م.

٢- شرح عيون الحكمة لابن سينا^(١). ٣- المباحث الشرقية^(٢).

في اللغة العربية:

١- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز^(٣)، وهو يختصّ ببلاغة القرآن الكريم.

٢- شرح سقط الزند للمعري^(٤).

وله أيضاً كتاب: مناقب الإمام الشافعي^(٥).

وقد ذكر الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال أن الإمام الرازي من الضعفاء وقال: له كتاب أسرار النجوم، سحر صريح، ولعله تاب منه إن شاء الله^(٦).

ردّ السبكي على هذا الكلام فقال: إنه ليس لذكره في هذا المكان معنى، ولا يجوز من وجوه عدة: أعلاها: أنه ثقة حبر من أحبار الأمة، وأدناها: أنه لا رواية له، فذكره في كتب الرواة مجرد فضول وتعصب وتحامل تقشّر منه الجلود، وأمّا كتاب السحر: فهذا الكتاب مُحْتَلَق عليه، وبتقدير صحّة نسبته إليه ليس بسحر، فليتأمله من يحسن السحر، وذكر الذهبي له في حرف الفاء حيث قال: الفخر بن الخطيب، ولم يُعرف بهذا الاسم، ولا هو اسمه، أمّا اسمه فمحمد، وأمّا ما اشتهر به فابن الخطيب، والإمام^(٧).

مشاهد من حياته:

(١) حكى الأديب ابن عنيّن أنه حضر درسه مرّة وهو شاب، وقد وقع ثلج كبير، فسقطت بالقرب منه حمامة، وقد طردها بعض الجوارح، فلما وقعت رجع عنها الجراح، فلم تقدر الحمامة على الطيران من الخوف والبرد، فلما قام الإمام من الدرس وقف عليها، ورّق لها، وأخذها، قال ابن عنيّن: فقلت في الحال:

(١) هذا الكتاب لم يُطبع لكن له مسبخ مخطوطة في بغداد وطنطا بمصر، واستانبول. [يُنظر: الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: (١٨٧)].

(٢) طُبِعَ في حيدرآباد في جزأين سنة ١٢٤٣هـ: [يُنظر: الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: (١٨٧)].

(٣) طُبِعَ في دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

(٤) لم يُطبع هذا الكتاب من قبل وله نسخة مخطوطة في سوهاج برقم (٤٦٧). [يُنظر: الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: (١٨٧)].

(٥) طُبِعَ في مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا.

(٦) ميزان الاعتدال: (٣/ ٣٤٠)

(٧) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٨٨)

يا ابنَ الكرامِ المُطْعِمِينَ إِذَا شَتَوْا فِي كُلِّ مَسْغَبَةٍ وَثُلُجٍ خَاشِفِ
 العاصِمِينَ إِذَا النَّفُوسُ تَطَايَرَتْ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْوَشِيجِ الرَّاعِفِ
 مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مُحَلِّكُم حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
 وَفَدْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ تَدَانِي حَتْفُهَا فَحَبَوْتَهَا بِبَقَائِهَا الْمُسْتَأْنَفِ
 لَوْ أَنَّهَا تُحِبُّ بِهَالٍ لَأَنْشَتُ مِنْ رَاحَتِكَ بَنَائِلٍ مُتَضَاعِفِ
 جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ بِشَكْوِهَا وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفِ
 قَدَمٌ لَوَاهُ الْفَوْتُ حَتَّى ظَلُّهُ بِإِزَائِهِ يَجْرِي بِقَلْبٍ وَاجِفِ

وقد ذكرتُ من قبل أن ابن عَنِينٍ هو أحد تلامذة الرازي، وعنه نُقلت هذه القصة ^(١).

(٢) وَذَكَرَ أَنَّ الْإِمَامَ وَعَظَ يَوْمًا بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ شَهَابِ الدِّينِ الْغُورِيِّ، وَحَصَلَتْ لَهُ حَالٌ، فَاسْتَغَاثَ: يَا سُلْطَانِ الْعَالَمِ، لَا سُلْطَانَكَ يَبْقَى، وَلَا تَلِيسَ الرَّازِي يَبْقَى، وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ^(٣).

شعره:

كان له شيء من النظم، من ذلك قوله:

(١) وفيات الأعيان: (٢٥١ / ٤)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٨٧ / ٨-٨٨)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: (٨٩ / ٨)

نَهَايَةَ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٍ وَأَكْثَرَ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٍ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالٌ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوَلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرَفَاتِهَا رِجَالٌ فَرَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالٌ^(١)

وَأُنْشِدَ الْإِمَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ عَقِيبَ كَلَامٍ عَاتَبَ فِيهِ أَهْلَ بَلَدِهِ:

الْمَرْءُ مَا دَامَ حَيًّا يُسْتَهَانُ بِهِ وَيَعْظُمُ الرَّزْءُ فِيهِ حِينَ يُفْتَقَدُ^(٢)

وله أيضاً شعرٌ في رثاء ولده، كتبه في تفسيره، ذكرته في مطلب: نسبة التفسير له.

وصيته:

نَقَلْتُ كِتَابَ التَّرَاجِمِ جُزْءًا مِنْ وَصِيَّةِ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ الَّتِي أَمْلَاهَا عَلَى تَلَامِذَتِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ.

قال: "ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبرأته عن الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض وكل ما ورد في القرآن والصحاح المتعين للمعنى الواحد فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين إني أرى الخلق

(١) وفيات الأعيان: (٤/ ٢٥٠)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٩٠)

مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلبي أو خطر ببالي فأستشهد وأقول: إن علمت مني أنني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أنني ما سعت إلا في تقديس اعتقدت أنه الحق وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي، فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة" (١).

وفاته:

توفي الإمام رحمه الله بهرة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمئة (٢). ودُفن آخر النهار في قرية بالقرب من هرة (٣).

ومما قيل في رثائه (٤):

لقد أجاد ابن عُنَيْنٍ حيث يقول فيه:

مَاتَ بِهِ بَدْعٌ تَمَادَى عُمُرُهَا

دَهْرًا وَكَادَ ظَلَامُهَا لَا يَنْجَلِي

وَعَلَا بِهِ الْإِسْلَامُ أَرْفَعَ هَضْبَةٍ

وَرَسَا سِوَاهُ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ

غلط امرؤٌ بأبي عليٍّ (٥) قاسه

هَيْهَاتَ قَصَرَ عَنْ هُدَاهُ أَبُو عَلِيٍّ

لَوْ أَنَّ رَسْطَالِيْسَ (٦) يَسْمَعُ لَفْظَةً

مِنْ لَفْظِهِ لَعَرَّتْهُ هِزَّةُ أَفْكَلٍ (٧)

(١) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٩٠-٩٢).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٩٣)، طبقات الشافعية: (٢/ ٨٣).

(٣) وفيات الأعيان: (٤/ ٢٥٢).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٨٥).

(٥) محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري: شيخ المعتزلة كان رأساً في الفلسفة والكلام، له مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير، أخذ عنه ابنه أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري، ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه، مات في سنة ثلاث وثلاثمئة عن ثمان وستين سنة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (١٠٢-١٠٣)]

ولَحَارَ بَطْلِيمُوسُ^(٣) لَوَّ لَاقَاهُ مِنْ
بُرْهَانِهِ فِي كُلِّ شَكْلٍ مُشْكَلٍ

وَلَوْ أَنَّهُمْ جُمِعُوا لَدَيْهِ تَيَقَّنُوا
أَنَّ الْفَضِيلَةَ لَمْ تَكُنْ لِلْأَوَّلِ

المطلب الثالث: حالة العصر:

الحالة السياسية:

تاريخ الدول الإسلامية التي كانت في هذه الحقبة في تلك المنطقة معقّد، فقد تقوم دولة في جزء من أجزائها، ولا تمتدّ إلى الأجزاء الأخرى، وأحياناً تقوم دولة بإيران أو أفغانستان ويمتدّ نفوذها إلى خارجهما، دون أن تستكمل باقي إيران أو أفغانستان، لتسيطر دولة أو دويلات أخرى على الأجزاء المتبقية. وبذلك شهدت إيران وأفغانستان في هذه الحقبة عدّة حكوماتٍ مستقلة، تعاقبت على الحكم في آنٍ واحد. ولذلك لم يكن تلخيص الأحداث التاريخية التي جرت في تلك الفترة سهلاً في ظلّ تفاصيل كثيرة عن صراعاتٍ بين هذه الدول، استمرّت طيلة حياة الإمام الرازي^(٤).

وأهم الدول التي هيمنت على هذه المنطقة، أو سَعَتْ للهيمنة، أو حافظت على وجودها في ظلّ الصراع المشتدّ هي:

(١) أرسطو طاليس: فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون، كان يحاضر ماشياً فسُمي وأتباعه بالمشائين، له كتاب: "الأورغانون" في المنطق، وله مؤلفات في العلم الطبيعي، وله أيضاً كتبٌ في الأخلاق. توفي نحو ٣٢٢ قبل الميلاد. [الموسوعة العربية الميسرة: (٢٢٨)]

(٢) هزة أفكل: أي الرعدة. [يُنظَر: القاموس المحيط: (١٣٤٩)]

(٣) بَطْلِيمُوس (أو بَطْلَمَيْوس) هو رياضي وجغرافي وعالم فلك يوناني من أهل القرن الثاني للميلاد، وُلِدَ نحو سنة ٨٧ م وتوفي قريب الإسكندرية نحو ١٥٠ م. وهو وصاحب كتاب المَجَسْطِي. يقوم نظامه الفلكي على أساس أن الأرض ثابتة، وأنّ الأفلاك تدور حولها. [الموسوعة العربية الميسرة: (٧٣٠)]

(٤) يُنظَر: ديوان المبتدأ والخبر "تاريخ ابن خلدون": (٥ / ١١٥) وما بعدها، البداية والنهاية: (١٣ / ٢٧)، التاريخ الإسلامي: (٦ / ٢٦٤).

١- الدولة الغزنوية: (٣٤٩ - ٥٧٩هـ): الغزنويون منحدرين من أصول تركية وعاصمتهم: غزنة، توسع ملكهم وشمل: باكستان، وأكثر إيران، وبعض الهند. ومن أبرز قادتها في نهاية القرن السادس: بهرامشاه الذي دبر مؤامرة لقتل صهره قطب الدين محمد الغوري، ففعل، لكن انتقم منه، وآذن بذلك نجم البيت الغزنوي بالأفول على أيدي ملوك الغزنويين ذاتهم.

٢- الدولة السلجوقية (٤٣٢-٥٨٣هـ): والسلاجقة أيضاً من الأتراك، حلّوا محل الكثير من بلاد السامانيين والغزنويين والغوريين والبويهيين والروم. وكانت عاصمتهم: نيسابور، ثم الرّي بعد ذلك، اتسع ملكها حتى جاور بغداد.

٣- الدولة الغورية (٥٤٣ - ٦١٢هـ): من أمراء غور الأفغان، أسسها علاء الدين الغوري، بعد حدوث انقلاب من إحدى القرى الغزنوية على الحاكم بهرامشاه الذي قتل أحد أكابرها، وهو محمد الغوري، وبعد مقتله على يد بهرامشاه ثار له أخواه سيف الدين وعلاء الدين.

٤- الدولة الخوارزمية (٥٨٣ - ٦٢٨هـ): استولى الخوارزميون على أراضي الدولة السلجوقية، حيث قام ملوك هذه الدولة ببسط نفوذهم على جلّ إيران، إلا أنها لم تسلم من منافسة الغوريين ودولتهم، فكانت تنتصر تارةً وتخيب أخرى^(١).

ومن أهم ملوك هذه الدولة: محمد بن تكش وهو من الملوك الذين قرّبوا الإمام الرازي وتلمذ عليه، وقد تقدمت ترجمته.

وفي هذه الحقبة أيضاً عاد بعض النفوذ للمعتزلة في ظل الدول الخوارزمية، وكذلك عاد النفوذ للكرامية وكان لهم مع الإمام الرازي مناظرات كثيرة^(٢).

الحالة العلمية والفكرية:

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي: (٩٠/٣)، باستفادة من تقسيم دراسة منهج الرازي في الرد على النصاري: (١٤).

(٢) وفيات الأعيان: (٤/ ٢٤٩)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٨٤-٨٤).

كانت الحالة العلمية في تلك الفترة مزدهرةً استكمالاً لما كان قد بدأ من نهضةٍ علميّةٍ في بداية العصر العباسي، وللنهضة العلمية في العصر العباسي بنحوٍ عامٍّ، ولهذه الفترة على وجه الخصوص أسبابٌ عدة، منها:

١ - انتشار المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء نشر العلم والثقافة، وخاصةً المدارس النّظامية.

٢ - قيام الدول الإسلامية المستقلة في المشرق أدّى إلى تنافس أمرائها وسلاطينها على تزيين حواضر دولهم بالعلماء ورجال الفكر؛ وأصبحت بها حواضر تمثل مراكز فكريّة هامة، مثل: الرّيّ، وغزنة، ونيسابور، وخوارزم، وهراة، وغيرها، وصاحبَ هذا التنافس السياسي تنافسٌ علميٌّ؛ فالحكّام يعتبرون العلماء تاج حكوماتهم، وكان من كثرة الدول وتنافسها في المجد العلمي أن حَرَصَ كُلُّ أمير على استمالة العلماء والأدباء والشعراء ..

٣ - ساعد اتّصال العلماء المسلمين بعضهم ببعض عن طريق الرحلة أو المجالس أو المناظرة على تبادل المعرفة بينهم، والنهوض بالحركة الفكرية، ولذلك ظهرت حركةٌ علميّةٌ عن طريق المراسلات بين العلماء "أسئلة وأجوبة"، فإذا اشتهر عالمٌ بعلمٍ ما، أو بعدّة علومٍ في بلدٍ من بلدان المسلمين، توافدت إليه الرسائل؛ ليجيبهم عنها^(١).

وكان أثر ذلك بالنسبة إلى الإمام الرازي أنّه كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم، وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى، وكان يحضر في مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة^(٢). وقد ذكر الإمام في تفسيره مصاحبته للملوك مما يدلّ على حسن علاقته بهم^(٣).

(١) الحضارة الإسلامية: (٥٨٩)، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي: (٣ / ٣٨٠).

(٢) البداية والنهاية: (١٣ / ٥٥).

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٧ / ١٩١).

المبحث الثاني:

التعريف بالتفسير:

المطلب الأول: تأليف الإمام الرازي للتفسير:

أولاً: اسم الكتاب:

لم يصرح الإمام الرازي في كتابه "التفسير" باسم تفسيره، فالمرجع حينئذ:

١ - ذكر الإمام الرازي تفسيره في الكتب الأخرى:

قال في المطالب العالية: "أنواع الدلائل على أنه إله العالم قادرٌ مختارٌ حكيمٌ رحيمٌ: اعلم أنا قد بالغنا في شرح هذا الباب في التفسير الكبير"^(١).

وقال في كتابه أساس التقديس: "الوجه الخامس أننا ذكرنا في التفسير الكبير....."^(٢).

وقال في كتابه مناقب الإمام الشافعي: "اعلم أن آية الوضوء قد استنبطنا منها مئة مسألة في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وذكرناها في التفسير الكبير"^(٣).

وقال أيضاً: "واعلم أن من طالع التفسير الكبير الذي صنفناه، ووقف على كيفية استنباطنا للمسائل على وفق مذهب الشافعي من كتاب الله تعالى، عَلم أن الشافعي كان بحراً لا ساحل له"^(٤).

(١) المطالب العالية: (٤/ ٣٥٥).

(٢) أساس التقديس: (٨٦).

(٣) مناقب الإمام الشافعي: (٢٠٠).

(٤) مناقب الإمام الشافعي: (١٩٣).

٢- ما ذكره المؤرخون من أسماء هذا التفسير مما اشتهر، وقد ذكر المؤرخون أن اسمه "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" كما مرّ في الترجمة^(١).

أمّا عن تسمية الإمام لتفسيره بـ "التفسير الكبير"، فسببه واضح حيث إنّ تفسيره يقع في اثنين وثلاثين مجلداً كبيراً، فقد يكون الاسم بالنسبة لحجمه، وليس اسمه الحقيقي.

ولا بُدّ من التنبيه على أنّ الأولى أن يُسمّى التفسير بالاسم الذي سمّاه به مؤلفه، وأمّا ما جاء في عنوان هذه الرسالة فقد كان سابقاً لمعرفتي للتسمية بدقّة^(٢).

ثانياً: نسبة التفسير إلى مؤلفه ومدى إتمامه له:

➤ نسبة التفسير إلى مؤلفه:

أمّا عن نسبة التفسير إلى مؤلفه: فهي ثابتة لإحالة الإمام الرازي من كتبه الأخرى إلى التفسير، ولنسبة المؤرخين الكتاب له، كما مرّ قبل قليل، فلا حاجة إلى إعادة ذكره.

➤ مدى إتمام الإمام الرازي لتفسيره:

أولاً: يمكن تقسيم المؤرخين من الذين ترجموا للإمام الرازي وذكروا تفسيره في مؤلفاته إلى أربع فرق:

الفريق الأول: الذين ذكروا التفسير من غير أن يشيروا إلى إتمامه أو نقصانه^(٣).

(١) يُنظر: طبقات الشافعية: (٢/ ٦٦)، لسان الميزان: (٦/ ٣٢١)، طبقات المفسرين للدواودي: (٢/ ٢١٨)، عيون الأنباء: (٤٧٠)، شذرات الذهب: (٧/ ٤١)، كشف الظنون: (٢/ ١٧٥٦).

(٢) فقد كان الأولى أن يكون عنوان الرسالة باسم "التفسير الكبير"، ولم أغیره لأنّ تغييره يتطلّب وقتاً طويلاً بسبب الإجراءات الرسمية؛ كما أنّ التسمية ليست مؤثرة في مضمون الرسالة.

(٣) السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٨٧)، والسيوطي في طبقات المفسرين: (٢/ ٢١٤).

الفريق الثاني: الذين نصّوا على نقصانه من غير أن يشيروا إلى الموضع الذي وقف عنده في التفسير^(١).

الفريق الثالث: الذين نصّوا على الموضع الذي وقف عنده في التفسير^(٢).

الفريق الرابع: الذين نصّوا على إتمامه تفسيره^(٣).

ثانياً: الكتاب المعاصرون يمكن تقسيمهم إلى ثلاث فرق:

* الفريق الأول ذكر أن الإمام الرازي ألّف التفسير لكنّه لم يتمّه. بل أكمله القمولي^(٤) والخويي تلميذ الإمام الرازي^(٥).

(١) ابن قاضي شهبه في طبقات الشافعية: (٨٣ / ٢): وذكر د. طه العلواني في بحثه حول الإمام الرازي ومؤلفاته: (١٥٢)، أنه لم يقل: إنه لم يكمل تفسيره، وذلك غير صحيح، وابن خلكان في وفيات الأعيان: (٤ / ٢٤٩)، وابن العماد في شذرات الذهب (٥ / ٢١)، وحاجي خليفة في كشف الظنون، وذكر أن الخويي والقمولي أكملوا التفسير. (٢ / ١٧٥٦).

(٢) نصّ على ذلك الشهاب الخفاجي في شرحه للشفا حيث قال: "الثابت في كتب التاريخ أن التفسير الكبير وصل إلى سورة الأنبياء وأكمله تلميذه الخويي" [نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض: (١ / ٢٦٧)].

(٣) نصّ الصفدي على أن الإمام الرازي أكمل تفسيره على منبره إملاءً. [الوافي بالوفيات (٤ / ١٧٩)].

(٤) أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين أبو العباس الشيخ نجم الدين القمولي: صاحب البحر المحيط في شرح الوسيط، وكتاب جواهر البحر، وشرح مقدمة ابن الحاجب، وشرح الأسماء الحسنی، وأكمل تفسير الإمام الرازي، تسلّم نيابة القضاء والحسبة بمصر والجيزة، توفي سنة ثمان وخمسين وسبعمئة. [طبقات الشافعية الكبرى: (٩ / ٣٠)، الدرر الكامنة: (١ / ٣٠٤)].

(٥) محمد حسين الذهبي في: التفسير والمفسرون: (١ / ٢٥٠)، وعبد الله بن مقبل اليميني في: المناسبات في تفسير الرازي: (١٦٤)، ومجموع رسائل عبد الرحمن المعلمي اليماني "بحث حول تفسير الرازي": (١٣٣) وقد تقدمت ترجمة الخويي في تلامذة الإمام.

وقد حدّد المعلمي اليماني^(١): أن الذي كتبه الإمام الرازي هو الأقسام الآتية: (من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة القصص) و (ومن أول سورة الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف) و(تفسير سورة الحديد والمجادلة والحشر) ثم (من أول تفسير سورة الملوك إلى آخر الكتاب) وما عدا ذلك فهو من تكملة الخويي، ولم يُشَرَّ إلى تكملة القمولي^(٢).

الفريق الثاني: قالوا: إنّ الإمام الرازي أتمّ تفسيره كلّهُ ، إملاءً على تلامذته^(٣).

* الأدلة التي ذكرها مَنْ نفى إكمال الرازي لتفسيره:

- ١ - ما ورد في كتب المؤرخين ومنهم أعلامٌ كبارٌ ذكروا أنّ الإمام الرازي لم يكمل تفسيره.
- ٢ - ما ورد في تفسير الإمام الرازي من عبارات وألفاظ تدلّ على أنه لم يتمّ تفسيره:
- ٣ - دراسة أسلوب الإمام الرازي، وتتبع طريقته في التفسير، فما كان على غير أسلوبه، فهو ليس من تأليفه.

* الأدلة التي ذكرها مَنْ أثبت إكمال الإمام الرازي لتفسيره:

- ١ - ما ذكره الفريق الآخر من المؤرخين فيهم أيضاً أعلامٌ كبارٌ أثبتوا إكمال الإمام الرازي لتفسيره.
- ٢ - أسلوب الإمام الرازي الخاص، والعبارات التي جاءت بصيغة المتكلم مثل: "والذي يخطر في بالي".
- ٣ - الإحالات التي في تفسير الإمام الرازي من سورة إلى سورة.
- ٤ - إحالات الإمام على كتبه التي ألفها والتي ثبتت نسبتها له.

(١) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، من اليمن، من كتبه: رفع الاشتباه، عمارة القبور، تفسير الفاتحة، الاستبصار في نقد الأخبار، وله أبحاثٌ كثيرة، توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف. [آثار الشيخ العلامة المعلمي اليماني: (١ / ٤١)]

(٢) يُنظر: مجموع رسائل عبد الرحمن المعلمي اليماني "بحث حول تفسير الرازي": (٩٩-١٣٣).

(٣) محسن عبد الحميد في: الرّازي مفسّراً: (٦٣)، ومنال المسعودي في: التناسب في تفسير الإمام الرازي: (٤٤)، وطه العلواني: الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: (١٦٠) وما بعدها، وعبد الله الرومي في: قواعد الترجيح المتعلّقة بالنصّ القرآني في ضوء ترجيحات الرازي: (١ / ١٨٨)، عبد الله القحطاني في: الاستنباط عند الإمام الرازي من خلال تفسيره مفاتيح الغيب: (٥٠).

٥- ما ذكره من أحداث تدلّ على أنه هو من ألّف التفسير ك وفاة ولده، وفتح الناصر صلاح الدين القدس.

٦- نقله عن والده القاضي ضياء الدين عمر.

٧- اعتبار العبارات التي تدلّ على أنه لم يؤلّف تفسيره دخيلةً على التفسير، من فعل النساخ الذي نسخوا الكتاب في العصور اللاحقة^(١).

وفي ما يأتي تفصيلٌ للأدلة، وعزوُّ لها:

*** الأدلة التي ذكرها مَنْ نفى إكمال الرازي لتفسيره:**

الدليل الأول: أقوال المؤرخين من الأعلام الكبار التي ذُكرت من قبل في المطلب السابق.

الدليل الثاني: ما ورد في التفسير من عباراتٍ وألفاظٍ تدلّ على أنه لم يتمّ تفسيره:

١- جاء في التفسير في آخر سورة يس ما يأتي: "إن النبي ﷺ قال: (إنَّ لكلِّ شيءٍ قلباً وقلْبُ القرآن يس)"^(٢) وقال الغزالي^(٣) فيه: إنَّ ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر، والحشر مقرّرٌ في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعله قلب القرآن لذلك، واستحسنه فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام"^(٤).

فهذا دليل على أن الرازي لم يتمّ تفسيره، بل هذا الكلام من كلام أحد تلامذته من الذين أتموا التفسير.

(١) الرازي مفسراً: (٦٣).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي، عن أنس بن مالك: كتاب فضائل القرآن: باب: فضل يس، رقم: (٢٨٨٧)، (٥ / ١٦٢).

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام، من كتبه: المستصفى، المنحول، جواهر القرآن، إحياء علوم الدين، توفي سنة خمس وخمسمئة. [طبقات الشافعية الكبرى: (٦ / ١٩١)]

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٦ / ١١٣)

وقد وجدتُ في مكتبة الأسد الوطنية في إحدى نسخ المخطوط وهي رقم: (٣٧٣)، في الميكروفيش رقم: (١)، في السطر الرابع من الورقة (أ) مكتوبٌ في آخر تفسير سورة يس: "آخر تصنيف القاضي شمس الدين الخويي". وصورة المخطوطة في آخر هذا الفصل في ملحق الصور.

٢- جاء في تفسير سورة الواقعة: عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَمْثِلِ اللَّوْلُوِّ الْمَكُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]:

"قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] إذا حملناه أنه ليس مثل مثله شيء، ويكون في مقابلته قول الكافر: مثل مثله شيء، فيكون مثبتاً لكونه مثل مثله، ويكون مثله يخرج عن حقيقة نفسه، ومنه لا يبقى واجب الوجود، فذكر المثليين لفظاً يفيد التوحيد، مع الإشارة إلى وجه الدليل على بطلان قول المشرك. ولو قلنا: "ليس مثله شيء"، يكون نفياً من غير إشارة إلى دليل، والتحقيق فيه أننا نقول في نفي المثل ردّاً على المشرك: لا مِثْلَ لله، ثم نستدل عليه ونقول: لو كان له مِثْلٌ لكان هو مِثْلاً لذلك المِثْل، فيكون ممكناً محتاجاً، فلا يكون إلهاً، ولو كان له مِثْلٌ لما كان الله إلهاً واجب الوجود؛ لأنّ عند فرض مِثْلٍ له يشاركه بشيء وينافيه بشيء، فيلزم تركه، فلو كان له مِثْلٌ، لخرج عن حقيقة كونه إلهاً، فإثبات الشريك يفضي إلى نفي الإله، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ توحيد بالدليل، و"ليس مثله شيء" توحيد من غير دليل، وشيء من هذا رأيت في كلام الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله بعدما فرغت من كتابة هذا مما وافق خاطري خاطره، على أنّي معترفٌ بأنّي أصبْتُ منه فوائد لا أحصيها" (١).

ويمكن أن يُردّ على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن هذه الإضافة لم أجدها في إحدى نسخ مخطوطات تفسير الإمام الرازي، وهي المخطوطة رقم ١٣١٩٢ في مكتبة الأسد الوطنية، مكتوبة في القرن العاشر الهجري. وصور هذه المخطوطة ملحقة في آخر الفصل في قسم ملحق الصور.

- الثاني: أنّ في كلام المتكلم هنا دليلاً على أن الإمام الرازي قال الكلام وإن لم يدوّنه في هذا الموضع، وإثبات نسبة الكلام للإمام الرازي معتبرٌ أيضاً ومقبولٌ، حين لم تثبت كتابته للكلام، فأن يكون قال الكلام ولم يكتبه خيرٌ من أن يكون لم يقله ولم يكتبه.

(١) مفاتيح الغيب: (١٣٦/٢٩)

ولكنّ هذا الدليل يحتاج لدفعه إلى الاطلاع على مخطوطات أكثر تكفي لإثبات صحة هذا النص أو عدم صحّته، ولم أجد في سائر المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية ما يدفع هذه الشبهة، بل كلّها تثبتها.

٣- في سورة الواقعة عند تفسير قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤] ذُكِرَ في التفسير:

"وفيه مسائل: المسألة الأولى أصولية ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها، فالأولى: قالت المعتزلة: هذا يدل على أن يقال: الثواب على الله واجب لأن الجزاء لا يجوز المطالبة به. وقد أجاب عنه الإمام فخر الدين رحمه الله بأجوبة كثيرة، وأظنُّ به أنه لم يذكر ما أقوله فيه وهو: ما ذكره ولو صحَّ لما كان في الوعد بهذه الأشياء فائدة؛ وذلك لأن العقل إذا حكم بأن ترك الجزاء قبيح، وعلم بالعقل أن القبيح من الله لا يوجد، علم أن الله يعطي هذه الأشياء؛ لأنها أجزئية، وإيصال الجزاء واجب. وأما إذا قلنا بمذهبننا تكون الآيات مفيدة مبشرة؛ لأن البشارة لا تكون إلا بالخير عن أمر غير معلوم...^(١)

وهذه الموضع مثبت في كل المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية.

٤- ذكر بعض الباحثين المعاصرين ^(٢) أن في تفسير الإمام الرازي نقلاً عن القرطبي ^(٣) المفسر، وهذا يعني أن هذا الموضع الذي فيه هذا النقل لم يؤلفه الإمام الرازي؛ لأن القرطبي توفي بعد الإمام الرازي.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] ورد في جميع النسخ المطبوعة من تفسير الإمام الرازي عند تفسير الآية ما يأتي: "المسألة الأولى: قال القرطبي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة، وهم سبعون نفساً، قال عبد الله بن

(١) مفاتيح الغيب: (١٣٧/٢٩)

(٢) المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي: (٥٣).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، إمام متقن متبحر في العلم، توفي سنة إحدى وسبعين وستمئة.

[طبقات المفسرين: (٩٢)]

رواحة^(١): اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: (أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشرکوا به شيئاً، ولنفسي أن تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم) قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: الجنة). قالوا: ربح البيع، لا نقيّل ولا نستقيّل، فنزلت هذه الآية^(٢).

الردّ: أولاً: النظر في العبارة المنقولة عن القرطبي وحده كفيلاً بأن يُعلم أنّ هذه الجملة لم ينفرد بها القرطبي، إذا كان قد ذكرها، بل لا بدّ أن يكون ناقلاً لها عن غيره، والحقيقة أنّ القرطبي ذكر صيغةً أخرى غير ما ذكر هنا^(٣).

ثانياً: بناءً على ما سبق بحثت في كتب التفسير الأخرى، فوجدت أنّ هذه العبارة منقولة عن "القرطبي" وهو محمد بن كعب القرظي^(٤) من مفسري التابعين^(٥).

ثالثاً: السؤال الآن: من أين جاءت كلمة "القرطبي" إلى كل النسخ المطبوعة؟

إن النسخ المطبوعة في المكتبات القديمة والحديثة جميعها مأخوذة عن طبعة المكتبة البهية - طبعة مصرية قديمة، والخطأ بدأ من هذه النسخة حيث وقع فيها تصحيفٌ في نقل العبارة من "القرظي" إلى "القرطبي".

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، الشاهر المشهور، من السابقين الأولين من الأنصار، أحد النقباء ليلة العقبة، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة. [الإصابة: (٢/ ٢٩٨)].

(٢) مفاتيح الغيب: (١٦ / ١٩٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ٢٦٧).

(٤) محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني، ثقة عالم من التابعين، روى عن أبي الدرداء مرسلًا وعن فضالة بن عبيد، وعائشة وأبي هريرة، رضي الله عنهم، كان أباه من بني قريظة، مات سنة عشرين ومئة. [خلاصة تذهيب الكمال: (٣٥٧)].

(٥) يُنظر: جامع البيان: (١٤ / ٤٩٩)، تفسير الكشف والبيان "الثعلبي": (٥ / ٩٧)، قال الثعلبي: قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً. قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: «اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «الجنة».

لم أكتف بهذا الإثبات، بل رجعت إلى مخطوطات تفسير الإمام الرازي الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية، للتأكد من حقيقة هذه الكلمة، فوجدتها كما ظهر لي في البحث الأول، فالكلمة هي القرطي وليست القرطبي^(١)، والشبهة مردودةً بذلك علمياً، وواقعياً.

وصور هذه المخطوطات ملحقة في آخر الفصل في قسم ملحق الصور.

٥ - جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]

" فضيلة السبحلة والحمدلة في المساء والصباح، ولنذكرها من حيث النقل والعقل، أما النقل: فأخبرني الشيخ الورع الحافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان^(٢) بحلب مسنداً عن النبي ﷺ أنه قال لبعض أصحابه... " (٣).

لم تثبت رحلة الإمام الرازي إلى بلاد الشام في أي مرجع من مراجع الترجمة، ولم يثبت أيضاً اشتغاله بالحديث الشريف وروايته له، لكن نسبة هذه المقولة إلى تلميذه الخويي أقرب للصحة لأنه بعد أن لقي الإمام الرازي عاد إلى الشام، وقد توفي في دمشق كما سبق بيانه.

الدليل الثالث: دراسة أسلوب الإمام الرازي، وتتبع طريقته في التفسير، فما كان على غير أسلوبه، فهو ليس من تأليفه:

الطريقة التي جرى عليها الرازي في الشطر المقطوع بأنه من تصنيفه من هذا التفسير استمرت إلى آخر سورة القصص، ومن ثم خلفتها طريقة أخرى في تفسير سورة العنكبوت وما بعدها إلى آخر تفسير سورة يس،

(١) وجدت في نسخ مخطوطات التفسير رقم ٣٥٩ ورقم ٣٨١ أن الكلمة هي القرطي وليست القرطبي.

(٢) الشيخ الإمام المحدث الزاهد أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله علوان ابن الأستاذ الأسدي الحلبي. وهو أحد فقهاء الشافعية والمحدثين، كان فيه خيرٌ وصلاح وعنايةٌ بالحديث، توفي في عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وستمئة. [يُنظر: طبقات الشافعيين: (٨١٤)، سير أعلام النبلاء: (٣٠٣/٢٢)]

(٣) مفاتيح الغيب: (١٠٥ / ٢٥).

ويتبين ذلك لمن أمعن النظر في القسمين، ثم عادت الطريقة الأولى من أول تفسير سورة الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، فهذا قسم ثالث، ثم رجعت الطريقة الثانية من أول تفسير سورة محمد ﷺ إلى آخر سورة الواقعة، فهذا قسم رابع، ثم عادت الطريقة الأولى في تفسير سور الحديد والمجادلة والحشر فقط، فهذا قسم خامس، ثم رجعت الطريقة الثانية من أول تفسير سورة الممتحنة إلى آخر تفسير سورة التحريم، يظهر فيه الاستعجال وترك التدقيق، ويكاد يقتصر فيه على الأخذ من تفسير الواحدي والكشاف، فهذا قسم سادس، ثم عادت الطريقة الأولى من أول تفسير سورة الملوك إلى آخر القرآن، فهذا قسم سابع^(١).

فالقسم الأول والثالث والخامس والسابع من تصنيف الإمام الرازي، وأما القسم الثاني والرابع والسادس فهي من تصنيف الذين أكملوا التفسير.

* الأدلة التي ذكرها من أثبت إكمال الإمام الرازي لتفسيره:

الدليل الأول: ما ذكره الفريق الآخر من العلماء المؤرخين الذين أثبتوا إكمال الإمام الرازي لتفسيره.

الدليل الثاني: أسلوب الإمام الرازي الخاص، والعبارات التي جاءت بصيغة المتكلم مثل: "والذي يخطر في بالي".

(١) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْنُ فِيهَا سَلَمٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]:

"ثالثها: أن نقول: إن قولنا: "الله" اسم لذات الحق سبحانه، فتارةً ينظر العبد إلى صفات الجلال، وهي المشار إليها بقوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾، ثم يحاول الترقّي منها إلى حضرة جلال الذات ترقّياً يليق بالطاقة البشرية، وهي المشار إليها بقوله: ﴿اللَّهُمَّ﴾، فإذا عرج عن ذلك المكان، واخترق في أوائل تلك الأنوار، رجع إلى عالم الإكرام، وهو المشار إليه بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

(١) مجموع رسائل عبد الرحمن العلمي الباني (بحث حول تفسير الرازي): (١١٨).

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾. فهذه كلمات خطرت بالبالٍ ودارت في الخيال فإن حَقَّتْ؛ فالتوفيق من الله تعالى، وإن لم يكن كذلك؛ فالتكalan على رحمة الله تعالى" (١).

(٢) جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْإِلَٰهَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوِّرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠]:

"قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختم له بالحسنى: دخلت بلاد الهند، فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجود الإله، وأكثر بلاد الترك أيضا كذلك، وإنما الشأن في عبادة الأوثان؛ فإنها آفة عمّت أكثر أطراف الأرض، وهكذا الأمر كان في الزمان القديم، أعني زمان نوح وهودٍ وصالحٍ عليهم السلام، فهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يمنعونهم من عبادة الأصنام، فكان قوله: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ معناه لا تعبدوا غير الله؛ والدليل عليه أنه قال عقيبه: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ وذلك يدل على أن المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاشتغال بعبادة الأصنام" (٢).

(٣) وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ يَضَعَ سِجْنِي﴾ [يوسف: ٤٢]:

"قال مصنف الكتاب فخر الدين الرازي رحمه الله: والذي جرّبته من أول عمري إلى آخره أن الإنسان كلما عوّل في أمرٍ من الأمور على غير الله، صار ذلك سبباً إلى البلاء والمحنة والشدة والرزية، وإذا عوّل العبد على الله، ولم يرجع إلى أحدٍ من الخلق، حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه، فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقرّ قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه" (٣).

(٤) وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]:

"قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله عليه وهو مصنف هذا الكتاب أنار الله برهانه: أنا صاحب هذه الحالة والمتوغل فيها، ولو فتحت الباب وبالغت في عيوب هذه اللذات الجسدية، فربما كتبت المجلدات، وما وصلت إلى القليل منها، فلهذا

(١) مفاتيح الغيب: (٣٨ / ١٧)

(٢) مفاتيح الغيب: (١٠ / ١٨).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٨ / ١٤٥).

السبب صرْتُ مواظباً في أكثر الأوقات على ذكر هذا الذي ذكره يوسف عليه السلام وهو قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(١).

(٥) وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥]:

"وقال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله: في اليوم الذي كنت أكتب هذه الأوراق، وهو اليوم الأول من محرم سنة اثنتين وستمئة، حصلت زلزلة شديدة، وهذه عظيمة وقت الصبح، ورأيت الناس يصيحون بالدعاء والتضرع، فلما سكنت وطاب الهواء وحسن أنواع الوقت، نسوا في الحال تلك الزلزلة، وعادوا إلى ما كانوا عليه من تلك السفاهة والجهالة، وكأن هذه الحالة التي شرحها الله تعالى في هذه الآية تجري مجرى الصفة اللازمة لجوهر نفس الإنسان" ^(٢).

(٦) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] قال الإمام الرازي:

"قال الواحدي في كتاب السبب: هذه الآية من أصعب ما في القرآن نظماً وتفسيراً، وقد تحبّط فيها الكبار من العلماء. ثم إنه رحمه الله تعالى لم يلخص كيفية الإشكال فيها وأنا أقول: وجه الإشكال أن تقدير الآية "لم يكن الذين كفروا مُنْفَكِينَ حتى تأتيهم البيّنة" تأتيهم البيّنة التي هي الرسول، ثم إنه تعالى لم يذكر أنهم مُنْفَكُونَ عن ماذا؟ لكنّه معلوم؛ إذ المراد هو: الكفر الذي كانوا عليه، فصار التقدير: لم يكن الذين كفروا مُنْفَكِينَ عن كفرهم، حتى تأتيهم البيّنة التي هي الرسول، ثم إن كلمة "حتى" لانتهاة الغاية، فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا مُنْفَكِينَ عن كفرهم عند إتيان الرسول، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وهذا يقتضي أن كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول ﷺ، فحينئذ يحصل بين الآية الأولى والآية الثانية مناقضة في الظاهر، هذا منتهى الإشكال فيما أظن" ^(٣).

وهنا أسلوبه في التفسير ظاهر.

(١) مفاتيح الغيب: (٢٢١ / ١٨).

(٢) مفاتيح الغيب: (٤٢ / ٢٠).

(٣) مفاتيح الغيب: (٣٧ / ٣٢).

(٧) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١]:

"واعلم أنّ هذا التفاوت غير مختصّ بالمال، بل هو حاصل في الذكاء والبلاغة، والحسن والقبیح، والعقل والحمق، والصحة والسقم، والاسم الحسن والاسم القبيح، وهذا بحر لا ساحل له، وقد كنت مصاحباً لبعض الملوك في بعض الأسفار، وكان ذلك الملك كثير المال والجاه، وكانت الجنائب^(١) الكثيرة تقاد بين يديه، وما كان يمكنه ركوب واحدٍ منها، وربما حضرت الأطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده، وما كان يمكنه تناول شيءٍ منها، وكان الواحد منّا صحيح المزاج، قويّ البنية، كامل القوة، وما كان يجد ملء بطنه طعاماً، فذلك الملك وإن كان يفضل على هذا الفقير في المال، إلا أن هذا الفقير كان يفضل على ذلك الملك في الصحة والقوة، وهذا بابٌ واسعٌ إذا اعتبره الإنسان عظم تعجبه منه"^(٢).

(٨) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]:

"ولقد جربت في أحوال نفسي أنّه كلما قصدني شرٌّ بَشَرٍ، ولم أتعرض له، وأكتفي بتفويض ذلك الأمر إلى الله، فإنه سبحانه يُقيض أقواماً لا أعرفهم البتة، يبالغون في دفع ذلك الشرِّ"^(٣).

وقد يُعترض على هذه الأدلة بأن فيها ما يدل على أنه لم يؤلف التفسير مثل عبارة: "يقول مصنف هذا الكتاب": لكن غاية ما فيه أحد هذه الوجوه:

١- ما المانع من أن تكون هذه الكلمة من كتابة النساخ، أو أن يكون الإمام قد أملى تفسيره؟ ومثل هذا الكلام نجده في كثير من الكتب.

٢- وحتى لو دلّ هذا الكلام على أنه لم يخطّ هذا الكلام بيده، إلا أنّ نسبته له ظاهرة واضحة؛ لأن المعروف أن المصنف هو الإمام الرازي، والخلاف في هل أتمه أم لم يتمه، وليس في نسبة الكتاب له.

(١) من: "الجانب" وهو الفرس البعيد ما بين الرّجلين. [القاموس المحيط: (٨٩)]

(٢) مفاتيح الغيب: (٦٤ / ٢٠)

(٣) مفاتيح الغيب: (٥٠ / ٢٧)

٩) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]:

"الصحيح عند أهل الحق أنه عندما يبلغ الملك الوحي إلى الرسول لا يقدر الشيطان على إلقاء الباطل في أثناء ذلك الوحي، وقال بعضهم: يجوز ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، وقالوا ألقى الشيطان في أثناء سورة النجم: تلك الغرائق العلى، منها الشفاعة ترتجى، وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله (١) وكان أفضل من لقيته من أرباب السلطنة يقول: هذا الكلام بعد الدلائل القوية القاهرة باطل من وجهين آخرين: الأول: أن النبي ﷺ قال: (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي) (٢) فإذا لم يقدر الشيطان على أن يتمثل في المنام بصورة الرسول ﷺ، فكيف قدر على التشبه بجبريل عليه السلام حال اشتغاله بتبليغ وحي الله تعالى؟! والثاني: أن النبي ﷺ قال: (ما سلك عمرٌ فجاً إلا وسلك الشيطان فجاً آخر) (٣) فإذا لم يقدر الشيطان أن يحضر مع عمر رضي الله عنه في فج واحد، فكيف يقدر على أن يحضر مع جبريل عليه السلام في موقف تبليغ وحي الله تعالى؟! (٤).

١٠) جاء في تفسير قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِتُوا لِي فَأَعَزُّ لُونِ﴾ [الدخان: ٢١]:

"قال مصنف الكتاب رحمه الله تعالى: إن المعتزلة يتصلفون ويقولون: إن لفظ الاعتزال أينما جاء في القرآن كان المراد منه الاعتزال عن الباطل لا عن الحق، فاتفق حضوري في بعض المحافل، وذكر بعضهم هذا الكلام، فأوردت عليه هذه الآية وقلت: المراد من الاعتزال في هذه الآية الاعتزال عن دين موسى عليه السلام وطريقته، وذلك لا شك أنه اعتزال عن الحق، فانقطع الرجل" (٥).

(١) سبقت ترجمته وهو السلطان شهاب الدين الغوري.

(٢) الحديث متفق عليه بلفظ (لا يتمثل بي)؛ أخرجه البخاري: كتاب التعبير: باب: من رأى النبي ﷺ في المنام، رقم: (٦٩٩٣). وأخرجه مسلم: كتاب الرؤيا: باب: باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، رقم: (٦٠٥٦).

(٣) الحديث: قال رسول الله ﷺ لسيدنا عمر رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجاً إلا سلك فجاً غير فجك". متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق: باب: صفة إبليس وجنوده، رقم: (٣٢٩٤)، وأخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب: فضائل عمر رضي الله عنه، رقم: (٢٣٩٦).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٧ / ١٩١).

(٥) مفاتيح الغيب: (٢٧ / ٢٤٥-٢٥٥).

فذكرُ حادثةٍ حصلت معه في مناظراته مع المعتزلة، دليلٌ على أن هذا الموضوع من تأليف الإمام الرازي، وليس لأحد تلامذته لأنه لم يُذكر في تراجم الذين أكملوا الكتاب أن لهم مناظراتٍ مع المعتزلة، لكن الإمام مشهورٌ بذلك.

(١١) في ختام تفسيره لسورة الدخان ذُكر هذا الكلام:

"قال المصنف رحمه الله تعالى: تم تفسير هذه السورة ليلة الثلاثاء في نصف الليل الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستمئة. يا دائم المعروف يا قديم الإحسان، شهد لك إشراق العرش، وضوء الكرسي، ومعارج السماوات، وأنوار الثوابت والسيارات على منابرهما المتوغلة في العلو الأعلى، ومعارجها المقدسة عن غبار عالم الكون والفساد، بأن الأول الحق الأزلي لا يناسبه شيءٌ من علائق العقول، وشوائب الخواطر، ومناسبات المحدثات، فالقمر بسبب محوه مقرٌ بالنقصان، والشمس بشهادة المعارج بتغيراتها معترقةٌ بالحاجة إلى تدبير الرحمن، والطبائع مقهورةٌ تحت القدرة القاهرة، فالله في غيبات المعارج العالية، والمتغيرات شاهدة بعدم تغيره، والمتعاقبات ناطقةٌ بدوام سرمديته، وكلُّ ما نوجه عليه أنه مضى وسيأتي فهو خالقه وأعلى منه، فبجوده الوجود والإيجاد، وبإعدامه الفناء والفساد، وكل ما سواه فهو تائهٌ في جبروته، نائرٌ عند طلوع نور ملكوته، وليس عند عقول الخلق، إلا أنه بخلاف كل الخلق، له العزُّ والجلال، والقدرة والكمال، والجود والإفضال، ربُّنا وربُّ مبادينا، إياك نروم، ولك نصلي ونصوم، وعليك المعول، وأنت المبدأ الأول، سبحانه سبحانه" (١).

هذا الكلام يدل على أن الإمام الرازي كتب هذا الموضوع من تفسيره؛ لأن أسلوبه ظاهرٌ فيه.

الدليل الثالث: الإحالات التي في تفسير الإمام الرازي من سورة إلى سورة:

١- من سورة سبأ إلى سورة الأعراف: في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْقِدُمُونَ﴾ [سبأ:

٣٠]: قال: "قد ذكرنا في سورة الأعراف أن قوله تعالى: ﴿لَا تَسْتَعِجِرُونَ﴾ يوجب... " (٢).

٢- إحالة من سورة الحجر إلى سورة الملك: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ [الحجر: ١٦] قال: "وأما قوله: ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ فقد استقصينا الكلام فيه في سورة الملك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [الملك: ٥] فلا نعيدها هاهنا إلا بالقدر الذي لا بد منه" (٣).

(١) مفاتيح الغيب: (٢٧ / ٢٥٥).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٥ / ٢٥٨). وقد ورد هذا الكلام الذي أحال إليه حقاً في تفسير سورة الأعراف: (١٤ / ٦٨).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٩ / ١٦٨).

٣- من سورة الكهف إلى سورة يس: في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُهُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]

قال: "... الوجه الثاني: وإذا خلقك لهذا المعنى وجب أن يحصل للمطيع ثواب، وللمذنب عقاب، وتقريره ما ذكرناه في سورة يس" ^(١).

٤- من سورة يس إلى سورة الأنعام: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٣٣]

قال: "وها هنا المقصود ذكر صفات الأرض فاختار منها الألد والأأنفع وقد ذكرنا في سورة الأنعام ما يُستفاد منه ... " ^(٢).

٥- من سورة الفتح إلى سورة يس: في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١]

قال: "وقد ذكرنا في سورة يس في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ ﴾ [يس: ٢٣] أنه في صورة كون الكلام مع المؤمن أدخل الباء على الضرر ... " ^(٣).

٦- من سورة ق إلى سورة يس: في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ [ق: ٤٣]

قال: "وقد ذكرنا في سورة يس ما يتعلق بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ ﴾ [يس: ١٢] ... " ^(٤).

٧- من سورة الذاريات إلى سورة العنكبوت: في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]: قال: "وفيه أيضاً لطائف.... وقد ذكرنا في سورة العنكبوت شيئاً منه" ^(٥).

٨- من سورة الواقعة إلى سورة الصافات: في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا كُوفٍ وَابَارِيقَ وَكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٨]

(١) مفاتيح الغيب: (٢١ / ١٢٦).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٦ / ٦٧).

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٨ / ٨٨).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٨ / ١٩٠).

(٥) مفاتيح الغيب: (٢٨ / ٢٢٨).

قال: "ما معنى معين؟ قلنا: ذكرنا في سورة الصافات أنَّ فعيل أو مفعول.." (١).

٩- من سورة الإنسان إلى سورة المزمل: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]: قال: "المراد منه التهجد، ثم اختلفوا فيه: فقال بعضهم: كان ذلك من الواجبات ثم نُسخ كما ذكر في سورة المزمل" (٢).

١٠- من سورة فصلت إلى سورة الفاتحة والأنعام: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]

قال: "وأما دلالة الشمس والقمر والأفلاك وسائر الكواكب على وجود الصانع، فقد شرحناها في هذا الكتاب مراراً لا سيما في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]" (٣).

١١- إحالة من سورة القلم إلى سورة البقرة: قال: "ن: فيه مسألتان: المسألة الأولى الأقوال المذكورة في هذا الجنس قد شرحناها في أول سورة البقرة" (٤).

١٢- من سورة القمر إلى سورة سبأ: في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣]

قال: "وقد ذكرنا في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣] أن في قوله: (أكبر) فائدة عظيمة... " (٥).

١٣- من سورة الرحمن إلى سورة الرعد والذاريات: في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦]:

(١) مفاتيح الغيب: (٢٩ / ١٥١).

(٢) مفاتيح الغيب: (٣٠ / ٢٥٩).

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٧ / ١٢٨).

(٤) مفاتيح الغيب: (٣٠ / ٧٧).

(٥) مفاتيح الغيب: (٢٩ / ٧٧).

قال: " وقد ذكرنا في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤] أنه تعالى ذكر الجنة والجنات فهي لاتصال أشجارها ومسكنها... " (١).

١٤- من سورة سبأ إلى سورة النحل: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُرْدَىٰ ثُمَّ تَنْفَكُوا﴾ [سبأ: ٤٦]

قال: " وقد ذكرنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] أن العدل نفى الإلهية عن غير الله، والإحسان إثبات الإلهية له " (٢).

١٥- من سورة الواقعة إلى سورة فاطر: في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠] قال: " وقد تقدم تفسير الأجاج أنه الماء المر من شدة الملوحة، والظاهر أنه هو الحار من أجيج النار كالحطام من الحطيم، وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] " (٣).

١٦- من سورة الرحمن إلى سورة الفاتحة: في بداية تفسير سورة الرحمن: قال: " وقد ذكرنا هذا كله في تفسير سورة الفاتحة، غير أننا أردنا أن يصير ما ذكرنا مضموماً إلى ما ذكرناه هناك، فأعدناه ها هنا؛ لأن هذا كله كالتفصيل لما ذكرناه في الفاتحة " (٤).

١٧- من سورة النجم إلى سورة فاطر: قال: " ثم قال تعالى: ﴿الْأَنْزِلُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة " (٥).

١٨- من سورة المجادلة إلى سورة الأحزاب: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَأْهُرٌ أَمْهَنَهُمْ إِنْ أَمْهَنَهُمْ إِلَّا﴾ [المجادلة: ٢]

(١) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ١٢٣).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٥/ ٢٦٨).

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ١٨٤).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ٨٥).

(٥) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ١٤).

قال: " الكلام في تفسير لفظة اللائي فقد تقدم في سورة الأحزاب عند قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَرْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهَا أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]" (١).

لم أجد هذه الإحالة، إلا أن إحالة الإمام هنا من موضع فيه قرينة أنه هو الذي كتبه، إلى موضع مشكوك فيه يدل على أن للرازي تفسير لذلك الموضع وإن لم نجده بين أيدينا.

١٩- من سورة النجم إلى سورة الطور: قال: "قد بينا في سورة الطور واستدللنا بهذه الآية، ونذكر ما يقرب منه ها هنا..." (٢).

٢٠- من سورة الواقعة إلى سورة الطور:

قال: "قوله: (بما كانوا) ذكرنا فائدته في سورة الطور وهي أنه تعالى قال:....." (٣).

٢١- من سورة القلم إلى سورة الطور: قال: "هذه الآية مع ما بعدها مفسرة في سورة الطور وأقول: إنه أعاد الكلام إلى ما تقدّم..." (٤).

يلاحظ في هذه الإحالات ما يأتي:

- ١/ أن بعضها ورد من أقسام لم يشك الذين لم يقولوا بإكمال الإمام تفسيره إلى أقسام لم يشك في نسبتها أيضاً.
- ٢/ أن بعضها الآخر جاء من أقسام شك الذين لم يقولوا بإكمال التفسير فيها إلى أقسام أثبتوا نسبتها للإمام، وتوجيه ذلك أن مكمل التفسير أحال من القسم الذي كتبه إلى القسم الذي كتبه الإمام، فهذه لا تعدّ دليلاً على إكمال التفسير.
- ٣/ بعضها جاءت الإحالات فيه ضمن الأقسام المشكوك في نسبتها للإمام، فهذه لا تعدّ دليلاً برأيهم على إكمال التفسير.

الدليل الرابع: إحالات الإمام على كتبه التي ألفها والتي ثبتت نسبتها له:

(١) إحالة إلى كتاب (الجبر والقدر): قال: "أطبنا الكلام في هذا الدليل في كتاب الجبر والقدر ونكتفي ها هنا من تلك الكلمات بنكت قليلة" (٥).

(٢) إحالة على كتاب (أساس التقديس): قال في ختام تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]:

(١) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ٢٥٥).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٨/ ٢٩٧).

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ١٩٩).

(٤) مفاتيح الغيب: (٣٠/ ٩٧).

(٥) مفاتيح الغيب: (١٣/ ١٠٠)، وهذا الكتاب غير مطبوع.

"ومن أراد الاستقصاء في الآيات والأخبار المتشابهات فعليه بكتاب أساس التقديس وبالله التوفيق" (١).

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]: قال الإمام الرازي: "وإذا ثبت تعدُّر حمل هذه الألفاظ على حقائقها، وجب حملها على مجازاتها صوتاً لهذه النصوص عن التعطيل، فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب، ولنا كتاب مفرد في إثبات تنزيه الله تعالى عن الجسمية والمكان، سمّيناه بأساس التقديس، من أراد الإطناب في هذا الباب فليرجع إليه" (٢).

(٣) إحالة إلى كتاب نهاية العقول: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]: "أقصى ما في الباب أن يقال: لا دليل على إثبات صفة أخرى سوى الإرادة فوجب نفيها، لكننا بينّا في كتاب نهاية العقول أن هذه الطريقة ضعيفة ساقطة" (٤).

(٤) الإحالة إلى كتابه (نهاية الإيجاز): قال: "ومن تأمل كتابنا في دلائل الإعجاز، علم أنّ القرآن قد بلغ في جميع وجوه الفصاحة إلى النهاية القصوى" (٥).

(٥) إحالة إلى كتابه في الطب: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْخِلُ الْأُزْدِلَ الْعُمُرَ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠] قال: والوجه الثالث وهو الذي أوردناه على الأطباء في كتابنا الكبير في الطب" (٦).

(٦) إحالة إلى كتابه (لباب الإشارات): قال: "وجواب المعارضة بالنفس مذكور في كتابنا المسمى بلباب الإشارات" (٧).

(٧) إحالة إلى كتاب (الرياض المونقة): قال: "﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]:

(١) مفاتيح الغيب: (٧/٢٢)

(٢) مفاتيح الغيب: (١٦/٢٧)

(٣) مفاتيح الغيب: (١٤/١٣٢).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢/١١٦).

(٥) مفاتيح الغيب: (٢٠/٧٥).

(٦) مفاتيح الغيب: (٣١/١٧٨).

والمراد افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال. واعلم أنه لا سبيل إلى استقصاء مذاهب العالم في هذا الموضوع، ومن أراد ذلك فليطالع كتابنا الذي سميناه بالرياض المونقة^(١).

(٨) إحالة إلى كتاب لوامع البينات: قال: "واعلم أن لنا في تفسير أسماء الله كتاباً كبيراً كثير الدقائق، شريف الحقائق، سميناه لوامع البينات في تفسير الأسماء والصفات، من أراد الاستقصاء فيه فليرجع إليه"^(٢).

الدليل الخامس: ما ذكره من أحداثٍ تدلّ على أنه هو من ألف التفسير ك وفاة ولده، وفتح الناصر صلاح الدين بيت المقدس:

(١) حديثه أنه كان في زمن الناصر صلاح الدين^(٣) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]:

"وخامسها: أن النصارى لا يدخلون بيت المقدس إلا خائفين، ولا يوجد فيه نصراني إلا أوجع ضرباً، وهذا التأويل مردود؛ لأن بيت المقدس بقي أكثر من مئة سنة في أيدي النصارى، بحيث لم يتمكن أحد من المسلمين من الدخول فيه إلا خائفاً، إلى أن استخلصه الملك صلاح الدين رحمه الله في زماننا"^(٤).

(٢) وفي ختام تفسيره لسورة يوسف:

"قال المصنف رحمه الله تعالى: تم تفسير هذه السورة بحمد الله تعالى يوم الأربعاء السابع من شعبان ختم بالخير والرضوان، سنة إحدى وستمئة، وقد كنت ضيق الصدر جداً بسبب وفاة الولد الصالح محمد، تغمده الله بالرحمة والغفران، وخصّه بدرجات الفضل والإحسان، وذكرت هذه الأبيات في مرثيته على سبيل الإيجاز:

فلو كانت الأقدار منقاداً لنا فدَيْنَاكَ مِنْ حَمَاكَ بِالرَّوْحِ وَالْجِسْمِ

(١) مفاتيح الغيب: (١٨ / ٧٧).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٢ / ١٤).

(٣) يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الدويني الأصل التكريتي المولد، وهو السلطان الملك الناصر التقى النقي العالم الذكي العادل الزكي فاتح الفتوح بركة أهل زمانه صلاح الدين المظفر، ملك البلاد ودانت له العباد وأحبه الخلق ونصر الإسلام وغزا الفرنج وكسرهم مرات، وأنقذ البيت المقدس منهم، وأخل ما بين الشام ومصر من الفرنج، توفي سنة أربع وستين وخمسمئة. [طبقات الشافعية الكبرى: (٧ / ٣٣٩)].

(٤) مفاتيح الغيب: (٤ / ١١).

وَلَوْ كَانَتِ الْأَمْلَاكُ تَأْخُذُ رِشْوَةً

خَضَعْنَا لَهَا بِالرُّقِّ فِي الْحُكْمِ وَالْأَسَمِ

وَلَكِنَّهُ حُكْمٌ إِذَا حَانَ حِينُهُ

سَرَى مِنْ مَقَرِّ الْعَرْشِ فِي لُجَّةِ الْيَمِّ

سَابِكِي عَلَيْكَ الْعَمَرَ بِالْدَّمِ دَائِمًا

لَمْ أَنْحَرْفَ عَنْ ذَلِكَ فِي الْكَيْفِ وَالْكَمِّ

سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ دُفِنْتَ بِتَرْبِهِ

وَأَتَحَفَكَ الرَّحْمَنُ بِالْكَرَمِ الْجَمِّ

وَمَا صَدَّنِي عَنْ جَعَلِ جَفَنِي مَدْفَنًا

لِجَسْمِكَ إِلَّا أَنَّهُ أَبَدًا يَهْجِي

وَأُقْسِمُ إِنْ مَسَّوَا رُفَاتِي وَرُمَّتِي

أَحْسُوا بِنَارِ الْحَزَنِ فِي مَكْمَنِ الْعَظَمِ

حَيَاتِي وَمَوْتِي وَاحِدٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ

بَلِ الْمَوْتُ أَوَّلُ مِنْ مُدَاوِمَةِ الْغَمِّ

رَضِيتُ بِمَا أَمْضَى إِلَهُهُ بِحُكْمِهِ

لِعِلْمِي بِأَنِّي لَا يَجَاوِزُنِي حُكْمِي

وَأَنَا أَوْصِي مَنْ طَالَعِ كِتَابِي وَاسْتَفَادَ مَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ النَّفِيسَةِ الْعَالِيَةِ؛ أَنْ يَخْصَّ وَلَدِي وَيَخْصَّنِي بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، وَيَدْعُو لِمَنْ قَدْ
مَاتَ فِي غُرْبَةٍ بَعِيدًا عَنِ الْإِخْوَانِ وَالْأَبِّ وَالْأُمِّ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ؛ فَإِنِّي كُنْتُ أَيْضًا كَثِيرَ الدَّعَاءِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي حَقِّي، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، آمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (١).

(١) مفاتيح الغيب: (١٨/ ٢٢٩)

الدليل السادس: نقله عن والده القاضي ضياء الدين عمر:

(١) حديثه عن والده، سورة الفاتحة تفسير قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① ﴾ [الفاتحة: ٦]:

"وكان الشيخ الإمام الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله يقول: "وأما تحصيل الهداية بطريق الرياضة والتصفية فذلك بحرٌ لا ساحل له، ولكل واحد من السائرين إلى الله تعالى منهج خاص ومشرب معين، كما قال: ﴿ وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُومٌ مَوْلَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولا وقوف للعقول على تلك الأسرار، ولا خبر عند الأفهام من مبادئ ميادين تلك الأنوار، والعارفون المحققون لحظوا فيها مباحث عميقة، وأسراراً دقيقة، قلما ترقى إليها أفهام الأكثرين" (١).

(٢) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]:

"سمعت شيعي والدي رحمه الله يقول: ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هاهنا أولى من الغفور الرحيم؛ لأن كونه غفوراً رحيماً يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج، وأما العزة والحكمة فهما لا يوجبان المغفرة؛ فإن كونه عزيزاً يقتضي أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه لا اعتراض عليه لأحد، فإذا كان عزيزاً متعالياً عن جميع جهات الاستحقاق، ثم حكم بالمغفرة، كان الكرم هاهنا أتمّ ممّا إذا كان غفوراً رحيماً يوجب المغفرة والرحمة، فكانت عبارته رحمه الله أن يقول: عزّ عن الكلّ، ثم حكم بالرحمة، فكان هذا أكمل" (٢).

(٣) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]: "وسمعت الشيخ الإمام الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله تعالى قال: معلومات الله تعالى غير متناهية، ومعلوماته في كلّ واحدٍ من تلك المعلومات أيضاً غير متناهية؛ وذلك لأنّ الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحيازٍ لا نهاية لها على البدل، ويمكن اتّصافه بصفاتٍ لا نهاية لها على البدل، وكل تلك الأحوال التقديرية دالّة على حكمة الله تعالى وقدرته أيضاً، وإذا كان الجوهر الفرد (٣) والجزء الذي لا يتجزأ كذلك، فكيف القول في كلّ ملكوت الله تعالى؟! فثبت أنّ دلالة ملك الله تعالى وملكوته على نعوت جلاله وسمات عظمتة وعزته غير متناهية، وحصول المعلومات التي لا نهاية لها دفعةً واحدةً في عقول

(١) مفاتيح الغيب: (٢٠ / ١)

(٢) مفاتيح الغيب: (١١٤ / ١٢)

(٣) الجوهر الفرد: الجزء الذي لا يتجزأ لا كسراً لصغره، ولا قطعاً لصلابته، ولا وهماً لامتناع غيره، ولا فرضاً لاستلزام انقسام ما لا ينقسم في نفس الأمر، وليس الجزء الذي لا يتجزأ جسماً. هذا على رأي المتكلمين. [الكليات: (٣٤٧)].

الخلق مُحَلَّل، فإذا لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف إلا بأن يحصل بعضها عقيب البعض، لا إلى نهاية ولا إلى آخر في المستقبل، فلهذا السبب والله أعلم لم يقل: وكذلك أريناه ملكوت السموات والأرض، بل قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله له نهاية، وأمّا السفر في الله فإنه لا نهاية له، والله أعلم^(١).

(٤) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿ذٰلِكُمْ اِلٰهٌ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]:

"وسمعت الشيخ الإمام الزاهد الوالد رحمه الله يقول: لولا الأسباب لما ارتاب مراتب، وإذا كان الأمر كذلك، فقد يعلّق الرجل القلب بالأسباب الظاهرة، فتارةً يعتمد على الأمير، وتارةً يرجع في تحصيل مهماته إلى الوزير، فحينئذ لا ينال إلا الحرمان، ولا يجد إلا تكثير الأحزان، والحق تعالى قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، والمقصود أن يعلم الرجل أنه لا حافظ إلا الله، ولا مصلح للمهمات إلا الله، فحينئذ ينقطع طمعه عن كل ما سواه، ولا يرجع في مهم من المهمات إلا إليه"^(٢).

(٥) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]:

"واعلم يا أخي أنّ الكُلَّ لا يحاولون إلا التقديس والتعظيم، وسمعت الشيخ الإمام الوالد ضياء الدين عمر بن الحسين رحمه الله قال: سمعت الشيخ أبا القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري^(٣) يقول: نَظَرُ أَهْلِ السَّنةِ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي جَانِبِ الْقُدْرَةِ وَنَفَازِ الْمَشِيئَةِ، وَنَظَرُ الْمُعْتَزِلَةِ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي جَانِبِ الْعَدْلِ وَالْبَرَاءَةِ عَنْ فِعْلِ مَا لَا يَنْبَغِي، فَإِذَا تَأَمَّلْتَ عَلِمْتَ أَنَّ

(١) مفاتيح الغيب: (٣٥ / ١٣)

(٢) مفاتيح الغيب: (١٠١ / ١٣).

(٣) عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد قاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم بن الحارث بن الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي، أحد الأجلة من الفقهاء البارعين في المذهب الزاهدين الورعين وكان من قضاة العدل ولد سنة عشرين وخمسمئة، ولم يذكر السبكي تاريخ وفاته، بل قال: إنه عاش دهرًا طويلاً. [طبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ١٩٤)]

أحداً لم يصف الله إلا بالتعظيم والإجلال والتقديس والتنزيه، ولكن منهم من أخطأ، ومنهم من أصاب، ورجاء الكل متعلق بهذه الكلمة وهي قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(١).

(٦) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]:

"واعلم أنَّ الروافض في الدين كانوا إذا حلفوا قالوا: وَحَقَّ خَمْسَةَ سَادَسِهِمْ جَبْرِيلَ، وأرادوا به الرسول ﷺ وعلياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، كانوا قد احتجبوا تحت عباءة^(٢) يوم المباهلة، فجاء جبريل عليه السلام وجعل نفسه سادساً لهم، فذكروا للشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالى: أن القوم هكذا يقولون، فقال رحمه الله: لكم ما هو خير منه بقوله: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(٣)، ومن المعلوم بالضرورة أن هذا أفضل وأكمل"^(٤).

(٨) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]:

"الفائدة الثالثة: أنه تعالى قال في منافع الدنيا: ﴿يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا﴾ وقال في سعادات الآخرة: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ وذلك يدل على أن جميع خيرات الدنيا والآخرة ليس إلا منه، وليس إلا بإيجاده، وتكوينه وإعطائه وجوده، وكان الشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالى يقول: لولا الأسباب لما ارتاب مراتب، فأكثر الناس عقولهم ضعيفة، واشتغال عقولهم بهذه الوسائط الفانية يعميها عن مشاهدة أن الكُلَّ منه، فأما الذين توغلوا في المعارف الإلهية، وخاضوا في بحار أنوار الحقيقة، علموا أن ما سواه ممكن لذاته موجود بإيجاده، فانقطع نظرهم عما سواه، وعلموا أنه سبحانه وتعالى هو الضار والنافع والمعطي والمانع"^(٥).

(٩) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِإِثْبَاتِهِ، مِّنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]:

(١) مفاتيح الغيب: (١٣/ ١٦٣).

(٢) حديث الكساء أخرجه الطبري عن أم سلمة رضي الله عنها. [جامع البيان: (٢٠/ ٢٦٥)]

(٣) الحديث أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين والأنصار، رقم: (٣٦٥٣)، (٧/ ٣)، ومسلم: كتاب فضائل

الصحابة، باب: فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: (٢٣٨١)، (٩٧١).

(٤) مفاتيح الغيب: (١٦/ ٦٥)

(٥) مفاتيح الغيب: (١٧/ ١٤٧)

"وقوله: ﴿يَعْبُدْهُ﴾ أجمع المفسرون على أن المراد محمد ﷺ وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال: سمعت الشيخ الإمام أبا القاسم سليمان الأنصاري قال: لما وصل محمد ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج أوحى الله تعالى إليه يا محمد بم أشرفك؟ قال: (رب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية) ^(١)، فأنزل الله فيه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ " ^(٢).

(١٠) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]:

"يعني أنه وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفران، إلا أنه لا يرضى بالكفر، واحتج الجبائي بهذه الآية من وجهين: الأول: أن المجبرة يقولون: إن الله تعالى خلق كفر العباد، وإنه من جهة ما خلقه حق وصواب، قال: ولو كان الأمر كذلك لكان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه، وذلك ضد الآية، الثاني: لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا أن نرضى به؛ لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، وحيث اجتمعت الأمة على أن الرضا بالكفر كفر، ثبت أنه ليس بقضاء الله، وليس أيضاً برضاء الله تعالى، وأجاب الأصحاب عن هذا الاستدلال من وجوه: الأول: أن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فعلى هذا التقدير قوله: ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى للمؤمنين الكفر وذلك لا يضرنا، الثاني: أننا نقول: الكفر بإرادة الله تعالى، ولا نقول: إنه برضا الله لأن الرضا عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] أي: يمدحهم ويشني عليهم، الثالث: كان الشيخ الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله يقول: الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض، وليس عبارة عن الإرادة" ^(٣).

(١١) نقل عن والده في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]:

"وسمعت والدي رحمه الله يقول إنه كان يروى: أنه لما نزلت هذه الآية أقبل المشركون نحو البيت وسجدوا" ^(٤).

(١) لم أجد تخريجاً لهذه الرواية، وكتب التفسير التي ذكرتها نقلتها عن الإمام الرازي.

(٢) مفاتيح الغيب: (١١٧/٢٠)

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٦/٢١٥)

(٤) مفاتيح الغيب: (٢٩/١٨٦)، ولم أجد هذه الرواية فيما تيسر لي من كتب التفسير.

خلاصة القول في مسألة إتمام الإمام الرازي لكتابه:

القول الراجح لي في مسألة إتمام الإمام الرازي تفسيره: هو القول بتقسيم التفسير إلى أقسامٍ سبعة، كما قال المعلّي اليماني: إن الإمام ألف هذه الأقسام من التفسير:

١- من البداية حتى تفسير آخر سورة القصص.

٢- من سورة الصافات حتى آخر سورة الأحقاف.

٣- سور: الحديد والمجادلة والحشر.

٤- من سورة الملك إلى آخر الكتاب.

وأما سائر الأقسام الأخرى وهي:

١- من سورة العنكبوت إلى سورة يس: فقد ألفه القاضي الخويي كما ثبت في المخطوطات.

٢- من سورة محمد ﷺ إلى سورة الواقعة.

٣- ومن سورة الممتحنة إلى سورة التحريم.

وهذا القسمان الأخيران يغلب على ظني أنّ من ألفهما هو القمولي، ويبقى الجزم بهذه النسبة متوقفاً على توفر المزيد من الأدلة من المخطوطات.

أسباب اختيار هذا القول:

(١) تفاوت الأسلوب الظاهريين الأقسام.

(٢) الإحالات التي لم أجد ما أحال عليه فيها، كما سبق في الإحالة من سورة المجادلة إلى سورة الأحزاب.

(٣) التصريح بأحداث لم تحصل مع الرازي، كما سبق ذكره من روايته للحديث في حلب.

(٤) المخطوط الذي فيه إثبات أن الخوي ألف قطعة من التفسير.

وأما ما ذكره المثبتون لإكمال الإمام تفسيره من أدلةٍ فهي باقيةٌ غير مردودة، ولكنهم حين رأوا أدلة الإثبات عمّموها على كل التفسير، متجاهلين أدلة النفي التي لم أتمكن من ردها كلها.

ولذلك فإن أدلة الإثبات هذه هي ذاتها الأدلة التي اعتمدت عليها في إثبات صحة نسبة الأقسام التي أثبتت نسبتها للإمام الرازي.

والخلاصة: أن نظرة الذي أثبتوا الإكمال عامّة، والرأي المختار النظر فيه مخصّص لكل دليل بحسب موقعه من التفسير.

بعد ما سبق: يمكن أن يذكر السؤال الآتي:

إذا كان الخوي وهو تلميذ الإمام الرازي انتهت تكملته عند تفسير سورة يس، فما الذي كتبه القمّولي؟

الحقيقة أنني لم أجد في المخطوطات التي استطعت الوصول إليها ما يدلّ على كتابة القمّولي لشيء من التفسير، لكن يمكن أن يُقال على سبيل الاحتمال لا الجزم -ما لم يظهر دليل ماديّ حتى انتهاء كتابة هذا البحث-: إن القمّولي ألف القسم المتبقي من التفسير وهي الأقسام التي ذكر أن الإمام الرازي لم يفسرها من بعد سورة يس إلى نهاية التفسير.

أثر نسبة الكتاب على البحث:

١- أولاً اعتمدت في اختيار أمثلة البحث على قول الذين قالوا بعدم إتمام الإمام الرازي تفسيره، فلم آخذ أمثلة من تلك الأقسام، حتى لا يُنسب للإمام الرازي ما لم يكتبه، وإن أخذت من هذه الأماكن شيئاً فإنه يكون ثانوياً وغيره يغني عنه، وقد وضعته لتكون الفكرة شاملة لكل التفسير موضع الدراسة.

٢- أما في دراسة منهج الإمام في تفسيره فقد اعتمدت على التفسير كوحدة واحدة من حيث الأقسام التي ألفها الإمام الرازي.

ثالثاً: تاريخ تأليف التفسير:

لا نستطيع أن نحدّد بصورة دقيقة تاريخ بدء الإمام الرازي بالتفسير؛ لأنه كتب تفسيره الضخم لسورة الفاتحة مستقلاً عن بقية أجزاء التفسير.

أما سورة البقرة فلم يذكر تاريخاً لتفسيره لها، وأول تاريخ ذكره في تفسيره هو تاريخ تفسير سورة آل عمران في اليوم الأول من ربيع الآخر سنة ٥٩٥ هـ^(١). والظاهر من التواريخ الموجودة في نهاية بعض السور أنه لم يفسر جميع القرآن مرة واحدة، ولم يراع ترتيب السور سابقها ولاحقها.

فعلى سبيل المثال: انتهى من تفسير سورة الأنفال في رمضان سنة ٦٠١ هـ، بينما ذكر أنه انتهى من تفسير سورة يونس في رجب سنة ٦٠١ هـ. وكذلك انتهى من تفسير سورة التوبة في الليلة الثانية من رجب سنة ٦٠١ هـ. ومن تفسير سورة يوسف في اليوم السابع من شعبان سنة ٦٠١ هـ^(٢). ومن سورة الرعد في الثامن من شعبان سنة ٦٠١ هـ. وسورة إبراهيم في أواخر شعبان سنة ٦٠١ هـ. وهذه السور تأتي في ترتيب المصحف بعد سورة الأنفال. وقد ترك وضع التواريخ في نهايات السور الموجودة بين الكهف والصافات التي انتهى من تفسيرها في السابع عشر من ذي القعدة سنة ٦٠٣ هـ، ثم بدأ بوضع التواريخ بعد ذلك - تاركاً بعض السور - إلى سورة الأحقاف التي انتهى من تفسيرها يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة سنة

(١) مفاتيح الغيب: (١٥٦/٩)

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٢٩/١٨)

٦٠٣هـ^(١)، ولا نجد بعد ذلك تاريخاً إلى نهاية تفسيره. وليست التواريخ متسلسلة في هذا القسم الأخير. فلقد انتهت من تفسير سورة الدخان في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٠٣هـ^(٢)، بينما انتهت من تفسير سورة الفتح التي تأتي بعدها قبل هذا التاريخ، يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة سنة ٦٠٣هـ^(٣). أما الأقسام غير المؤرخة فلا يمكن الجزم بتاريخ انتهائه منها هل بعد سنة ٦٠٣هـ؟ أم قبلها؟ أم موزعة بينها؟

رابعاً: الباعث على تأليف التفسير:

قال الإمام الرازي: "اعلم أنه مرَّ على لساني في بعض الأوقات، أنَّ هذه السورة الكريمة يمكن أن يُستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحُساد، وقومٌ من أهل الجهل والغِيِّ والعناد، وحملوا ذلك على ما أَلْفَوْه من التعلُّقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمباني، فلمَّا شَرَعْتُ في تصنيف هذا الكتاب، قَدَّمْتُ هذه المقدمة؛ لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول"^(٤).

فيظهر من كلام الإمام الرازي أنه أراد من تأليفه للتفسير أن يبيِّن أنه لا حدود للفوائد المستنبطة من آيات كتاب الله تعالى، وألَّف هذا التفسير برهاناً عملياً على إمكانية ذلك، لما استبعد حُسادَه ذلك.

خامساً: أهمية التفسير:

إذا كان الزمخشري قد تكفَّل ببيان وجه الإعجاز البلاغي في تفسيره للقرآن، فإنَّ الإمام الرازي قد تكفَّل ببيان الإعجاز العلمي والغبي في القرآن الكريم^(٥).

(١) مفاتيح الغيب: (١٧٣/٢٦)

(٢) مفاتيح الغيب: (٣٦/٢٨).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٠٩/٢٨).

(٤) مفاتيح الغيب: (١٩/١).

(٥) التفسير ورجاله: (٧٧).

المطلب الثاني: عرضٌ موجزٌ لمنهج الإمام الرازي في تفسيره:

أولاً: مصادر التفسير:

من مصادره في التفسير:

١- القفال^(١): وقد قال عنه الإمام الرازي: "كان حسن الكلام في التفسير، دقيق النظر في تأويلات الألفاظ، إلا أنه كان عظيم المبالغة في تقرير مذهب المعتزلة، مع أنه كان قليل الحظ من علم الكلام، قليل النصيب من معرفة كلام المعتزلة"^(٢).

٢- الكشف للزمخشري^(٣).

٣- القاضي عبد الجبار^(٤).

٤- الطبري^(٥).

(١) محمد بن علي بن إسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير، كان إمام عصره، في "ما وراء النهر"، فقيهاً، محدثاً، مفسراً، أصولياً، لغوياً، شاعراً، وعنه انتشر فقه الشافعي فيما وراء النهر له مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وله كتاب في أصول الفقه وله شرح الرسالة، ومن مصنفاته دلائل النبوة ومحاسن الشريعة، توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (١٠٩)]

(٢) مفاتيح الغيب: (١١/٧).

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر بلقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، له التصانيف البديعة منها الكشف في التفسير، والفاق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، وربيع الأبرار، والمنهاج في الأصول، و الفصل في النحو، مات سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (١٢٠)].

(٤) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضي أبو الحسن الهمداني الأسدي، شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف منها التفسير عاش دهراً طويلاً وسار ذكره كان فقيهاً شافعي المذهب، ولي قضاء الري وأعمالها ورحلت إليه الطلبة، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمئة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (٥٨-٥٩)].

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر رأس المفسرين على الإطلاق أحد الائمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره؛ فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة عشر وثلاثمائة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (٩٥)].

٥- أبو بكر الأصم من المعتزلة ^(١).

٦- الجبائي: من المعتزلة.

٧- الكعبي من المعتزلة ^(٢).

٨- الأصفهاني ^(٣):

من مصادره في علوم القرآن:

١- الباقلاني ^(٤).

٢- عبد القاهر الجرجاني ^(٥).

٣- الواحدي ^(٦).

(١) أبو بكر: عبد الرحمن بن كيسان الأصم المعتزلي، كان من أفصح الناس وأورعهم وله تفسير عجيب، لم تذكر كتب التراجم تاريخ وفاته. [طبقات المعتزلة: (٢٦٧)، لسان الميزان: (٥ / ١٢١)].

(٢) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي العالم المشهور، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية، وكان من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم الكلام، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة. [وفيات الأعيان: (٣ / ٤٥)]

(٣) أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني: كان نحويًا كاتبًا بليغًا، متكلمًا معتزليًا، عالمًا بالتفسير وغيره من صنوف العلم من كتبه: جامع التأويل لمحكم التنزيل، ومات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. [طبقات المعتزلة: (٢٩٦)، بغية الوعاة: (١ / ٥٩)]

(٤) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بالباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري، وكان ثقة، صنف تصانيف كثيرة الشهيرة في علم الكلام وغيره، منها: كتاب الإبانة، وشرح اللمع، والمقدمات في أصول الديانات، والتعريف والإرشاد في أصول الفقه، والانتصار للقرآن، والمقنع في أصول الفقه، وحقائق الكلام ومناقب الأئمة، توفي في ذي القعدة سنة ٤٠٣ هـ. [يُنظَر: تبين كذب المفترى: (٢١٨)، وشجرة النور الزكية: (١ / ١٣٨)].

(٥) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، كان من أكابر النحويين، وصنف تصانيف كثيرة، منها: كتاب المغني في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب المقتصد في شرح الإيضاح، وكتاب إعجاز القرآن، وكتاب العوامل، وكتاب الجمل، وغيرها. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. [نزهة الألباء: (٢٦٥)، طبقات الشافعية الكبرى: (٥ / ١٥٠)].

(٦) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري: كان واحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي والإعراب عن الإعراب وشرح الأسماء الحسنی وشرح ديوان المتنبي ونفي التحريف عن القرآن الشريف. مات سنة ثمان وستين وأربعمائة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (٧٨-٧٩)].

٤ - أحكام القرآن لابن العربي^(١).

٥ - أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الحنفي^(٢).

من مصادره في الحديث:

١ - الصحيحان، وكتب السنن الثلاث - ما عدا سنن النسائي.

٢ - معالم السنن لأبي سليمان الخطّابي^(٣).

٣ - الحكيم الترمذي: كتاب النوادر^(٤).

مصادره في اللغة:

١. المبرّد^(٥).

٢. معاني القرآن للقرّاء^(٦).

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، صنف التفسير، وأحكام القرآن، وشرح الموطأ، وشرح الترمذي، وغير ذلك، وولي القضاء ببلده، مات سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة. [طبقات المفسرين للسيوطي: (١٠٥)]

(٢) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام الكبير الشأن المعروف بالخصاص، وهو لقب له، وله من المصنفات أحكام القرآن وشرح مختصر الكرخي وشرح مختصر الطحاوي، وشرح الجامع لمحمد بن الحسن، وشرح الأسماء الحسنی وله كتاب مفيد في أصول الفقه، توفي سنة سبعين وثلاثمئة. [الجواهر المضية: (١ / ٨٤ - ٨٥)]

(٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطّابي، صاحب التصانيف، من كتبه شرح سنن أبي داود، وشرح الأسماء الحسنی، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة. [سير أعلام النبلاء: (١٦ / ٢٦ - ٢٧)].

(٤) الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي: الإمام، الحافظ، العارف، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، لم تذكر كتب التراجم تاريخ وفاته، قال الذهبي إنه عاش نحواً من ثمانين سنة. [تذكرة الحفاظ: (٢ / ٦٤٥)]

(٥) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشامي المعروف بالمبرّد، كان شيخ أهل النحو والعربية، وإليه انتهى علمها بعد طبقة أبي عمر الجرمي، وأبي عثمان المازني، وكان من أهل البصرة، وله الكتب النافعة في الأدب: منها كتاب الكامل وكتاب الروضة والمقتضب وغير ذلك، مات سنة خمس وثمانين ومئتين. [نزهة الألباء: (١٦٤)، وفيات الأعيان: (٣ / ٣١٤)].

(٦) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالقرّاء، الديلمي الكوفي مولد بن أسد، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، من كتبه: معاني القرآن، و"المذكر والمؤنث" و"كتاب اللغات"، و"ما تلحن فيه العامة" و"مشكل اللغة"، توفي سنة سبع ومئتين. [نزهة الألباء: (٨١)، وفيات الأعيان: (٦ / ١٧٦)].

٣. معاني القرآن للزجاج^(١).

ثانياً: أهم القواعد التي اعتمد عليها الإمام الرازي في تفسيره:

* فيما يخص مصادر التفسير:

١/ تفسير القرآن بالقرآن هو أقرب الطرق إلى الصدق والصواب^(٢).

٢/ السنة حجة في التفسير، مع التنبيه على حجية قول الصحابي في التفسير^(٣).

٣/ إتقان علم الأصول هو المنطلق لفهم دقائق القرآن^(٤).

* فيما يخص الاستنباط:

١/ تفسير كلام الله بما كان أكثر فائدة أولى^(٥).

٢/ تفسير كلام الله بما لا يحتاج معه إلى الإضمار أولى من تفسيره بما يحتاج إلى إضمار^(٦).

٣/ لا مانع من استخراج وجه من وجوه التفسير لم يذكره المتقدمون، وإلا لأصبحت الدقائق التي يستخرجها المفسرون المتأخرون باطلة كلها^(٧).

* فيما يخص الترجيح:

١/ التزام الوجوه الصحيحة في التفسير والابتعاد عن الوجوه الفاسدة. واختيار الوجه اللائق في التفسير بكلام الله تعالى والابتعاد عن الوجوه غير اللائقة^(٨).

* أدب المفسر:

ينبغي أن ينزه التفسير عن الكلام الفاحش، وعن الطعن في أولياء الله تعالى^(٩).

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج؛ فإنه كان من أكابر أهل العربية، وصنف مصنفات كثيرة؛ منها كتاب المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. [نزهة الألباء: (١٨٣)].

(٢) مفاتيح الغيب: (١٠ / ٤١).

(٣) مفاتيح الغيب: (٦ / ٨٢).

(٤) مفاتيح الغيب: (٢١ / ٦٦).

(٥) مفاتيح الغيب: (٣ / ٦١).

(٦) مفاتيح الغيب: (٧ / ١٩٠).

(٧) مفاتيح الغيب: (٩ / ١٧٧).

(٨) مفاتيح الغيب: (١٣ / ٢١٧).

(٩) مفاتيح الغيب: (٨ / ١٩).

ثالثاً: منيح الإمام الرازي في تفسيره:

الطريقة العامة للتفسير:

١- يبدأ تفسير الآية بذكر وجه مناسبتها لما قبلها غالباً، ثم يذكر القراءات في الآية، ثمَّ إنه يوضح معاني مفردات الآية الغريبة، ولا يتعرّض للإعراب إلا لما أشكل ودقّ، ثمَّ إنه يذكر ما يستنبط من الآية من مسائل فقهية، أو أصولية، أو عقدية، أو لغوي، أو صلتها بالآيات أخرى، وإنَّ كان للفرق - كالمعتزلة مثلاً - استدلالٌ بالآية فإنَّه يذكره ويردِّ عليهم، أو يُحيل إلى ردِّ سابق أو لا يحيل إلى شيء، إمَّا لأنه قد ذكر الرد في موضع آخر، أو لأنَّ المسألة واضحة في ضعفها وعدم صحَّتها، أو يذكر ما يتعلق بها من علوم كونية، أو يذكر تفسيراً إشارياً لها.

٢- تقسيم تفسير كل آية - أو جزء منها - إلى مسائل، وأبحاث، وسؤالات، ووجوه، وأنواع.

٣- يفسر الآيات الطوال جملةً جملةً، فيذكر ما يتعلق بكلِّ جملة من المسائل.

٤- يذكر الآراء بما لها وما عليها. ولا يألو جهداً في التَّرجيح واختيار الصواب.

٥- إن كان في الحجج المساقاة للآراء أدلَّة عقلية وأدلة نقلية، قدَّم ذكر الأدلَّة النقلية.

٦- يستفيض في بداية التفسير، فيذكر كل ما يتعلق بالآية تعلقاً مباشراً أو غير مباشر، وذلك يكون كالأصل لما بعده.

٧- إذا كان في السورة الواحدة أحكام كثيرة: فإنَّ الإمام الرازي يرتب هذه الأحكام مرقَّمة، مثال: الحكم الأوَّل.... الحكم الثاني.... كما في سورة البقرة، وفي سورة النساء.

٨- استفاد من الزمخشري أسلوب الفنقلة^(١)، وخاصة في معرض الردِّ على غيره.

٩- حصر الآراء السابقة، وسَوَّق الأدلة لها، ثمَّ إنه إمَّا أن يختار واحداً من هذه الوجوه بترجيحه، أو أن يذكر وجهاً آخر - خاصاً به - تبين له أنَّه الصحيح في تفسير الآية.

(١) هذه الكلمة نَحَتْ من كلمتين، هما (فإن قلت) أو (فإن قيل)، والنحت: هو الاختصار في التعبير، وهو صوغ كلمة من كلمتين أو أكثر.

[يُنظر: أصول اللغة، من أعمال لجنة أصول اللغة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف: مجموعة من الباحثين، ١٩٥٠م، الفقرة رقم ٨: (٤٨).]

التفسير بالمأثور عند الإمام الرازي:

الفكرة الشائعة عند كثير ممن لم يطلع على تفسير الرازي، أنه يقلل من الاعتماد على التفسير بالمأثور^(١)، لكن هذه الفكرة ليست صحيحة لأن الإمام الرازي يعتمد على التفسير بالمأثور كثيراً، فهو يستدلّ بالسنة النبوية في تفسيره القرآن، وينقل الأقوال المشهورة عن مفسري الصحابة عليهم السلام، وخاصة عبد الله بن عباس رضي الله عنها.

وكذلك نقل عن كبار مفسري التابعين مثل مجاهد^(٢)، وقتادة^(٣)، والسدي^(٤)، والحسن البصري^(٥)، وسعيد بن جبّير^(٦)، وأبي العالية^(٧)، ومحمد بن كعب القرظي^(٨).

(١) يُنظر: تعريف الدارسين: (٤٨٦)، الاستنباط عند الفخر الرازي: (٥٢).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي، أبو العباس، ابن عمّ رسول الله ﷺ، دعا له رسول الله ﷺ: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)، لُقّب بـ"ترجمان القرآن"، توفي سنة ثمان وستين. [الإصابة: (٢/ ٣٢٢-٣٢٦)].

(٣) مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، المقرئ المفسر الحافظ، سمع سعدا وعائشة وأبا هريرة وأم هانئ وعبد الله بن عمر وابن عباس، رضي الله عنهم ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن، وكان أحد أوعية العلم، توفي سنة ثلاث ومئة. [تذكرة الحفاظ: (١/ ٩٢)].

(٤) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه المفسر: حدث عن عبد الله بن سرجس وأنس بن مالك، رضي الله عنهم، وسعيد بن المسيب، مات بواسط في الطاعون سنة ثمان عشرة ومئة. [تذكرة الحفاظ: (١/ ١٢٢)].

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، مولى قريش، أبو محمد الكوفي، روى عن أنس وابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن عدي مستقيم الحديث صدوق، توفي سنة سبع وعشرين ومئة. [خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: (٩٣)].

(٦) الحسن بن أبي الحسن يسار الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري، حدث عن عثمان وعمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب وجندب البجلي وابن عباس وابن عمر وأبي بكر وعمر بن تغلب وجابر، رضي الله عنهم، مات سنة عشر ومئة. [تذكرة الحفاظ: (١/ ٧١)].

(٧) سعيد بن جبّير الوالي مولاهم الكوفي المقرئ الفقيه: أحد الأعلام سمع ابن عباس وعدي بن حاتم وابن عمر وعبد الله بن مغفل، رضي الله عنهم، خلق قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين. [تذكرة الحفاظ: (١/ ٧٦)].

(٨) أبو العالية الرياحي رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرئ، رأى أبا بكر ﷺ، وقرأ القرآن على أبي ﷺ وغيره، وسمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة رضي الله عنهم، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما مات سنة ثلاث وتسعين على الأصح. [تذكرة الحفاظ: (١/ ٦١)].

(٩) تقدمت ترجمته في أدلة الذين قالوا إنه لم يتمّ تفسيره.

كما نقل الإمام عن الطبري والثعلبي ^(١) الآثار المروية في التفسير في بعض المواضع، لكن هذه النقول تعدّ قليلة بالمقارنة مع حجم التفسير، وقد يختار الإمام الرازي قولاً غير هذه الأقوال الماثورة.

منهجه في القراءات:

(١) لم يلتزم بذكر القراءات في كلّ آية، إلا أنه يذكرها غالباً، خاصة إذا كانت متعلّقة بفرش الحروف ^(٢)، غير أنه قد يذكر ما يتعلق بالأداء.

(٢) يذكر في أحيان كثيرة حُجّة القراءة أو توجيهها ولا يقتصر في ذلك على القراءة المتواترة.

(٣) لم يلتزم بذكر القراءات المتواترة فقط، بل قد يذكر القراءة الشاذة ^(٣).

(٤) أحياناً يذكر القراءة مع النسبة لصاحبها، وقد لا يذكرها.

(٥) إذا كانت القراءة تفيد معنىً جديداً فإنه لم يلزم نفسه في كلّ مرّة بذكر كلّ المعاني التي تدلّ القراءات عليها.

(٦) يذكر في أحيان كثيرة أقوال أئمة اللغة في معنى القراءة أو موافقتها للغة .

(٧) يرجح الإمام بين القراءات المتواترة، لكن ليس على سبيل ردّ القراءة المرجوحة.

(٨) يدافع عن القراءات المتواترة، ويشنّع على من يردّ القراءة بدعوى مخالفتها لقواعد النحو.

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير المشهور، والعرائس في قصص الأنبياء. كان أوحد زمانه في علم القرآن، عالماً بارعاً في العربية، حافظاً موثقاً، مات سنة سبع وعشرين وأربعمئة. [طبقات المفسرين: (٢٨)]

(٢) أي ما قل دوره ولم يطرد، وإنما أطلق القراء عليه فرشا لانتشاره كأنه انفرش وتفرق في السور وانتشر. [شرح طيبة النشر: (١٦٨)]

(٣) القراءة الشاذة هي التي اختلف فيها شرط من شروط القراءة المتواترة. وهي: تواتر السند، وموافقة العربية، وموافقة الرسم القرآني، وهي ليست قرآناً. [يُنظر: منجد المقرئين: (١٨)].

المعاني اللغوية:

- في معاني المفردات الغريبة: يفسّر المفردات نقلاً عن كتب اللغة، وكتب إعراب القرآن، أو كتب التفسير السابقة له، مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية على المعاني اللغوية في أحيانٍ قليلة، والاستدلال بما ورد في القرآن الكريم من شرح لهذه المفردات.
- في النحو والإعراب: ينقل عن كتب إعراب القرآن مع نسبة الأقوال إلى أصحابها، ولا يكتفي الإمام الرازي بنقل الأقوال، بل يناقشها ويردّ عليها، وقد يرجّح رأياً له غيرها.

منهجه فيما يتعلق بالعقيدة:

إن الآيات القرآنية هي الأساس الذي بُنيت عليه مسائل الاعتقاد.

- (١) أول ما يهتمّ الإمام الرازي به في تفسيره هو تدعيم معتقد أهل السنة والجماعة وبيان أنّه مستمدّ من الأدلة القرآنية واستناداً إلى قواعد العقل السليم.
- (٢) دفاع الإمام الرازي عن عقائد أهل السنة ضدّ المشكّكين بها.

الرد على الفرق المبتدعة:

إنّ الفرق المبتدعة تعتمد لإثبات صحة دعاويها على آيات القرآن محاولةً بذلك خداع العامة والتسويق لمذاهبها؛ لتحظى بالقبول، ولتشكيك المسلمين في عقائدهم.

- ١- دور الإمام الرازي هو: بيان أنّ استدلالهم بالآيات القرآنية ليس صحيحاً، ثم يوضّح الصحيح الذي تدلّ عليه الآيات.
- ٢- تصدّى الإمام الرازي لكلّ آية استدللّ بها أهل الفرق المبتدعة - كالمعتزلة مثلاً - دفاعاً عن القرآن الكريم، وعن معتقد الناس من أهل الحق.

تثوير^(١) الآيات القرآنية للاستدلال للمسائل العقدية:

إن الإمام الرازي تكاد لا تَمَرُّ على آية يُستفاد منها مسألة عقدية في أصول العقيدة أو فروعها إلا ويذكرها، وقد يستفيض في ذلك.

تأويل الألفاظ الموهمة التشبيه:

لأهل السنة والجماعة قولان في النصوص الموهمة التشبيه بعد اتفاقهم على تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقات: الأول: تفويض المراد بهذه الآيات لله تعالى، والثاني: تأويل هذه الألفاظ بما يتوافق مع معهود العرب في خطابهم، وبما يوافق آيات القرآن الكريم المحكمة.

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهًا أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُزْمٌ تَنْزِيهًا^(٢)

والإمام الرازي في كتابه لا يقتصر على ذكر مذهب واحد، بل يذكر الرأيين، ويستفيض في تأويل الآية؛ لخطورة تلك المسائل، ودقّة مسلكها، فالحاجة إلى الشرح فيها ماسّة، مع ذكر الأدلّة على صحّة التأويل، سواءً أكانت عقلية أم نقلية. ثم إن الإمام الرازي لا يكتفي بذلك بل إنه يذكر أقوال الذين أثبتوا ظواهر الآيات، ويذكر أيضاً الردّ على استدلالهم إجمالاً أو تفصيلاً.

ومثال ذلك والتوسّع فيه يأتي عند الحديث عن المحكم والمتشابه في الفصل الثاني من هذه البحث.

تأييد الأدلة القرآنية بالبراهين العقلية:

إنّ الشرع الشريف جاء مستنداً إلى دلائل العقل السليم المبنية على البراهين القطعية التي تُعدّ حقائق مطلقة، لا تقبل النقض بالتجربة، ولا تتغير بتغيّر الزمان والمكان.

(١) ثَوَّرَ القرآن: بحث عن علمه. [القاموس المحيط: (٤٥٩)]

(٢) البيت الأربعون من أبيات منظومة جوهرية التوحيد في عقيدة أهل السنّة والجماعة، يُنظر شرح البيت: شرح جوهرية التوحيد: (١/ ٤٤٢) وما بعدها.

وحينئذٍ فإن الإمام الرازي عند تفسير للآيات لا يألو جهداً في أن يعزّز دلالات الآيات القرآنية بدلالات وبراهين العقل، وخاصةً فيما يتعلّق بالعقائد، أو في الردّ على استدلالات أهل الفرق بالقرآن الكريم على مذاهبهم الباطلة.

التفسير الإشاري^(١) عند الإمام الرازي:

يهتمّ الإمام الرازي بالتفسير الإشاري، بما لا يخالف ظاهر الآيات، ولم يلتزم بذكره في كلّ آية، وقد يذكر قول غيره ويردّه، ولكنه يُعلي من شأن ما يُستنبط من إشارات الآيات، ويرى أنّ ذلك فضلٌ من الله أنّ وفقه لاستنباطه.

رابعاً: مواضيع التفسير:

لم يقتصر الإمام الرازي في تفسيره على جانبٍ معيّن فتفسيره زاخراً بكلّ فنٍّ، فَمَنْ نظر في تفسيره طالباً التفسير بالمأثور وجده كثيراً، ومن نظر فيه طالباً التفسير بما تقتضيه علومُ اللغة العربية وجد ذلك أساساً من أسس تفسيره، ومن أراد أن يعرف ما قاله أرباب الفرق المبتدعة من تفسير لآيات القرآن مقروناً ذلك بردّ أهل السنة عليها، وجد ذلك حاضراً في تفسيره، ومن أراد أن يعرف اهتمام الإمام الرازي بالعقائد وتأصيلها والاحتجاج لها بما يؤكدها من أدلة عقلية وعقلية وجد بُغيته في هذا التفسير، ومن أراد أن يعرف كم حوى القرآن الكريم من علومٍ كونيّةٍ فليُنظر في تفسير الإمام الرازي، وأمّا عن الفقه وأصوله فالتفسير زاخراً بكلّ الاستدلالات الفقهية من آيات الأحكام، وزاخراً بالاستدلال للمسائل والقواعد الأصولية.

(١) التفسير الإشاري هو: "تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوّف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد

أيضاً. [مناهل العرفان: (٢/ ٧٨)]

المطلب الثالث: شبهات حول التفسير:

الشبهة الأولى: إن تفسير الإمام الرازي فيه كل شيء إلا التفسير:

قالوا عنه: جمع في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير^(١)، وقالوا عنه: "فيه كل شيء إلا التفسير"^(٢).

هكذا أطلقت العبارة على تفسير الرازي فتناقلها الناس ودارت على الألسنة ليُغمز بها الرازي وتفسيره عن قصد وبغير قصد.

وأرى أن المتأمل في هذه المقولة وله معرفة بتفسير الرازي يدرك أن فيها مغالاة ومبالغة زائدة، وحيثاً على التفسير وصاحبه، ولعل منشأ الخطأ ومجانبة الصواب في هذا الحكم إنما نتج عن عدم ملاحظة منهج الرازي في تفسيره والدافع على تأليفه، وهو: الدفاع عن القرآن الكريم، وتبرير جميع ما جاء فيه على ضوء القوانين العقلية، وتأييد استدلالاته في العقيدة بها، وإجابة الطاعنين والرد عليهم، حتى لا يبقى شك عند أحد في كونه من الله ﷻ، ولذا فهو يسخر في تفسيره المعارف الإنسانية لتحقيق هدفه، وهو إثبات توافق القرآن مع العقل السليم والإعجاز العلمي للقرآن، وإظهاره منزهاً عن التناقض الفكري العقلي، وإثبات حقائق النقل بدقائق العقل، حتى لا يستطيع ملحد أو ضال أن ينفذ من ثغرة غير مسدودة فيقطع في القرآن باسم العلم، فينطلي تزييفه على البسطاء، فتتعرض عقائد الناس إلى الهزات. إنه يمثل ذروة المحاولة العقلية لفهم القرآن، وإثبات سلامته من أي نوع من أنواع التناقض، مع اشتماله على تلك العلوم والمعارف الكثيرة^(٣).

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط: (١ / ٥٤٧) ناقلاً عن غيره، وموافقاً لهذا الرأي المنتقد لمنهج الإمام الرازي.

(٢) ذكر الصفدي هذه العبارة ناقلاً عن ابن تيمية. الوافي بالوفيات: (٤ / ١٧٩)، ولم أجدها فيما عندي من كتب ابن تيمية.

(٣) يُنظر: شبهات حول تفسير الرازي: (٦٥).

الشبهة الثانية: كثرة إيراد المسائل الكلامية وما يتعلق بعلم الكلام في تفسيره:

يُتَّهَمُ الإمامُ بأنَّه غلبت على تفسيره الصبغة الكلامية والجدلية وأكثر من الأدلة العقلية، وأنَّ تفسيره مليءٌ بشُبُهه المعتزلة وغيرهم^(١).

الردُّ على هذه الشبهة:

أولاً: قال الإمام الرازي: "اعلم أنَّ كثيراً من الفقهاء يقولون: إنَّه ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها المتكلِّمون، بل ليس فيه إلا ما يتعلَّق بالأحكام والفقه". وذلك غفلةٌ عظيمةٌ لأنَّه ليس في القرآن سورةً طويلةً منفردةً بذكر الأحكام، وفيه سورٌ كثيرةٌ -خصوصاً المكيَّات- ليس فيها إلا ذكر دلائل التوحيد والبعث والقيامة، وكلُّ ذلك من علوم الأصوليين، ومن تأمَّل عِلْمَ أنَّه ليس في يد علماء الأصول إلا تفصيل ما اشتمل عليه القرآن"^(٢).

ويقصد الإمام الرازي هنا بعلماء الأصول المتكلِّمين، حيث إنهم كانوا يعدُّون علم الكلام وعلم أصول الفقه "الأصلين".

ثانياً: إنَّ أصحاب الفرق -من المعتزلة أو غيرهم- لا يذكرون شُبُههم جُزافاً دون أدلَّةٍ، وإلا لما اقتنع أحدٌ بها، بل ما حصل أنَّ كلَّ فرقة من الفرق تستدلُّ بالآيات القرآنيَّة وتوجِّه الآية بما يخدم رأيها، ممَّا قد يسبِّب الالتباس على القارئ خاصَّةً إذا كان غيرَ مطلعٍ على شبههم.

فكلام أرباب الفرق لا يعدو أن يكون تفسيراً لهذه الآيات التي استدلُّوا بها، كما هو الحال عند المعتزلة مثلاً. فالذي يفعله الإمام الرازي في تفسيره أنه يذكر وجه استدلال المعتزلة -مثلاً- بالآية التي يفسِّرها من كلِّ الوجوه، ويردُّ هذه الوجوه التي ذكروها، ويذكر المعنى أو المعاني الصحيحة للآية. فهذا العمل ليس خارجاً

(١) الاستنباط عند الفخر الرازي: (٦١).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٧ / ٢٦٠).

عن عملية التفسير بل هو من صميمها؛ فإنَّ العودة إلى ما قاله المفسرون السابقون عملٌ مهمٌّ من أعمال المفسِّر الذي يهدف إلى الوصول إلى المعنى الصحيح للآية -على قدر طاقته-.

هل يمكن حذف المسائل الكلامية من تفسير الإمام الرازي على سبيل الاختصار أو التهذيب؟

الجواب عن ذلك من وجوه:

١/ إنَّ لكل مفسِّر شخصيةً علميةً يمتاز بها عن غيره، تظهر في عرضه للأقوال والاحتجاج لها، ثمَّ اختيار الرأي الصواب بحسب إمكان ذلك، وإنَّ إلغاء هذه الأقوال والردود عليها سيُلغي معظم جهود الإمام الرازي في تفسيره، وهويته العلمية لتحلَّ محلَّها هويَّة المختصر.

٢/ إنَّ كثيراً من الاستنباطات الممتازة في تفسير الإمام الرازي جاءت في سياق ردِّه على أقوال وآراء غيره، وحذف هذه المسائل سيلغي تلك الاستنباطات القيِّمة التي وردت فيها.

٣/ إنَّ الإمام الرازي قد نظَّم تفسيره إلى مسائل، ورأس كلِّ مسألة ينبئ عمَّا فيها، منها مثلاً مناسبة الآية، والقراءات، وسبب النزول، واللغة، والأحكام الفقهية، والمسائل التي فيها ردود على المعتزلة تبدأ بمثل قوله: "قالت المعتزلة"، فالقارئ الذي يشعر أنَّه لا يفهم، أو لا يهتم بمضمون هذه المسألة بإمكانه ألاَّ يقرأها بالانتقال إلى المسألة التي تليها.

٤/ إنَّ المكتبة الإسلامية فيها تفاسيرٌ طويلةٌ كتفسير الطبري، أو تفسير الرازي، أو تفسير روح المعاني، وفيها تفاسيرٌ متوسطةٌ الطول كتفسير النسفي^(١) مثلاً، وفيها ما يصلح للعوام فلا حاجة لاختزال تفسير الرازي؛ لأنَّ المطلوب أن يرتقي القارئ المبتدئ ليأخذ الكتاب تلوَّ الكتاب تصاعدياً في الطول والصعوبة، لا أن يُختصر كلُّ المطوَّلات، لتصبح كلُّها في مستوى العوام، أو بلونٍ واحدٍ يُراد للجميع ألاَّ يقرأ غيره.

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، صاحب التصانيف المفيدة: له المستصفى، والكافي في شرح الوافي، والوافي، وكنز الدقائق، والمنار في أصول الفقه، توفي سنة إحدى وسبع مائة. [الجواهر المضية: (١/ ٢٧٠)].

الشبهة الثالثة: أن الإمام الرازي يورد الشبهات في تفسيره ولا يردّ عليها:

أو: أنه يقرّر رأي الخصم ويوضحه أكثر من صاحبه، وعندما يردّ فإنه يضعف، بمعنى: أن ردّه لا يكون بالقوّة نفسها في عرضه لرأي الخصم^(١).

الردود على هذه الشبهة:

- إن الإمام الرازي يتوسّع في الردّ في مكانٍ واحدٍ، ويُسهّب في عرض أدلّة الخصم والردّ عليها من وجوه كثيرة، لكنه في المرات التالية لهذا الموضوع يُحيل إليه ولا يُعيد الكلام، أو يُعيد الكلام مختصراً، وقد لا يحيل اكتفاءً بما مرّ من قبل، وهذا ما عدّه بعض الخصوم ضعفاً عن الردّ.

الدليل على أنّه يحيل إلى أجوبته عن الشبهة إلى ما سبق ذكره أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَنَ﴾ [النساء: ١٨] قال: تعلّقت الوعيدية^(٢) بهذه الآية على صحة مذهبهم من وجهين... والجواب: أنّا جمعنا جملة العمومات الوعيدية^(٣) في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١] وأجبنا عن تمسكهم بها، وذكرنا وجوها كثيرة من الأجوبة، ولا حاجة إلى إعادتها في كلّ واحد من هذه العمومات^(٤). وذكر أيضاً في موضع آخر في ردّه على إحدى شبه المعتزلة: "واعلم أنّ الكلام على هذا النوع من الاستدلال مكرّر في هذا الكتاب".

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: (١٣ / ٥٥): حيث قال: كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجب عن ذلك بأدنى إشارة.

(٢) من سياق الكلام يُفهم أن المراد منهم هم المعتزلة؛ لأنّ أحد أصولهم الخمسة هو الوعد والوعيد، والمقصود به: إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر، وأن الله لا يقبل فيهم شفاعاً، ولا يخرج أحداً منهم من النار، فهم مخلصون في نار جهنم أبداً. وللاطلاع على رأي المعتزلة: يُنظر: شرح الأصول الخمسة: (٦١٩).

(٣) هذه العمومات هي نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، و﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، و﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] إلى غير ذلك من الآيات. يُنظر: شرح الأصول الخمسة: (٦٧٨).

(٤) مفاتيح الغيب: (٩ / ١٠).

- ذكر في تفسيره قصة عمرو بن عبيد ^(١) وأبي عمرو العلاء ^(٢): قال وذكر المعتزلة أن صاحبهم أفحمه ثم قال الإمام الرازي: "وعندي أن لأبي عمرو بن العلاء أن يُجيب عن هذا السؤال فيقول....." ^(٣). فهذا إمعانٌ في الردّ على المعتزلة وإكمالٌ لما يراه نقصاً في الردود.
- قد يكون الجواب سهلاً فلا يُحتاج إلى ذكره كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]: "قالت الحشوية ^(٤): هذه الآية من أدلّ الدلائل على المنع من النظر والاستدلال... ثم قال: وجوابه سهلٌ والله أعلم" ^(٥).
- أحياناً: يُجيب عن بعض الشُّبهات بأجوبةٍ كُليّةٍ: مثل قوله: "واعلم أنه متى شرعت المعتزلة في الحكمة والفلسفة والأمر والنهي، فلا طريقَ فيه إلا معارضته بسؤال الداعي؛ فإنه يهدم كلّ ما يذكرونه" ^(٦).

- قد لا يُجيب لكنه يُحيل القارئ إلى طرف المسألة ويذكره بعمقها: كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٣٩]: "احتجّ القائلون بأن الإيـمان يصحّ على سبيل التقليد بهذه الآية، قالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَمَآذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ مشعرٌ بأن الإتيان بالإيمان في غاية السهولة، ولو كان الاستدلال مُعْتَبَرًا لكان في غاية الصعوبة، فإننا نرى المستدلين

(١) عمرو بن عبيد بن باب، المتكلم الزاهد المشهور، شيخ المعتزلة في وقته، توفي سنة أربع وأربعين ومئة. [وفيات الأعيان: (٣/ ٤٦٠)].

(٢) أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام، مقرئ أهل البصرة، اسمه زيان على الأصح، أحد القراء السبعة، اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها: زيان، توفي سنة أربع وخمسين ومئة. [معرفة القراء الكبار: (١/ ٢٢٣)].

(٣) مفاتيح الغيب: (٧/ ١٨٤).

(٤) هم الذين يقولون إن معبودهم صورة ذات أبعاد وأعضاء، إما روحانية وإما جسمية، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكّن. [يُنظَر: الملل والنحل: (١/ ٩٣)].

(٥) مفاتيح الغيب: (١٣/ ٢٣).

(٦) مفاتيح الغيب: (١٣/ ١٣٤).

تفرغ أعمارهم ولا يتم استدلالهم، فدلّ هذا على أنّ التقليد كافٍ. أجاب المتكلمون بأنّ الصعوبة في التفاصيل، فأما الدلائل على سبيل الجملة فهي سهلة^(١).

- قد لا يجب على المسألة حيث يرى أنّ الجواب سهل، فيقول: "واعلم أنّ هذا الاستدلال ضعيف جداً، وضعفه ظاهر فلا حاجة فيه إلى الاستقصاء، والله أعلم"^(٢).

الشبهة الرابعة: كثرة إيراد الإمام الرازي للمسائل العلمية (الكونية) في تفسيره^(٣):

وهذه المسائل تكاد تغلب على التفسير وتقلل من أهميته.

ردّ الإمام الرازي على منتقديه في تفسيره فقال:

"وربما جاء بعض الجهّال والحمقى وقال: إنك أكثر في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حقّ التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه:

الأول: أنّ الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها، وأعادها مرّة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً، لما ملأ الله كتابه منها.

(١) مفاتيح الغيب: (١٠ / ١٠٤).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٢ / ١٧١).

(٣) ذكر محمد حسين الذهبي أنه يتوسع في ذكر العلوم الكونية حيث قال: "وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون لموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة؛ إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم".

والثاني: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [إف: ٦]، فهو تعالى حثَّ على التأمل في أَنَّهُ كَيْفَ بَنَاهَا، ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أَنَّهُ كَيْفَ بَنَاهَا، وكيف خلق كلَّ واحدٍ منها.

والثالث: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، فبيَّن أَنَّ عَجَائِبَ الْخَلْقَةِ وبدائعِ الْفِطْرَةِ في أجرام السماوات أَكْثَرُ وأَعْظَمُ وأَكْمَلُ ممَّا في أبدان الناس، ثمَّ أَنَّهُ تَعَالَى رَغَّبَ في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، فما كان أعلى شأنًا وأَعْظَمَ برهانًا منها أولى بأنَّ يَجِبَ التأمل في أحوالها، ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب.

والرابع: أَنَّهُ تَعَالَى مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض، فقال: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ولو كان ذلك ممنوعاً منه لما فعل.

والخامس: أَنَّ مَنْ صَنَّفَ كتاباً شريفاً مشتملاً على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتابٌ في تلك الدقائق، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان: منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة، من غير أَن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين. واعتقاد الطائفة الأولى - وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال - إلا أَن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى، وأيضاً فكلُّ من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر، كان اعتقاده في عَظْمَةِ ذلك المصنَّف وجلالته أكمل.

إذا ثبت هذا فنقول: من الناس من اعتقد أَنَّ جملة هذا العالم مُحَدَّثٌ وكلُّ مُحَدَّثٍ فله مُحَدِّثٌ، فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع تعالى، وصار من زمرة المستدلِّين، ومنهم من ضَمَّ إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي، والعالم السفلي، على سبيل التفصيل، فيظهر له في كلِّ نوعٍ من أنواع هذا العالم حكمةٌ بالغة

وأسرارٌ عجيبةٌ، فيصير ذلك جاريّاً مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله، فلا يزال ينتقل كلّ لحظةٍ ولمحةٍ من برهانٍ إلى برهانٍ آخر، ومن دليلٍ إلى دليلٍ آخر، فلكثرة الدلائل وتواليها أثرٌ عظيمٌ في تقوية اليقين، وإزالة الشبهات، فإذا كان الأمر كذلك، ظهر أنّه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار، لا لتكثير النّحو الغريب، والاشتقاقات الخالية عن الفوائد، والحكايات الفاسدة، ونسأل الله العون والعصمة^(١).

والخلاصة:

١ / إنّ مَنْ يقرأ في تفسير الرازي لا يراه يقول: إنّ هذه المسائل العلمية هي تفسيرٌ للآيات القرآنية، فمجرد ذكرها في التفسير لا يعني أنها تفسيرٌ للآية الكريمة، بل مرادُ الإمام أن يشرح ما يحيط به من الكون العظيم، فهو يشرح للقارئ ما يحيط بالآية المذكورة من الآيات الكونية؛ لأنّ ما ذُكر في القرآن قليلٌ بالنسبة إلى ما في الكون من آيات.

٢ / إنّ ما ذكره الإمام في تفسيره يدلّ على إعجاز القرآن الكريم؛ فإنه من لدن نزوله في عصر النبوة إلى يومنا هذا لم يجد العلماء له في عصرٍ من العصور أنّه يتعارض مع ما يعرفونه عن الكون من حولهم، وإنّ القرآن الكريم تقرّر العقول والأكوان بصحّة ما جاء فيه.

ولقائل أن يقول: إذا اكتشفنا خطأً أو عدم دقّة بعض ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره، فما فائدة إبقائها في التفسير؟

الجواب: ١ / إنّ الأمانة العلمية تقتضي إبقاء كلّ علمٍ على ما هو عليه؛ لأنّ اكتشاف العلوم والنظريات لن يتوقف، ووجود مسألةٍ غلط لا يعني أنّه يجب حذفها؛ فلم يحذف العلماء الأحاديث الموضوعية، ولا الأقوال التي لم يُعرف قائلها، ولا التي أخطأ فيها أصحابها بل اكتفوا بالتنبيه عليها.

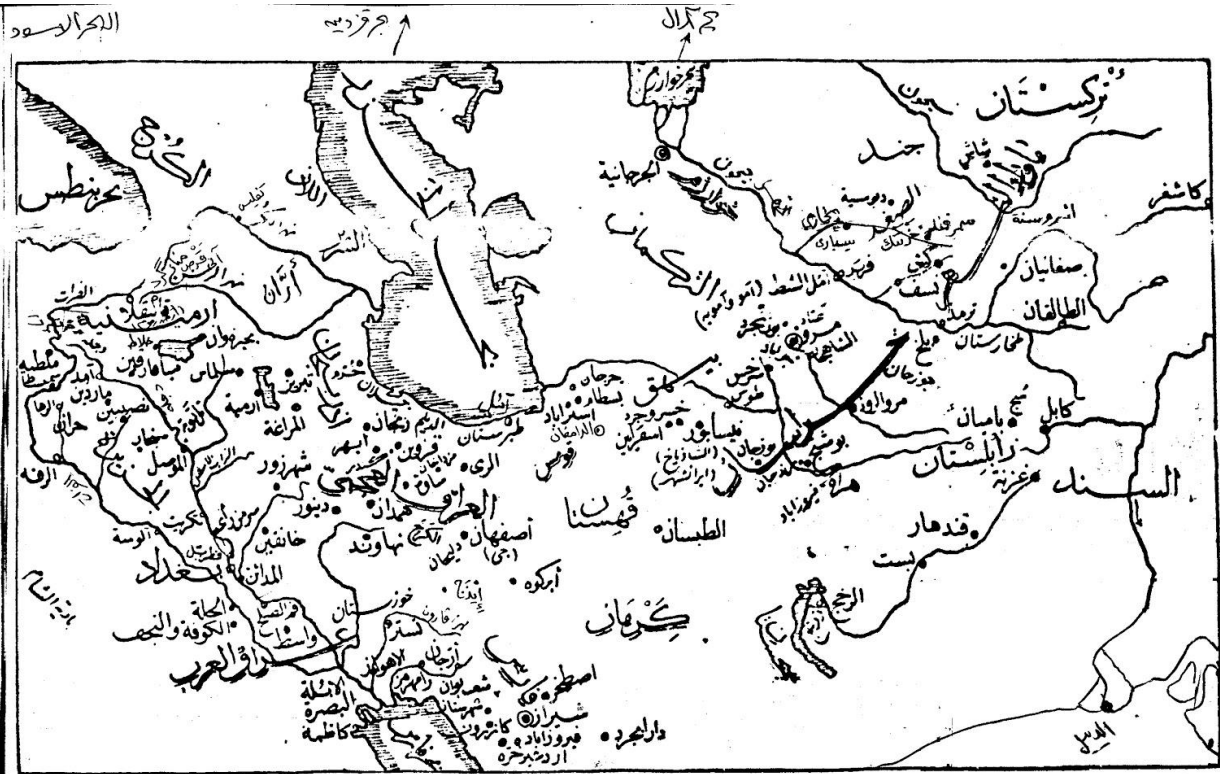
(١) مفاتيح الغيب: (١٤ / ١٢١).

٢ / إنَّ بقاءها يشهد أن القرآن الكريم لم يناقض يوماً العلم، بل هو باقٍ يحثُّ على التأمل في الكون، وسبر أغوار آياته.

الحل المقترح لقولهم (فيه كل شيء إلا التفسير) فيما يخص العلوم الكونية: إعادة نشر الكتاب وإحالة المسائل العلمية "الكونية" إلى لجنة علمية مختصة، وما كان من تفسير الإمام مخالفاً لما هو قطعيٌّ من علوم اليوم فيُشار إلى ذلك في الحاشية باختصارٍ، أمّا ما لا يعارض العلم القطعي فلا يشار إلى ذلك. فهذا غاية ما يمكن فعله من حيث تصحيح ما هو خطأ فعلاً، مع الحفاظ على التفسير على حاله، وهذا هو منهج المسلمين في الأمانة العلمية.

ملحق الصور الخاص بالفصل التمهيدي:

أولاً خريطة شرق العالم الإسلامي:



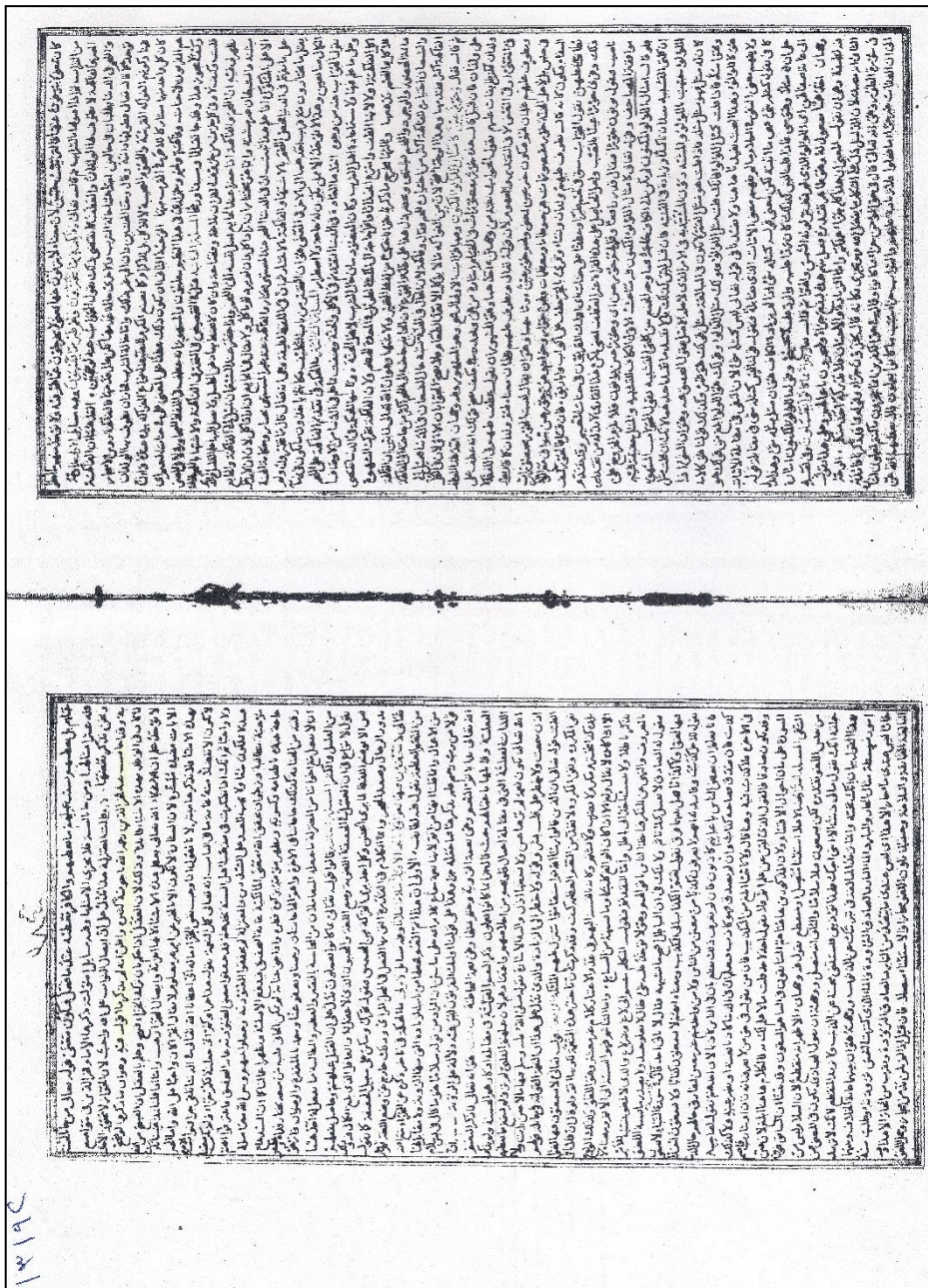
خريطة بعنوان (من العراق إلى ما وراء النهر) بعض الأماكن التاريخية أعدتها اللجنة للدراسات والبحوث (كتاب "الأعلام")

ثانياً: المخطوط رقم ٣٧٣: فيه إثبات كتابة الخويي في التفسير في سورة يس.

فحصل عند السامع خبر وصوت وطلب على ما هو الذي يسمع هو الذي كان قدى وعلم
الذات لم يجد العلم اسر ولا الحرف الى الكلام الذي عند جوار ذك بالعرفت فكون له
ان ذك بالذات في فكره وادركه فترى الحرف الذي عند وكونه واحد في ذك فترى
هذا الحرف عند هذا الحرف الذي كان على علم وهذا الصياح كان الذي كان هذا الصياح
ذلك يحصل عند مملوحتنا من التمر والاصفر في العكة او الكمان او الاشارة في الحرف
الذي عند الله وصلة لم يسمع على ما كان خصل عند السامع حرف وصوت واحد
من الحرف ونوع الاحلاق فانما قالوا في قول له خصل ما لم يسمع فافهم من هذا الكلام
من السامع بذلك الحرف عند الحرف والذات الذي عند عند السامع وحرف به الحرف
فصحا الى الذي كان مذكور كل شيء بالحق والوصف والظاهر والباطن وقال الله تعالى
ومن عن انزل اليه من ملكوت كبري على كل شيء انزل الى الملك والملك الى الملك والملك
صالح له جميع واما طهره في الاذن فافهم من هذا الحرف الذي كان على علم
ان يتجسس في الذوات والادب لسمع الذي كان على علم والسمع من الحرف والملك
كل الحرف في الحرف وهو فعل في الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
عند علمه قال في الحرف في الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
بالسمع والحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
وهما الله تعالى يتجسس في الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
الاصول في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
والعلم الى الحكم وما اخر ما عند الله في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
ملكون كل شيء الى الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
الظاهر والباطن في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
واستأمنه في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
ومن الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
في هذه الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
فهم في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
لا يسمع من ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
عند ذك في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
فان ذك في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
الكل في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف
الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف في ذلك الحرف

[illegible]

ثالثاً: المخطوط رقم ١٣١٩٢ لم ترد فيه القطعة من سورة الواقعة التي ليست من كلام الإمام الرازي.



الفصل الأول:

الجانب النظري من تفسير القرآن بالقرآن:

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: معنى تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمفردات:

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمفردات:

المطلب الثالث: معنى تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

- المبحث الثاني: حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الأول: أدلة حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الثاني: أقوال الإمام الرازي في حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الثالث: هل تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور أو بالاجتهاد؟

- المبحث الثالث: أسس تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

المطلب الأول: الاستفادة القصوى من آيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاستناد إلى علم أصول الفقه في التعامل مع دلالات الآيات.

المطلب الثالث: حُجِّيَّة القراءات المتواترة في تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الرابع: الاعتماد على لغة القرآن الكريم البالغة أعلى درجات الفصاحة.

المطلب الخامس: الاستدلال بالسياق القرآني.

المطلب السادس: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

المطلب السابع: الاعتماد على أصول مدرسة أهل السنة والجماعة في التفسير التي ترى القرآن الكريم سطوراً واحداً لا تتعارض آياته:

المبحث الرابع: أنواع ألفاظ تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

المطلب الأول: أنواع تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الثاني: ألفاظ تفسير القرآن بالقرآن:

المبحث الأول:

معنى تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمفردات:

أولاً: معنى التفسير: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرْتُ الشيءَ وفسرته^(١). والفسر: البيان. فسر الشيءَ يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله. وقوله عز وجل: ﴿وَاحْسَنَ تَقْوِيماً﴾ [الفرقان: ٣٣]؛ الفسر: كشف المعطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. واستفسرته كذا، أي: سألته أن يفسره لي. وكلُّ شيءٍ يُعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسيرته^(٢).

ثانياً: معنى القرآن:

نقل عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أن القرآن اسم لكلام الله تعالى وهو غير مشتق^(٣).

أما الذين ذكروا أن هذا اللفظ مشتق فقد اختلفوا في أصل اشتقاقه على ثلاثة أقوال:

الأول: بمعنى القراءة بمعنى التلاوة^(٤).

ثانياً: من القرء وهو الجمع^(٥)، مصدر من قول القائل: قرأت الماء في الحوض، إذا جمعته. وقال سفيان بن

عُيينة^(٦): سُمي القرآن قرآنًا؛ لأن الحروف جمعت فصارت كلمات، والكلمات جمعت فصارت آيات، والآيات

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤ / ٥٠٤).

(٢) لسان العرب: (٣٤١٢) مادة فسر.

(٣) لسان العرب: (٣٥٦٣).

(٤) لسان العرب: (٣٥٦٣)، ورجح هذا القول الدكتور نور الدين عتر. يُنظر: التفسير وعلوم القرآن: (٢١٩).

(٥) لسان العرب: (٣٥٦٣).

(٦) سفيان بن عُيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، ثقة فقيه حافظ حجة، من أتباع التابعين، مات سنة ثمان وتسعين ومئة. [تفريب التهذيب: (١ / ٣١٢)].

جُمِعَت فصارت سُوراً، والسُّورُ جُمِعَت فصارت قرآناً، ثم جُمِعَ فيه علومُ الأولين والآخِرِينَ^(١).

الثالث: من "قَرَن" بمعنى الاقتران^(٢): حيث إن آياته يقترن بعضها ببعض.

والرأي الراجح هو الرأي الأول؛ أي: أن لفظ "القرآن" من القراءة بمعنى التلاوة، لأنَّ له دليلاً من القرآن

الكریم حيث قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْهُ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، أي: إذا تلوناه عليك فاتبع تلاوته.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للمفردات:

أولاً: معنى التفسير:

- عرّفه الزركشي^(٣) بأنه: علمٌ يُعرَف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه،

واستخراج أحكامه وحكمه^(٤).

- وعرّفه أبو حيان^(٥) بأنه: علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها

الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالة التركيب، وتتمتُّ لذلك^(٦).

- وعرّفه ابن عاشور^(٧) بأنه: اسمٌ للعلم الباحث عن معاني ألفاظ القرآن، وما يُستفاد منها، باختصار

أو توسّع^(٨).

(١) مفاتيح الغيب: (١ / ١٧).

(٢) لسان العرب: (٣٥٦٣).

(٣) محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل المصري الشيخ بدر الدين الزركشي الشافعي، من كتبه "البحر المحيط" في أصول الفقه، و"شرح علوم الحديث لابن الصلاح" شرح جمع الجوامع للسبكي، مات سنة أربع وتسعين وسبعمئة. [الدرر الكامنة: (٥ / ١٣٤)]

(٤) البرهان في علوم القرآن: (١ / ١٣).

(٥) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الأصل الغرناطي المولد والمنشأ المصري الدار، أبو حيان، شيخ النحاة، من كتبه: البحر المحيط في التفسير، وارتشاف الضرب من كلام العرب، وشرح التسهيل. توفي سنة خمس وأربعين وسبعمئة. [طبقات الشافعية الكبرى]

(٦) البحر المحيط في التفسير: (١ / ٢٦).

(٧) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها. ولي قضاءها، ثم الفتيا فنقابة الأشراف، له كتب، منها: التحرير والتنوير، وشفاء القلب الجريح في شرح البردة، وهدية الأريب حاشية على القطر لابن هشام في النحو. وتوفي بتونس سنة ١٢٨٤ هـ. [الأعلام: (٦ / ١٧٣)].

(٨) التحرير والتنوير: (١ / ١١).

وقد ذكر أحد الباحثين المعاصرين أنَّ التفسير يقتصر على بيان معاني الآيات، وكلُّ ما وراء ذلك من استدلالات بالآيات فليس من التفسير، وعدَّ ما يستنبطه العلماء من أحكام ومسائل^(١)، وذلك مردودٌ عليه؛ لأنَّ الشأن في التفسير قد لا يكون معنى الآية في ذاته، إنما كيفية الاستدلال بالآية، أو كيفية التوفيق بين هذه الآية وآية أخرى، إلى آخر ما يوجد في كتب التفسير.

قال الإمام الرازي في رده على الذين يقولون إنَّ البحث في علم الكلام تكلفٌ في التفسير: "واعلم أنَّ كثيراً من الفقهاء يقولون: إنَّه ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها المتكلمون، بل ليس فيه إلا ما يتعلق بالأحكام والفقه، وذلك غفلةٌ عظيمةٌ؛ لأنَّه ليس في القرآن سورة طويلة منفردة بذكر الأحكام، وفيه سور كثيرة خصوصاً المكيات ليس فيها إلا ذكر دلائل التوحيد والنبوة والبعث والقيامة، وكلُّ ذلك من علوم الأصوليين ومن تأمَّل علِمَ أنَّه ليس في يد علماء الأصول إلا تفصيل ما اشتمل القرآن عليه على سبيل الإجمال"^(٢).

وقال الزركشي في البرهان: "ومعلومٌ أنَّ تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض؛ لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عامٍّ يُعوَّل في تفسيره عليه، ويُرجَع في تفسيره إليه من معرفة مفردات ألفاظه، ومركباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك"^(٣).

وبذلك يُعلَم أنَّ التفسير لا يُقتصر فيه على بيان الألفاظ فقط، بل إنَّ بيان الألفاظ بعضٌ ما يبحث فيه المفسِّر، ثمَّ قد يكتفي ببيان الألفاظ، أو يتوسع أكثر.

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والتفسير: (٦٤).

(٢) مفاتيح الغيب: (١ / ٤٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (١ / ١٥).

ثانياً: معنى القرآن:

تنوّعت تعاريف العلماء للقرآن بين إيجاز وإطناب؛ لأنّ كلّاً منهم نظر إلى مزية من مزايا القرآن الكريم، وعدّها كافيةً للتعريف به، فمنهم من اقتصر على الإعجاز، ومنهم من ذكر الإعجاز والتنزيل، ومنهم من ذكر الكتابة في المصاحف^(١).

- ما نُقِلَ إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً^(٢).

- اللفظ المنزّل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه المتعبّد بتلاوته^(٣).

- الكلام المنزّل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً^(٤).

أما التعريف المختار فهو: "كلام الله تعالى المنزّل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه"^(٥).

وهذا التعريف جمع كل التعريفات السابقة.

وقال الإمام الرازي في المقصود بكلام الله تعالى: إذا قلنا هذه الحروف المتوالية والأصوات المتعاقبة: إنها كلام الله تعالى، كان المراد أنها ألفاظ دالة على الصفة القائمة بذات الله تعالى، فأطلق اسم الكلام عليها على سبيل المجاز. وإذا قلنا: كلام الله قديم، لم نَعْنِ به إلا تلك الصفة القديمة التي هي مدلول هذه الألفاظ والعبارات، وإذا قلنا: كلام الله معجزة، عَنَيْنَا به هذه الحروف وهذه الأصوات التي هي حادثة، فإنّ القديم كان موجوداً قبل محمد ﷺ، فكيف يكون معجزة له؟ وإذا قلنا: كلام الله سُورٌ وآياتٌ، عَنَيْنَا به هذه الحروف، وإذا قلنا: كلام الله فصيحٌ، عَنَيْنَا به هذه الألفاظ، وإذا شرعنا في تفسير كلام الله تعالى، عَنَيْنَا به أيضاً هذه الألفاظ"^(٦).

(١) يُنظَر: مناهل العرفان: (١/ ١٩ - ٢٠).

(٢) المستصفى: (٨١).

(٣) جمع الجوامع: (١/ ٢٢٣).

(٤) إرشاد الفحول: (١/ ٨٥).

(٥) التفسير وعلوم القرآن: د. نور الدين عتر: (٢١٩).

(٦) مفاتيح الغيب: (١/ ٢١).

المطلب الثالث: معنى تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

يعني مطلق البيان للقرآن الكريم بالقرآن الكريم، على اختلاف أنواع بيان القرآن بالقرآن^(١).

• ماذا تشمل عملية التفسير؟

إنَّ بيان هذا المعنى يتوقَّف على شرحٍ وجيزٍ لما تشمله عملية التفسير، حيث إنها تشمل: المعنى اللغوي للمفردات والتراكيب المفهوم من لغة العرب ومعهودهم في الخطاب، والدلالات المذكورة في أصول الفقه، وما يُستفاد من السياق من معانٍ وأحكام، والردُّ على ما يُتوهم من إشكالٍ أو تعارضٍ بين الآيات.

وفي كل جزءٍ من عمليَّة التفسير يعتمد الإمام الرازي على القرآن الكريم.

• ماذا يشمل القرآن الكريم من حيث كونه مفسراً به؟

يشمل: الدلالات القطعية والظنية، والنظائر، والشواهد القرآنية اللغوية أو الفقهية أو البلاغية ...، والقرائن اللفظية، والمعهود القرآني.

• ما العلاقة بين الترجيح وتفسير القرآن بالقرآن؟

بدايةً إنَّ الترجيح لا يُتصور إلا عند تعدُّد الآراء التفسيرية أو وجوه التفسير للموضع الواحد من القرآن الكريم، ثمَّ إنَّ المفسر حين يُرجِّح رأياً من هذه الآراء، فإنه يذكر مزيداً من الأدلة -وهنا يخصُّ بالذكر الأدلة القرآنية- لهذا الوجه الذي اختاره، وهذا العمل ليس إلا مزيداً من التوضيح والتأييد للوجه التفسيري المختار وللاية المفسَّرة في آنٍ معاً، فهو بذلك تفسيراً للقرآن بالقرآن من حيث الانتهاء.

(١) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية: (١٨).

• إشكالٌ قد يعرض، والجواب عليه:

إذا قيل: إنّ كلمة القرآن لا تصدق إلا على السورة، وذلك من خلال التعريف "المعجز ولو بسورة منه"، فكيف نقول: إن هذا البحث في تفسير القرآن بالقرآن، مع أنه في غالبه تفسيرٌ لآيةٍ بآيةٍ -على تنوع في الكيفية- فليس ذلك تفسيرَ سورةٍ بسورةٍ؟

الجواب: إنّ الإمام الرازي يعتمد في تفسيره على أساسٍ مهمٍّ، وهو أنّ القرآن الكريم كالسورة الواحدة أو كالكلمة الواحدة - كما سيأتي في أسس تفسير القرآن بالقرآن -، ثمّ إنّ علماء علوم القرآن ذكروا أنّ القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً وليس كلّهُ، و"بعض القرآن" هو الآيات.

وأيضاً: فإن الإشكال مردودٌ بأن الإعجاز بسورةٍ منه، لا ينفي كونَ أقلّ من سورةٍ قرآناً؛ لأنّ هذا شرط الإعجاز لا شرط القرآنية.

المبحث الثاني:

حُجَّةُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ:

المطلب الأول: أدلة حُجَّةِ تفسیر القرآن بالقرآن:

أولاً: الدليل العقلي:

إنَّ الله ﷻ هو صاحب الخطاب، وهو أعلم بمراذه من غيره، فإذا كانت الآيات نزل بعضها مجَمَّلاً وفي الموضع الآخر مفصَّلاً، فالأولى حمل هذا على ذلك.

ثانياً: الدليل النقلي:

عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ ﷺ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ^(١) قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: بِشَرِّكَ، أَوْ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لَقْمَانَ لِبَنِهِ: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]^(٢).

(١) عبد الله بن مسعود الهذلي، أسلم قديماً، كان سادس سَنَةِ فِي الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ الْمَجْرَتَيْنِ، شَهِدَ بَدْرًا وَكَانَ صَاحِبَ نَعْلِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهِرَ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ، تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ. [الإصابة: (٢) / ٣٦٠ - ٣٦١].

(٢) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، رقم (٣٣٦٠)، وأخرجه مسلم: في كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، رقم: (١٢٤).

فقد أطلق لفظ الظلم في موضع فشاع في المعاني المعهودة من الظلم في عُرْف الخطاب، بينما هو مفسَّر في موضع آخرَ بالشرك، والذي يجعل الموضع الآخر متعيناً للبيان هو الفهم العالي لقواعد الشريعة وكلياتها، ومنهجها في تحديد أسباب النجاة وأسباب الهلاك، ممَّا يُعين على إلحاق الآيات بعضها ببعض^(١).

الدليل من الواقع العملي: إنَّ المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم فعلوا ذلك، كما علَّمهم رسول الله ﷺ.

١ - في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إذا كان يومُ القيامة، جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى منادٍ من عند الله: "ألا مَنْ كان يَطْلُبُ مَظْلَمَةً فليجئ إلى حَقِّهِ فليأخذْه". قال: فيفرح والله المرءُ أن يذُوبَ له الحقُّ على والده، أو ولده، أو زوجته، فيأخذ منه، وإن كان صغيراً، ومِصداق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١]... " ^(٢).

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]:

عن ابن عباس قال: "من نساء أهل الكتاب من يحلُّ لنا، ومنهم من لا يحلُّ لنا، ثم قرأ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩] . فمن أعطى الجزية حلَّ لنا نساؤه، ومن لم يُعْطِ الجزية لم يحلَّ لنا نساؤه" ^(٣).

(١) المدخل إلى أصول التفسير: (٣٢).

(٢) جامع البيان: (٨/ ٣٦٣).

(٣) جامع البيان: (٩/ ٥٨٨).

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]:

قال مجاهد: "إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطر، فيهلك الحرث
والنسل، والله لا يحب الفساد. ثم قرأ مجاهد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ
لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل
قرية على ماء جار فهو "بحر" ^(١).

٤- في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(٢) [النساء: ٩٥ - ٩٦]:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ^(٣): "الدرجات" هي السبع التي ذكرها في سورة براءة: ﴿مَا كَانَ
لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] فقرأ حتى بلغ: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]. قال: هذه السبع الدرجات. قال: وكان أول شيء، فكانت درجة
الجهاد مجملة، فكان الذي جاهد به له اسم في هذه، فلما جاءت هذه الدرجات بالتفصيل أخرج
منها، فلم يكن لها إلا النفقة، فقرأ: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾، وقال: ليس هذا لصاحب
النفقة. ثم قرأ: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [التوبة: ١٢١]، قال: وهذه نفقة القاعد ^(٤).

ثم إن علماء التفسير جميعهم استدلوا بالقرآن الكريم في تفاسيرهم، وهذا موضع اتفاق بينهم، وهم في ذلك
على تفاوت بين توسع وتضييق.

(١) جامع البيان: (٤/ ٢٤٠).

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، ضعيف من أتباع التابعين، توفي سنة اثنتين وثمانين ومئة. [تقريب التهذيب: (١/ ٤٨٠)].

(٣) جامع البيان: (٩/ ٩٨).

وفي "مقدمة أصول التفسير": أحسن طرق التفسير أن يُفسَّر القرآن بالقرآن؛ فما أُجْمِلَ في مكان فقد فُصِّلَ في موضع آخر، وما اختُصِرَ في مكانٍ فإنه قد بُسِطَ في آخر^(١).

وقال الزركشي: "يجوز بيان القرآن بالقرآن: كقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ [النساء: ٧] بيّنه بقوله تعالى: ﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِيْ أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] الآية"^(٢).

المطلب الثاني: أقوال الإمام الرازي في حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:

قال الإمام الرازي في كتابه (المحصول): في "كيفية الاستدلال بالخطاب": "الخطابُ إمّا أن يدلَّ على الحكم بلفظه، أو بمعناه، أو لا يكون كذلك، ولكنه بحيث لو ضُمَّ إليه شيء آخر، لصار المجموع دليلاً على الحكم". ثم قال: "القسم الثالث: ما يكون بحيث لو ضُمَّ إليه شيء آخر لصار المجموع دليلاً على الحكم، فنقول: ذلك الذي يضم إليه إمّا أن يكون دليلاً شرعياً؛ وهو نص، أو إجماع، أو قياس، أو يكون ذلك بشهادة حال المتكلم. فهذه وجوه أربعة، أحدها: أن ينضمَّ إلى النص آخر فيصير مجموعهما دليلاً على الحكم، وله مثالان، الأول: أن يدلَّ أحد النصين على إحدى المقدمتين، والثاني على الثانية، فيحصل المطلوب، كقولنا: تارك المأمور عاصٍ؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣]، والعاصي يستحق العقاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤]. الثاني: أن يدلَّ أحد النصين على ثبوت الحكم لشيئين، ويدلَّ النص الآخر على أن بعض ذلك لأحدهما؛ فوجب القطع بأن باقي الحكم ثابت للثاني، كقوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فهذا يدل على أن مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فهذا يدل على أن مدة الرضاع ستان، فيلزم أن تكون مدة الحمل ستة أشهر"^(٣).

(١) مقدمة في أصول التفسير: (٣٩).

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه: (١٠٢/٥).

(٣) المحصول: (١٧٨/١ - ١٧٩).

ما يستفاد من النصّ: طريقة الوصول إلى الحكم هو أن يفسّر الخطاب -وهو القرآن- بنصّ آخر -هو القرآن، وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن.

وقد ذكر الإمام الرازي في مواضع عدة من تفسيره ما يدلّ على أنّ تفسير القرآن بالقرآن أولى من غيره؛ لأسباب عدّة، من ذلك ما ذكره في هذه المواضع:

١ - أنّ التفسير بما جاء في القرآن الكريم أقرب الطرق إلى الصواب:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]: تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصديق والصواب، والله أعلم^(١).

٢ - لأنه لا مزيد على بيان الله تعالى:

فإذا جاء التفسير في القرآن الكريم لم يبق دورٌ لكلام البشر لا في الحجية ولا في البلاغة، فلا يحتاج ما بيّنه الله إلى زيادةٍ في الشرح والإيضاح.

وهذا التعبير استخدمه الإمام الرازي في مواضع عدّة من تفسيره، منها: قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]:

هذه الآية هي الحجة الثانية في هذا الموضع على صحة مذهبنا في مسألة خلق الأفعال^(٢)، وإرادة الكائنات، وتقريره من وجوه، الأول: أنه تعالى بيّن باللفظ الصريح أنه خلق كثيراً من الجنّ والإنس لجهنّم، ولا مزيد على بيان الله^(٣).

٣ - أن القرآن الكريم أصل العلوم كلها:

(١) مفاتيح الغيب: (١٠ / ٤٢).

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد واقعةٌ بقدرة الله، يُنظر: مذهب أهل السنة في مسألة أفعال العباد: المواقف: (٣١٥) وما بعدها.

(٣) مفاتيح الغيب: (١٥ / ٦٠).

ويقصد الإمام الرازي بهذا أن يعود إليه علماء العلوم الشرعية كلها؛ لإعجازه وفصاحته وحجّيته وتنوّع مواضيعه.

قال: "القرآن أصل العلوم كلها؛ فعلم الكلام كلّ في القرآن، وعلم الفقه كلّ مأخوذ من القرآن، وكذا علم أصول الفقه، وعلم النحو، واللغة، وعلم الزهد في الدنيا، وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق" (١).

ولهذا فإنّ الإمام الرازي في تفسيره يعتمد على ما جاء في القرآن في تفسيره للآيات فيما يتعلق بهذه العلوم، والأمثلة التي تدعم هذه الفكرة نجدها في فصل الاستدلال بالقرآن الكريم وهو الفصل الثالث من هذه الدراسة.

٤ - ليس بعد بيان الله بيان:

فهذا يعني أنّ ما بيّنه الله تعالى لا يحتاج إلى بيان؛ فالمبيّن لا يُبيّن، بل يُعمل به مع الاطمئنان إلى ثبوته.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]: "واعلم أنّ كلّ عقدٍ تقدّم لأجل توثيق الأمر وتوكيده فهو عهدٌ، فقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ نظيرٌ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] فدخل في قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ كلّ عقدٍ من العقود: كعقد البيع، والشركة، وعقد اليمين، والنذر، وعقد الصلح، وعقد النكاح. وحاصل القول فيه: أنّ مقتضى هذه الآية أنّ كلّ عقدٍ وعهدٍ جرى بين إنسانين، فإنّه يجب عليهما الوفاء بمقتضى ذلك العقد والعهد، إلا إذا دلّ دليلٌ منفصلٌ على أنّه لا يجب الوفاء به، فمقتضاه الحكم بصحّة كلّ بيعٍ وقع التراضي به، وبصحّة كلّ شركة وقع التراضي بها؛ ويؤكد هذا النصُّ بسائر الآيات الدالّة على الوفاء بالعهود والعقود ... فجميع هذه الآيات والأخبار دالّة على أنّ الأصل في البيوعات والعهود والعقود الصحّة ووجوب الالتزام. إذا ثبت هذا فنقول: إنّ وجدنا نصّاً أخصّ من

(١) مفاتيح الغيب: (٢/ ١١٢).

هذه النصوص يدلّ على البطلان والفساد، قَضَيْنَا به تقديماً للخاصّ على العامّ، وإلا قَضَيْنَا بالصّحّة في الكلّ. وأمّا تخصيص النصّ بالقياس فقد أبطلناه. وبهذا الطريق تصير أبواب المعاملات على طولها وإطنابها مضبوطة معلومةً بهذه الآية الواحدة، ويكون المكلف آمن القلب مطمئنّ النفس في العمل؛ لأنّه لما دلّت هذه النصوص على صحتها فليس بعد بيان الله بياناً، وتصير الشريعة مضبوطة معلومةً^(١).

٥ - القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً:

قال في بداية تفسير سورة قريش: "المشهور المستفيض أنّ هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل، وأمّا تعلّق أوّل هذه السورة بما قبلها فليس بحجّة على ما قالوه^(٢)؛ لأنّ القرآن كلّهُ كالسورة الواحدة، وكالآية الواحدة، يُصدّق بعضها بعضاً، ويُبيّن بعضها معنى بعض؛ ألا ترى أنّ الآيات الدالّة على الوعيد مطلقة، ثمّ إنّها متعلّقة بآيات التوبة، وبآيات العفو عند من يقول به"^(٣).

وكلام الإمام الرازي هنا غنيٌّ عن الشرح وواضح في أولوية تفسير القرآن بالقرآن، وفي تعاضد الآيات فيما بينها وترباطها.

فمن هذه العبارات الخمسة المختارة من كلام الإمام الرازي يتبيّن تمسّكه بتفسير القرآن بالقرآن، وتقديمه على سائر المصادر الأخرى للتفسير، وهذا ظاهرٌ جليٌّ في كتابه كلّهُ، وذكرُ الأقوال مفصلة لا يعني التغيّر بينها، ولا كثرة التفرّع، إنّما القصد بيان دقّة الإمام في اصطلاحاته.

(١) مفاتيح الغيب: (٢٠ / ٢٠٥).

(٢) يقصد الوجوه التفسيرية التي ذُكرت في تعليق اللام بما ذكر في سورة الفيل، وقد ذكرها الزجاج والفراء وأبو عبيدة. [يُنظر: مفاتيح الغيب: (٣٢ / ١٠٣)]

(٣) مفاتيح الغيب: (٣٢ / ١٠٤).

المطلب الثالث: هل تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور أو الاجتهاد؟

الباحثون المعاصرون في التفسير قسّموا التفاسير إلى تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، وعندما ذكروا التفسير بالرأي قالوا إنّ هذا التفسير منه ما هو مرفوض، ومنه ما هو محمود، والتفسير بالرأي المحمود عندهم هو: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانت به في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر^(١).

وأما التفسير بالمأثور: فهو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن رسول الله ﷺ، وما نُقل عن الصحابة رضي الله عنهم، وما نُقل عن التابعين من كلّ ما هو بيانٌ وتوضيحٌ لمراد الله تعالى من نصوص القرآن الكريم^(٢).

و في الجواب على هذا السؤال تفصيل:

إذا قلنا: إنّ القرآن الكريم من الدلائل السمعية - أي: التي يُعتمد فيها على النقل - فإن تفسير القرآن بالقرآن هو تفسير دليلٍ سمعيٍّ بدليلٍ سمعيٍّ. وها هنا ينبغي أن يكون التفريق دقيقاً:

- من حيث المفسّر والمفسّر به:

تفسير القرآن الكريم بمنقولٍ هو القرآن، كتفسير القرآن الكريم بالسُّنة النبوية وهي منقولةٌ أيضاً؛ وذلك لأنّ كليهما في أصله خبر، ومزيّة القرآن الكريم أنّ نظمه معجزٌ، وأتته منقولٌ إلينا بالتواتر، وأمّا السُّنة فليست كلّها متواترةً.

(١) التفسير والمفسرون: (١) / (٢٢١).

(٢) التفسير والمفسرون: (١) / (١٣٧).

- من حيث المفسّر:

إنّ الذي يقوم بالتفسير هو بشرٌ "مجتهد بدرجةٍ ما" وعَمَلُهُ هو الرّبط بين الآيات القرآنية، وهذا العمل وما ينتج عنه عملٌ لبشرٍ، قد يُخطئ وقد يُصيب، ويدلّ على ذلك أنّ الإمام الرازي كان يردّ خطأ غيره في تفسير القرآن بتفسيره للقرآن بالقرآن. وهذا يعني أنّ هذا التفسير محض اجتهادٍ مُستندٍ إلى أدلّةٍ نقليّةٍ - هي آيات القرآن - وفق أسسٍ معيّنة، بينما غيره من الاجتهادات يعتمد على أدلّةٍ أخرى.

ولهذا فإنّ تفسير القرآن بالقرآن من الجهة الأولى تفسيرٌ بالمأثور، ومن الجهة الثانية تفسيرٌ اجتهادي.

المبحث الثالث:

أسس تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

يتعلّق هذا المبحث بالأصول التي بنى عليها الإمام الرازي تفسير القرآن بالقرآن، وهذه الأسس تنضوي تحت أصول التفسير عنده، وهي مستنبطة من كلامه في التفسير، ومنهجه في الاستدلال، وطريقته في الترجيح واختيار المعاني.

وهذه الأسس هي:

- ١ - الاستفادة القصوى من آيات القرآن الكريم.
 - ٢ - الاستناد إلى علم أصول الفقه في التعامل مع دلالات الآيات.
 - ٣ - حُجِّيَّة القراءات المتواترة في تفسير القرآن بالقرآن.
 - ٤ - الاعتماد على لغة القرآن الكريم البالغة أعلى درجات الفصاحة.
 - ٥ - الاستدلال بالسياق القرآني.
 - ٦ - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.
 - ٧ - الاعتماد على أصول مدرسة أهل السنة والجماعة في التعامل مع القرآن الكريم على أنّه سطرٌ واحدٌ.
- وفي المطالب الآتية شرحٌ لهذه الأسس:

المطلب الأول: الاستفادة القصوى من آيات القرآن الكريم:

نتج عن أولوية أدلة القرآن الكريم عند الإمام التي ذكرت في المبحث السابق الاستفادة القصوى من القرآن الكريم كله في التفسير باعتماد عادة القرآن في التفسير، والنظائر، وتتبع تكرار الآيات للوصول إلى المعنى المقصود، واستخراج قوانين تُعين على الجمع بين الآيات القرآنية ونفي التعارض عنها.

- فمن تتبّع التكرار يُتوصّل إلى معانٍ أصيلة في القرآن الكريم يُعوّل عليها عند التفسير.

مثاله: ذكر الإمام الرازي في تفسيره لسورة الفاتحة أنّ القرآن الكريم مملوءٌ من الآيات الدالة على أسماء الله تعالى بحسب الصفات السلبية^(١).

قال: " في الأسماء الواقعة بحسب الصفات السلبية: واعلم أنّ القرآن مملوءٌ منه، وطريق الضبط فيه أنّ يقال: ذلك السلب إمّا أن يكون عائداً إلى الذات، أو إلى الصفات، أو إلى الأفعال....". وذكر مع كل قسمٍ من الأقسام الآيات الدالة عليه في القرآن الكريم.

- وأمّا اعتماده على عادة القرآن: فإنه يقوم بتتبّع استعمال اللفظ أو التركيب في الدلالة على معنى مُعيّن، أو في الربط بين معنيين أو أكثر، وسواءً أكان الاستعمال استعمالاً أغلياً - بأن كانت الكثرة الكاثرة من الاستعمال متفقة في دلالتها على معنى واحد، أم مُطرداً بأن يكون الاستعمال في جميع المواد متفقاً على معنى واحد، أو عادةً في أسلوب القرآن^(٢).

أ- في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِالتَّامَةِ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِينَ

السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]

(١) الصفات التي دلّت على سلب ما لا يليق بالله تعالى، وتسلب عن الأذهان أضدادها، وهي خمس صفات: القدم، والبقاء، ومخالفة الحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية [يُنظر: شرح جوهرة التوحيد: (١/ ٢٨٣) وما بعدها].

(٢) يُنظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ١٧٢) وما بعدها.

قال: "من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد وبيان الوعظ والنصيحة وبيان الأحكام مختلطاً بعضها ببعض ليكون كل واحد منها مقوياً للآخر ومؤكداً له" (١).

ب- في تفسير قوله تعالى: ﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]

قال: "عادة القرآن في الأكثر جارية بأن ما كان من الثواب والرحمة فإن الله يضيفه إلى نفسه، وما كان من العقاب لا يضيفه إلى نفسه؛ قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨] و﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] فلما أضاف هذه الدرجات إلى نفسه حيث قال: ﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ أَهْلِ الثَّوَابِ" (٢).

فها هنا استدل الإمام الرازي بعادة القرآن في شرح تركيب هذه الآية.

وأما استخراج القانون: فهو أن يتتبع المفسر كل الآيات الواردة في معنى ما، ثم يستخرج أصلاً يعتمد عليه في فهم هذا المعنى.

في قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]

قال: "إبراهيم عليه السلام حاجهم في الله، وهو قوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، والقوم أيضاً حاجوه في الله، وهو قوله تعالى خبراً عنهم: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ﴾، فحصل لنا من هذه الآية أن الحاجة في الله تارة تكون موجبة للمدح العظيم والثناء البالغ، وهي الحاجة التي ذكرها إبراهيم عليه السلام، وذلك المدح والثناء هو قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وتارة تكون موجبة للذم، وهو قوله: ﴿قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ﴾، ولا فرق بين هذين البابين، إلا أن الحاجة في تقرير الدين الحق توجب أعظم

(١) مفاتيح الغيب: (٦/ ٢٤).

(٢) مفاتيح الغيب: (٩/ ٧٦).

أنواع المدح والثناء، والمُحاجة في تقرير الدين الباطل توجب أعظم أنواع الذم والزجر. وإذا ثبت هذا الأصل صار هذا قانوناً معتبراً، فكلُّ موضعٍ جاء في القرآن والأخبار يدلُّ على تهجين أمر المُحاجة والمناظرة، فهو محمولٌ على تقرير الدين الباطل، وكلُّ موضعٍ جاء يدلُّ على مدحه، فهو محمولٌ على تقرير الدين الحق والمذهب الصدق، والله أعلم" (١).

(١) مفاتيح الغيب: (١٩ / ٥٩).

المطلب الثاني: الاستناد إلى علم أصول الفقه في التعامل مع دلالات الآيات:

اشتمل علم أصول الفقه ^(١) على الضوابط التي تساعد على فهم النص وتحليل دلالاته، ولذلك وجبت عناية المفسر به.

أهمية أصول الفقه في التفسير:

قال الإمام الرازي: " هذه الدقائق لا يمكن فهمها من القرآن إلا بعد إتقان علم الأصول، وأقول: يبعد أن يصير غير علم الأصول العقلي قاهراً في تفسير كلام الله " ^(٢).

يفهم من هذه العبارة أن الإمام الرازي اعتبر علم أصول الفقه -وهو بعض علم الأصول العقلي- هو المنطلق الأول في التفسير، وهو المعين على فهم دقائق القرآن.

وقال الإمام الغزالي في حديثه عن العلوم المحمودة: "الضرب الرابع: المتممات: وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ: كتعلم القراءات، ومخارج الحروف، وإلى ما يتعلق بالمعنى: كالتفسير فإن اعتماده أيضاً على النقل؛ إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به، وإلى ما يتعلق بأحكامه: كمعرفة النسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، وهو العلم الذي يُسمى أصول الفقه " ^(٣).

فمن كلام الإمام الغزالي يفهم أنه لا تتم معرفة أحكام القرآن بغير الأخذ بعلم أصول الفقه؛ ليفهم القرآن بعضه ببعض، وهو ما أقصده حين أقول حمل دلالات الآيات بعضها على بعض.

وعلى هذا فإن العلماء الذين ألفوا في علوم القرآن أفردوا أنواعاً -أي مباحث- خاصة بكل نوع مما ذكره الغزالي، فضلاً عن أن علماء أصول الفقه درسوا ذلك تفصيلاً، ووضعوا شروطاً وقواعد لحمل هذه

(١) هي أدلة الفقه، وجهات دلالاتها على الأحكام الشرعية، وكيفية الاستدلال بها، من جهة الجملة لا من حيث التفصيل. [الإحكام: (١/٢٣)]

(٢) مفاتيح الغيب: (٢١/٦٦).

(٣) إحياء علوم الدين: (١/١٤).

الدَّلالات بعضها على بعض، واتفقوا في بعضها، واختلفوا في بعضها الآخر، وكلُّ ذلك في سبيل الفهم الصحيح للأحكام المستمدة من آيات القرآن الكريم.

وقال ابن عاشور في مقدّمة تفسيره: "وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدّونه من مادّة التفسير، ولكنهم يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم، وهي من أصول الفقه، فتحصّل أنّ بعضه يكون مادّة للتفسير، وذلك من جهتين، إحداهما: أنّ علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة، هي من طرق استعمال كلام العرب، وفهم موارد اللغة، أهمل التنبيه عليها علماء العربية، مثل: مسائل الفحوى^(١)، ومفهوم المخالفة^(٢)، وقد عدّ الغزاليّ علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه، فلا جرّم أنّ يكون مادّة للتفسير.

الجهة الثانية: أنّ علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط، ويُفصّل عنها، فهو آلة للمفسّر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها." ^(٣)

فهذا تأكيد آخر على أهمية أصول الفقه في ضبط عملية الاستنباط، وأنها الأساس المعتمد الذي يُرجع إليه للاستنباط والترجيح.

ومن أعظم مقاصد المفسر أن يُلمّ بالأدوات والآليات التي يتمكّن بها من تحليل التركيب، وتفكيك النصّ وفهمه، وخدمة النصّ تحليلاً وتفكيكاً، والإحاطة بأجزائه وكتّياته، والسّبر لألفاظه وتراكيبه، والتوصّل إلى أغراضه ومقاصده، والتقنين لأساليب ومسالك الاستنباط منه، وذلك هو الهدف الذي يسعى إليه المفسّر، ويسعى إليه الأصوليّ على حدّ سواء.

(١) مفهوم الموافقة حين يكون المسكوت عنه موافقاً للملفوظ به، فإن كان أولى بالحكم من المنطوق به فيسمّى فحوى الخطاب. [إرشاد الفحول: (٢/ ٣٧)].

(٢) مفهوم المخالفة: وهو حيث يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور في الحكم، إثباتاً أو نفيّاً، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، ويسمى دليل الخطاب؛ لأنّ دليله من جنس الخطاب، أو لأنّ الخطاب دال عليه. [إرشاد الفحول: (٢/ ٣٨)]

(١) التحرير والتنوير: (١/ ١٧).

وقد عُني الأصوليون بهذه القضايا، وحرّروها، ودقّقوا فيها تدقيقاً زائداً، ولخّصوا تلك المقدمات التي يتوقّف عليها تحقيق أغراضهم من تلك العلوم الأخرى، مع استقراء زائد يليق بمقصودهم، حتّى استوى علم الأصول، ونضجت فيه تلك البحوث، وبلغت حدّاً متقدماً جداً من التحرير والانضباط، حتّى إنهم حرّروا بحوثاً من علوم اللغة، ومن علوم النحو، ومن علوم البلاغة، وغيرها، وجعلوها أبواباً في علم الأصول.

ومدار عمل المفسّر تحليل ألفاظ النصّ، وإدراك مدلولاتها، والإحاطة بمواقع الكلام، ومعرفة طرائق تحليله واستخراج مضامينه، فرجع الأمر إلى باب دلالة الألفاظ على المعاني، والذي هو أعمق وأدقّ أبواب الأصول.

والناظر في فنّ الأصول يستفيد نسقاً كلياً للتفكير، يرث من خلاله أصولاً كبرى للنظر، وإلى أبواب التعارض والترجيح وكيف يُسلك فيها، وإلى الاستدلال، وكيفية استخراج جهة الدلالة من النصوص... إلى غير ذلك^(١).

وقال الإمام الغزالي عن علم دلالات الألفاظ: "هو عمدة علم الأصول؛ لأنّه ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها، واجتنائها من أغصانها؛ إذ نفس الأحكام ليست ترتبط باختيار المجتهدين، ورفعها، ووضعها، والأصول الأربعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل لا مدخل لاختيار العباد في تأسيسها ووضعها، وإنما مجال اضطراب المجتهد واكتسابه: استعمال الفكر في استنباط الأحكام، واقتباسها من مداركها، والمدارك هي الأدلة السمعية"^(٢).

وأما الأمثلة على اعتماد الإمام الرازي على أصول الفقه في تفسير القرآن بالقرآن، وحمله دلالات الآيات على بعضها فهي في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(١) يُنظر: المدخل إلى أصول التفسير: (٤١) وما بعدها.

(٢) المستصفى: (١٨٠).

المطلب الثالث: القراءات المتواترة حُجَّةٌ في تفسير القرآن بالقرآن:

* تعريف القراءات:

علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزّوًّا لناقله^(١).

* شروط القراءة التي يصحّ أن يقال إنها قرآن:

١ - تواتر سندها: لأنّ كلّ قراءةٍ لم تتواتر لا تُعدّ قرآنًا.

٢ - موافقة العربية ولو بوجه.

٣ - موافقة أحد المصاحف العثمانية في الرسم ولو احتمالاً^(٢).

* ما هي القراءة المعتمدة في تفسير القرآن بالقرآن؟

القراءة المعتمدة هي القراءة المتواترة فقط، وأما القراءة الشاذة فليست من القرآن الكريم، ولكن قد يُحتجّ بها على أنها شاهد من الشواهد، فقد نصّ الإمام على أنها تجري مجرى خبر الواحد لكنها ليست بنفس قوة حجّية القرآن الكريم، فهي صالحة لترجيح تأويل على تأويل^(٣) لكنها ليست حجة في ذاتها^(٤).

* ثبوت القراءات القرآنية وأهمية الاعتماد عليها في التفسير:

قال الإمام الرازي حين ذكر قراءة حمزة^(٥) في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٦) [النساء: ١]: إن هناك من قال: إنّها قراءةٌ فاسدةٌ، وذكر أدلّتهم على فسادها، ثم ردّ عليهم فقال: "واعلم أنّ هذه الوجوه ليست وجوهاً قويةً في دفع الروايات الواردة في اللغات؛ وذلك لأنّ حمزة أحدُ القراء السبعة، والظاهر أنّه لم

(١) منجد المقرئين: (٩)

(٢) هذه الشروط ذكرها المحقق ابن الجزري في كتابه: منجد المقرئين: (١٨).

(٣) يُنظر: مفاتيح الغيب: (٥ / ١٥٣).

(٤) يُنظر: مفاتيح الغيب: (١١ / ٢٢٧).

(٥) حمزة بن حبيب بن عمار بن إسحاق بن الإمام أبو عمار الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، وكان إماماً حُجَّةً قيباً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، عديم النظير، مات سنة ست وخمسين ومئة. [معركة القراء الكبار: (٦٦)]

(٦) التيسير في القراءات السبع: (٩٣).

يأتِ بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله ﷺ ، وذلك يوجبُ القطعَ بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع، لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهنُ من بيتِ العنكبوت، وأيضاً فلهذه القراءة وجهان، أحدهما: أنَّها على تقدير تكرير الجارِّ، كأنه قيل: تساءلون به وبالأرحام. وثانيها: أنه ورد ذلك في الشعر..^(١).

ويلاحظ في كلام الإمام الرازي أنه أولاً يدافع عنه لأنها ثبتت عن رسول الله ﷺ قطعاً، ثم يوجهها نحوياً منبهاً على أن قوتها أقوى من تلك الأقيسة التي وضعها اللغويون، ثم إنَّ هذه القراءة لها تفسيرٌ، وبالتالي فإنَّ هذه القراءة تفيد في تفسير الآية الكريمة لإضافة معانٍ جديدةٍ ما كانت لتتضح لو اقتصر على قراءة واحدة فقط.

ثم قال: "والعجب من هؤلاء النحاة أنَّهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين^(٢)، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد، مع أنَّهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن، واحتجَّ الزَّجاج على فساد هذه القراءة من جهة المعنى بقوله ﷺ: (لا تحلفوا بأبائكم)^(٣)، فإذا عطفَ الأرحامُ على المكنى عن اسم الله، اقتضى ذلك جوازَ الحلف بالأرحام. ويمكن الجواب عنه: بأنَّ هذا حكايةٌ عن فعلٍ كانوا يفعلونه في الجاهلية؛ لأنَّهم كانوا يقولون: (أسألك بالله والرحم)، وحكايةٌ هذا الفعل عنهم في الماضي، لا تُنافي ورودَ النهي عنه في المستقبل. وأيضاً فالحديث نهيٌّ عن الحلف بالأباء فقط، وها هنا ليس كذلك، بل هو حلفٌ بالله أولاً، ثم يُقرن به بعده ذِكْرُ الرَّحِمِ، فهذا لا يُنافي مدلولَ ذلك الحديث، فهذا جملةُ الكلام في قراءة قوله: (والأرحام) بالجر^(٤).

(١) مفاتيح الغيب: (٩ / ١٦٣).

(٢) البيتان هما: فالיום قدبت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

نعلق في مثل السواري سيوفنا ... وما بينها والكعب غوط نعانف

[مفاتيح الغيب: (٩ / ١٦٤)]

(٣) الحديث أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بأبائكم، رقم: (٦٢٧٢).

(٤) مفاتيح الغيب: (٩ / ١٦٤).

ثم ذكر الإمام الرازي معنى الآية على القراءة الأولى والثانية فقال: "وأما قراءة حمزة فهي ظاهرة من حيث المعنى، والتقدير: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام؛ لأن العادة جرت في العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيره بالرحم، فيقول: أسألك بالله والرحم، وربما أفرد ذلك فقال: أسألك بالرحم، وكان يكتب المشركون إلى رسول الله ﷺ: نناشدك الله والرحم أن لا تبعث إلينا فلاناً وفلاناً. وأما القراءة بالنصب، فالمعنى يرجع إلى ذلك والتقدير: واتقوا الله واتقوا الأرحام" (١).

* أهمية القراءة المتواترة في تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

للقراءة حين الاستدلال بها في تفسير القرآن أكثر من وظيفة، وأهمها:

١ - إفادة معنى جديد:

في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قال الإمام الرازي: "قرأ ابن كثير (يَصْعَد) ساكنة الصاد، وقرأ أبو بكر (يَصَاعِد) بالالف وتشديد الصاد، بمعنى: يتصاعد، والباقون (يَصْعَد) بتشديد الصاد والعين بغير ألف (٢)، أما قراءة ابن كثير (يَصْعَد) فهي من الصعود، والمعنى: أنه في نفوره عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف الصعود إلى السماء، فكما أن ذلك التكليف ثقیل على القلب، فكذلك الإيمان ثقیل على قلب الكافر، وأما قراءة أبي

(١) مفاتيح الغيب: (٩/ ١٦٤).

(٢) عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكنانى الدارى المكي، إمام المكيين في القراءة. من القراء السبعة، وتصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء. توفي سنة عشرين ومئة. [معرفة القراء الكبار: (٤٩)]

(٣) أبو بكر بن عياش، اسمه شعبة، وهو أحد الرواة عن عاصم بن أبي النجود الكوفي أحد القراء السبعة، توفي سنة ثلاث وتسعين ومئة. [معرفة القراء الكبار: (٨٠)]

(٤) التيسير في القراءات السبع: (١٠٦ - ١٠٧).

بكر (يَصَاعِد) فهو مثل يتصاعد، وأمّا قراءة الباقي (يَصْعَد) فهي بمعنى يتصعد فأدغمت التاء في الصاد ومعنى يتصعد: يتكلف ما يثقل عليه ^(١).

يلاحظ كيف استنبط الإمام من كلّ قراءة معنىً جديداً؛ فقراءة (يَصْعَد) المعنى فيها هو الصعود في السماء، أمّا قراءة (يَصْعَد) فقد أفادت معنى تكلف ما يثقل عليه.

٢- تأكيد المعنى، أو التكرير، أولفت الانتباه إليه.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]

قال: "الأولى قرأ ابن عامر ^(٢) (فَأُمْتِعَهُ) بسكون الميم خفيفةً من (أُمْتَعْتُ)، والباقيون: بفتح الميم مشددةً، من مَتَّعْتُ ^(٣)، والتشديد يدلّ على التكرير بخلاف التخفيف ^(٤).

ذكر الإمام الرازي أنّ القراءة الثانية تفيد التكرير الذي لم تفده القراءة الأولى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَىٰ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] قال الإمام الرازي: "قرأ نافع ^(٥) وابن عامر (وَأَوْصَىٰ) بالألف، وكذلك هو في مصاحف المدينة والشام، والباقيون بغير ألفٍ بالتشديد، ^(٦) وكذلك هو في مصاحفهم، والمعنى واحدٌ إلا أنّ في (وَصَّى) دليل مبالغة وتكرير ^(٧).

(١) مفاتيح الغيب: (١٣ / ١٨٣).

(٢) عبد الله بن عامر بن يزيد البصري، كان تابعياً، أحد القراء السبعة، إمام أهل الشام في القراءة، جُمع له بين الإمامة والقضاء ومشايخة الإقراء في دمشق، توفي سنة ثمان عشر ومئة. [معرفة القراء الكبار: (٤٦)].

(٣) التيسير في القراءات السبع: (٧٦).

(٤) مفاتيح الغيب: (٤ / ٦٢).

(٥) نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم اللبثي المدني، أحد القراء السبعة، قرأ القرآن على سبعين من التابعين، وأقرأ الناس دهرًا طويلاً، وانتهت إليه رئاسة القراء في المدينة. توفي سنة تسع وستين ومئة. [معرفة القراء الكبار: (٦٤)].

(٦) التيسير في القراءات السبع: (٧٧).

(٧) مفاتيح الغيب: (٤ / ٨٠).

يلاحظ في المثالين السابقين أنَّ الإمام الرازي وإنْ لم يستدلَّ بالقراءة لمعنى جديد مغاير بين القراءات المذكورة، إلاَّ أنَّه ذكر ما تفيده الآية من تقوية للمعنى مستفادة من التشديد، فالمعنى الجديد هنا متداخل مع المعنى الآخر الذي لم يصحبه التشديد، ويزيد عليه بالتأكيد.

٣- شرح المفردات الغريبة:

في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]

قال الإمام الرازي: "(تُرْجَع) بضم التاء على معنى تُرَدُّ، يقال: رَجَعْتَهُ، أي: رَدَدْتُهُ، قال تعالى: ﴿ وَلَيْنَ رُجْعٌ إِلَى رَبِّي ﴾ [فصلت: ٥٠]، وفي موضع آخر: ﴿ وَلَيْنَ رُدُّتُ إِلَى رَبِّي ﴾ [الكهف: ٣٦]، وفي موضع آخر: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] أي: رُدَّنِي، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي^(١): (تُرْجَعُ) بفتح التاء، أي: تصير^(٢)، كقوله تعالى: ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣]، وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥]، ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨]. " (٣).

في هذا المثال ذكر الإمام الرازي معنى مفردة "تُرْجَعُ" واستدلَّ على ذلك بورودها في آياتٍ أخرى، فهذا هنا استشهاد الإمام الرازي لمعنى القراءة "المتواترة" بكلمة أخرى وردت في القرآن. واستفاد من القرآن في تفسير وجهين لقراءة مفردة واحدة، فعلى الوجه الأول كان المعنى الردّ، وعلى الوجه الثاني كان المعنى المصير.

(١) أبو حمزة علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه القراءة والعربية، ألَّف معاني القرآن، وكتاب القراءات، كتاب العدد، والنوادر، توفي سنة تسع وثمانين ومئة. [معرفة القراء الكبار: (٧٢) وما بعدها].

(٢) التيسير في القراءات السبع: (٨٠).

(٣) مفاتيح الغيب: (٥ / ٢٣٨).

المطلب الرابع: الاعتماد على لغة القرآن الكريم البالغة أعلى درجات الفصاحة:

والمقصود من هذا الأساس أن أولى ما يُعتمد عليه لفهم لغة القرآن هي لغة القرآن نفسها؛ وذلك لأنه معجزٌ، وفي أعلى درجات الفصاحة بلا منازعٍ، ولذلك فإنه حين يفسر القرآن فهو يفسره بالقرآن نفسه، وبما يوافق فصاحة القرآن الكريم ولغته، ويترك ما دون ذلك.

* أولاً: الدليل على إعجاز القرآن:

ذكر الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] البرهان العقلي على إعجاز القرآن الكريم^(١)، وقد فصلتُ برهان الإمام في أقسامٍ كي يتضح الكلام ويسهل.

١- بلوغ القرآن الكريم المرتبة التي لا يستطيعها البشر في الفصاحة:

قال الإمام الرازي: "لما كانت نبوة محمد ﷺ مبنية على كون القرآن معجزاً؛ أقام الدلالة على كونه معجزاً، واعلم أن كونه معجزاً يمكن بيانه من طريقين، الأول: أن يُقال: إن هذا القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة: إما أن يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء، أو زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة، أو زائداً عليه بقدر ينقض، والقسم الأولان باطلان، فتعين الثالث، وإنما قلنا: إنها باطلان؛ لأنه لو كان كذلك، لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه إما مجتمعين أو منفردين، فإن وقع التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود، والحكام يزيلون الشبهة، وذلك نهاية في الاحتجاج؛ لأنهم كانوا في معرفة اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية، وكانوا في محبة إبطال أمره في الغاية، حتى بذلوا النفوس والأموال، وارتكبوا ضروب المهالك والمحن، وكانوا في الحمية والأنفة على حد لا يقبلون الحق، فكيف الباطل؟! وكل ذلك يوجب الإتيان بما يقدح في قوله، والمعارضة أقوى القوادح، فلما لم يأتوا بها، علمنا عجزهم عنها، فثبت أن القرآن لا يماثل قولهم، وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً، فهو إذن

(١) مفاتيح الغيب: (٢/ ١١٥-١١٦).

تفاوتُ ناقضٌ للعادة، فوجب أن يكون معجزاً، فهذا هو المراد من تقرير هذه الدلالة، فظهر أنه سبحانه كما لم يكتفِ في معرفة التوحيد بالتقليد، فكذا في معرفة النبوة لم يكتفِ بالتقليد..."

٢- اجتمعت في القرآن الكريم أوجهٌ تقتضي نقصان فصاحته بحسب العادة، إلا أنه لم يزل في غابة الفصاحة:

قال الإمام الرازي: "واعلم أنه قد اجتمع في القرآن وجوهٌ كثيرةٌ تقتضي نقصان فصاحته، ومع ذلك فإنه في الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية وراءها، فدل ذلك على كونه معجزاً"، ويرجع ذلك لأسبابٍ عدّة:

أ- خُلُو القرآن الكريم عن وصف المشاهدات التي يذكرها العرب في أشعارهم، فهذا يعني أن للقرآن الكريم أسلوباً خاصاً تفوّق فيه على كلام العرب.

قال: "إن فصاحة العرب أكثرها في وصف مشاهدات مثل: وصف بعير، أو فرس، أو جارية، أو ملك، أو ضربة، أو طعنة، أو وصف حرب، أو وصف غارة، وليس في القرآن من هذه الأشياء شيءٌ، فكان يجب ألا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامهم".

ب- أن القرآن الكريم كله صدقٌ ليس فيه مبالغاتٌ وكذبٌ، كما هو حال الشعر، ومع ذلك لم تنقص رتبة فصاحته، في حين أن الشعر لو التزم فيه الصدق لما كان عذباً.

قال: "إنه تعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب في جميعه، وكلُّ شاعرٍ ترك الكذب، والتزم الصدق نزل شعره، ولم يكن جيداً؛ ألا ترى أن لبيد بن ربيعة^(١) وحسان بن ثابت^(٢) لما أسلما نزل شعرهما، ولم يكن شعرهما الإسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي، وإن الله تعالى مع ما تنزه عن الكذب والمجازفة، جاء بالقرآن فصيحاً كما ترى".

ج- الفصاحة في كلام العرب ليست موجودة دائماً، فبعضه فصيح وبعضه ليس كذلك، بينما جاء القرآن الكريم كله فصيحاً.

(١) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك الكلبي الجعفري أبو عقيل، كان فارساً شجاعاً سخياً، اختلف في تاريخ وفاته ولعلها نيف وستون. [الإصابة: (٣/ ٢٠٧)]

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، قال له النبي ﷺ: (اهجهم وجبريل معك)، عاش مئة وعشرين سنة، واختلف في تاريخ وفاته. [الإصابة: (١/ ٣٢٥)].

قال: "إنَّ الكلام الفصيح والشعر الفصيح إنّما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين، والباقي لا يكون كذلك، وليس كذلك القرآن؛ لأنَّه كلّ فصيحٌ بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته".

د- التكرار في كلام العرب يُفقد الكلام فائدته وفصاحته، ولكن التكرار في القرآن مفيدٌ وفصيحٌ، دون أن يظهر تفاوتٌ في الفائدة أو الفصاحة.

قال: "إنَّ كلّ مَنْ قال شعراً فصيحاً في وصف شيءٍ، فإنه إذا كرّره لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الأول، وفي القرآن التكرار الكثير، ومع ذلك كلّ واحدٍ منها في نهاية الفصاحة، ولم يظهر التفاوت أصلاً".

هـ- مواضيع القرآن الكريم يُمكن حَصْرُها وأكثرها أوامرٌ ونواهٍ ومواعظ، ومع ذلك لم تنقص فصاحة القرآن الكريم.

قال: "إنه اقتصر على إيجاب العبادات، وتحريم القبائح، والحثّ على مكارم الأخلاق، وترك الدنيا واختيار الآخرة، وأمثال هذه الكلمات توجب تقليل الفصاحة".

و- الغالب في حال الشعراء أنَّ شعرهم فصيح في موضوع، وغير فصيح في المواضيع الأخرى، ولكن القرآن الكريم كلّ فصيح في كلّ الموضوعات التي ذُكرت فيه.

قال: "كلُّ شاعرٍ يحسُن كلامه في فنٍّ، فإنَّه يَضْعُفُ كلامه في غير ذلك الفنِّ، أمّا القرآن فإنه جاء فصيحاً في كلّ الفنون على غاية الفصاحة، ألا ترى أنّه سبحانه وتعالى قال في الترغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال في

الترهيب: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨]، وقال: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ١٦ أم أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ [الملك: ١٦ - ١٧]، وقال في الوعظ ما لا مزيد عليه: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥]، وقال في الإلهيات: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ﴾ [الرعد: ٨]، إلى آخره".

٣- تعذّر معارضته من قِبَل مَنْ بلغوا أعلى درجات الفصاحة وإتقان اللغة:

قال: "القرآن لا يخلو إمّا أن يُقال: إنّه كان بالغاً في الفصاحة إلى حدّ الإعجاز، أو لم يكن كذلك، فإنّ كان الأول ثبت أنّه مُعْجِزٌ، وإنّ كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة، فعدم إتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة، ومع توقّر دواعيهم على الإتيان بها، أمرٌ خارقٌ للعادة، فكان ذلك معجزاً، فثبت أنّ القرآن معجِزٌ على جميع الوجوه، وهذا الطريق عندنا أقرب إلى الصواب".

* ثانياً: ما هو المعجز في القرآن الكريم؟

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا وَّنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥]: "إنّ فصاحة القرآن الكريم لأجل قوّة المعاني وجزالة الألفاظ" وليس أيّ شيء آخر^(١).

ثالثاً: بعض الأمثلة التي نبه فيها الإمام الرازي إلى فصاحة القرآن:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]:

نقل الإمام الرازي أقوالاً عن من سبقه من المفسرين في معنى التَّهْلُكَةِ، وخلاصتها أنّ هذه الكلمة بهذا الوزن لم ترد في كلام العرب، وهم بعد ذلك يبحثون عن ما يؤوّلون به معنى هذه اللفظة. ثم قال الإمام الرازي: "وأقول: إني لأتعبّ كثيراً من تكلفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع؛ وذلك أنّهم لو وجدوا شعراً مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به، واتخذوه حُجَّةً قويةً، فورد هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود له من الموافق والمخالف بالفصاحة أولى بأن يدلّ على صحة هذه اللفظة واستقامتها"^(٢).

وفي تفسير كلمة طوبى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي﴾ [الرعد:

[٢٩]

(١) مفاتيح الغيب: (٥/ ٢٣٨).

(٢) مفاتيح الغيب: (٥/ ١٤٩).

ذكر أنّ هناك من قال: إنها كلمة غير عربية، وضعّف هذا القول استناداً إلى أنّه ليس في القرآن إلا العربي:
"قال بعضهم: طوبى اسم الجنة بالحشية، وقيل: اسم الجنة بالهندية، وقيل: البستان بالهندية، وهذا القول
ضعيف؛ لأنه ليس في القرآن إلا العربي، لا سيما واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر" ^(١).

(١) والقول الذي اختاره أنّ المعاني متقاربة والتفاوت يقرب من أن يكون في اللفظ، والحاصل أنه مبالغة في نيل الطيبات، ويدخل فيه جميع اللذات، وتفسيره: أنّ أطيّب الأشياء في كل الأمور حاصل لهم، وأنها مشتقة من الطيب كزلفى. [مفاتيح الغيب: (١٩ / ٥٠)]

المطلب الخامس: الاستدلال بالسياق القرآني

معنى السياق في اللغة:

كلمة السَّيَاق أصلها من "س و ق" ووردت في المعاجم المعاني الآتية من هذه الكلمة ومشتقاتها:

■ المعنى الحقيقي:

السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدُّ الشَّيْءِ. يُقال: ساقه يسوقه سَوْقًا^(١)، ساق النَّعَمِ فانسقت، ساق الماشية يسوقها سَوْقًا وسِيقًا، فهو سَائِقٌ وسَوَّاقٌ. اُنْسَقَتْ وتَسَاوَقَتْ الإِبِلُ تَسَاوُقًا إذا تتابعت، وكذلك تَقَاوَدَتْ فهي مُتَقَاوِدَةٌ ومُتَسَاوِقَةٌ، وأساقه إِبلاً أعطاه إياها يسوقها^(٢).

■ المعاني المجازية:

- ١- هو يسوق الحديث أحسنَ سياق، و إليك يُسَاق الحديث، وهذا الكلام مساقَةٌ إلى كذا، وجئتكَ بالحديث على سوقه، أي: على سرده^(٣). سَرَدَ الحديث والقراءة: جاء بهما على ولاء^(٤). وجه المجاز في هذا المعنى أن المعنى الحقيقي أُطلق على تتابع الأشياء المادية، أما هنا فالذي تتابع هو الكلام.
- ٢- سَاقَ الصَّدَاقَ إلى امرأته: حملة إليها، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأنَّ أصل الصَّدَاق عند العرب الإبل، وهي التي تُسَاق، فاستُعْمِلَ ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما^(٥).
- ٣- الفقهاء يقولون: (تَسَاوَقَتِ الخُطْبَتَانِ) ويريدون المقارنة والمعية، وهو ما إذا وقعتا معاً، ولم تسبق إحداهما الأخرى^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة: (١١٧/٣)

(٢) يُنْظَر: الصحاح: (١٥٠٠/٤)، أساس البلاغة: (٤٨٤-٤٨٥)، لسان العرب: (٢٤/٢١٥٣)، المصباح المنير: (١/٢٩٦).

(٣) أساس البلاغة: (٤٨٥).

(٤) أساس البلاغة: (٤٤٩).

(٥) أساس البلاغة: (٤٨٤). الصحاح: (١٥٠٠/٤). معجم مقاييس اللغة: (١١٧/٣). المصباح المنير: (١/٢٩٦)، لسان العرب: (٢٤/٢١٥٣).

(٦) المصباح المنير: (١/٢٩٦)، وقال عنه: "، ولم أجده في كتب اللغة بهذا المعنى".

فالقاسم المشترك بين هذه المعاني المجازية كلّها وبين المعنى الحقيقي هو الاتصال والتتابع.
وخلاصة المعنى اللغويّ أن السياق فيه معنيان: الأول هو التتابع، والثاني: أن تكون المتتابعات من جنسٍ واحدٍ.

وسيُتّضح المراد بالسياق أكثر عندما نذكر تعريف السياق اصطلاحاً.

تعريف السياق اصطلاحاً:

ذكر العلماء والباحثون عدة تعاريف وهذه بعضها:

أولاً: تعريف السياق بنحو عام:

- (١) قرينة السياق: ما يدلّ على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك، أو لاحقه^(١).
- (٢) قرينة السياق: هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدالّ على خصوص المقصود، أو سابقة^(٢).
- (٣) السياق: الغرض الذي يَنْتَظِم به جميع ما يرتبط بالنصّ من القرائن اللفظية أو الحالية^(٣).
- (٤) مفهوم السياق يشتمل على ثلاثة ملامح هي: التتابع، والموقعية، والعناصر اللغوية التي تحيط باللفظ أو العبارة^(٤).

وهذا ليس تعريفاً؛ لأن التعريف لا يكون بالملامح، فكل ملمح من هذه الملامح المذكورة يحتاج تعريفاً!

- (٥) السياق: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع^(٥).

(١) حاشية البناني على شرح المحلي على جمع الجوامع: (١/ ٣٦).

(٢) حاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع: (١/ ٣٠).

(٣) أثر السياق في التفسير: (١٩).

(٤) السياق في كتب التفسير الكشاف وابن كثير نموذجاً: (١٥).

(٥) دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام: (٢٧).

أما تعريف السياق القرآني أو السياق في التفسير:

(١) السياق القرآني: تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان

المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال^(١).

(٢) السياق القرآني: هو المعنى الذي يسلك جميع النص القرآني، بما لا يتناقض مع ما ثبت تعلُّقه به من

قرائن وأحوال معتبرة^(٢).

هذا التعريف لم يذكر فيه صاحبه ما يدل على التابع، وهو المعنى الذي لا ينبغي أن يخلو منه السياق

لأنه هو الأصل اللغوي، كما تبين في المعنى اللغوي، وكلمة (يسلك) لا يفهم منها التابع فقط بل

يفهم منها مطلق الجمع. كما أن هذا التعريف يصدق على مقاصد القرآن. فهذا التعريف لم يبين ذاتية

المعرّف ولم يميزه عن غيره.

(٣) السياق القرآني: بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها^(٣).

اقتصر هذا التعريف على دور السياق، وهو البيان، لكنّه لم يحدّد ماهيته.

التعريف المختار: القرينة اللفظية الدالة على المقصود في آيات القرآن الكريم.

المقصود: أنّ السياق القرآني هو المعنى المفهوم من الآية القرآنية ذاتها، أو من الآية التي قبلها، أو التي بعدها،

أو كلاهما في المقطع الذي وردت فيه، أو من باقي آيات السورة التي وردت فيها، أو اقتران معنيين في القرآن

الكريم، وهذا التعريف الذي اخترته موافق لما يصنعه الإمام الرازي حينما يستدلّ بالسياق القرآني.

(١) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: (١٤).

(٢) الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول: (١٥).

(٣) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي: (١٤).

تأصيل السياق:

إذا أردنا أن نتعرّف على أصل حُجِّيّة السياق، فإنّه لا بُدّ من النظر في أقوال العلماء في أصول الفقه في هذه الدلالة؛ لأنّ علَمَ التفسير يستند في ذلك إلى علم أصول الفقه، ويستمدّ منه.

ومن خلال النظر في كتب أصول الفقه، وجدتُ أنّ أقوال العلماء المتقدمين الصريحة في حُجِّيّة دلالة السياق قليلة، إذا ما قورنت بما يدل على اعتدادهم به من خلال كتبهم، سواءً في ذلك المتكلّمون والحنفية، وتبعهم في ذلك المفسّرون.

وإنّ أقدم نصّ ينصّ على أهمية السياق ما قاله الإمام الشافعيّ في كتابه "الرسالة"؛ فقد عقد باباً في كتابه سمّاه (باب: الصّنف الذي يبيّن سياقه معناه) ^(١)، وقد تبعه في ذلك بقيّة الأصوليين على اختلاف مدارسهم في الاحتجاج بالسياق.

فهذا الإمام الجويني ^(٢) في كتابه البرهان يذكر المفتي بأهميّة دلالة السياق في استنباط المعاني، فيقول: "المعاني يتعلّق معظمها بفهم النظم والسياق، ومراجعة كتب اللغة تدلّ على ترجمة الألفاظ، فأما ما يدلّ عليه النظم والسياق فلا، ولذلك فإن كتب اللغة لن تعطيه كلّ المعاني، فعلى المفتي ألاّ يعوّل في معرفة ما يحتاج إليه على الكتاب ^(٣)؛ لأنّ في اللغة استعاراتٌ وتجوّزاتٌ قد يوافق ذلك مآخذ الشريعة، وقد يختص به العرب بمذاق ينفردون به في فهم المعاني" ^(٤).

(١) الرسالة: (٦٢).

(٢) إمام الحرمين أبو المعالي: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله الجويني النيسابوري، ومن كتبه النهاية في الفقه، والشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، والإرشاد في أصول الدين، والتلخيص مختصر التقريب والإرشاد، والورقات في أصول فقه أيضاً، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمئة. [يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٥/١٦٥-١٨١)].

(٣) أي كتاب سيبويه.

(٤) البرهان في أصول الفقه: (٢/١٣٣٠-١٣٣١).

وهذا الإمام الرازي يشرح في كتابه "المحصول" معنى القرينة المقالية فيقول: إنها "أن يذكر المتكلم عقيب ذلك الكلام ما يدل على أن المراد من الكلام الأول غير ما أشعر به ظاهره" (١).

فقوله هذا يدل على أن هذه القرينة مأخوذة من النص نفسه، فهذا يعني أن الإمام الرازي يعتبر السياق قرينةً مقاليةً أو لفظية، ويعني ذلك أن الاستدلال بالسياق من تفسير القرآن بالقرآن، ولا شك أن السياق يشمل ما ذكر قبل أو بعد الآية القرآنية موضع التفسير.

وأما المتأخرون من علماء الأصول فإن نصوصهم جاءت أكثر صراحةً على أن السياق دليل من الأدلة اللفظية في الاستدلال والاستنباط.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإمام الزركشي حيث قال: "دلالة السياق أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره. وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى" (٢).

وذكر الإمام العز بن عبد السلام (٣) دور السياق في التفسير فقال: "السياق مرشدٌ إلى تبين المُجَمَّلات، وتقرير الواضحات، وكلُّ ذلك بعُرف الاستعمال، فكلُّ صفةٍ وُضعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكلُّ صفةٍ وُضعت في سياق الذم كانت ذمّاً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار تهكماً واستهزاءً بعُرف الاستعمال، ومثاله في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]" أي: الدليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم (٤).

(١) المحصول: (١/ ١٤٠).

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه: (٦/ ٥٢).

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من كتبه التفسير، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، الإشارة إلى الإيجاز في أحكام المجاز. توفي سنة سبع وسبعين وستمئة. [طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٢٠٩)]

(٤) الإمام في بيان أدلة الأحكام: (٧٥).

وقال ابن دقيق العيد^(١) عند كلامه عن التفريق بين السياق وبين سبب الورود أو النزول في تخصيص العام: "ويجب أن تتنبه للفرق بين دلالة السياق، والقرائن الدالة على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم، وبين مجرد ورود العام على سبب، ولا تُجرى مجرى واحداً. فإنَّ مجرد ورود العام على السبب لا يقتضي التخصيص به، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة ٣٨] بسبب سرقة رداء صفوان^(٢)، وأنَّه لا يقتضي التخصيص به بالضرورة والإجماع. أمَّا السياق والقرائن: فإنَّها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المُجملات، وتعيين المحتملات"^(٣).

وعلق السبكي في الأشباه والنظائر على قوله فقال: "وفهم هذه القاعدة من أصول الفقه لم أر من تعرض لها في الأصول إلا بعض المتأخرين ممن أدركنا أصحابهم، وهي قاعدة متعينة على الناظر، وإن كانت ذات تشعب على المناظر"^(٤).

وجاء التعريف الصريح للسياق في حاشيتين مهمتين على "جمع الجوامع" كما سبق ذكرها في التعريف الاصطلاحي.

بناءً على هذه الأقوال يُستنتج أنَّ دلالة السياق حُجَّةٌ عند علماء أصول الفقه، والإمام الرازي حين استدلل بالسياق في تفسيره طبق هذا الأصل في أماكن كثيرة يصعب إحصاؤها.

(١) محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري أبو الفتح تقي الدين ولد الشيخ الإمام القدوة مجد الدين بن دقيق العيد، الشيخ الإمام شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة، ومن مصنفاته كتاب الإمام في الحديث، وكتاب الإمام وشرحه، توفي سنة اثنتين وسبعمئة. [طبقات الشافعية الكبرى: (٩/ ٢٠٧-٢١٢)]

(٢) حديث سرقة رداء صفوان: أخرجه أبو داود: كتاب الحدود، باب: من سرق من حرز، رقم: (٤٣٩٦)، (٤/ ٢٤٠)، والنسائي: كتاب قطع السارق، باب: ما يكون حرزاً وما لا يكون، رقم: (٧٣٦٩)، (٧/ ١٠)، والصحابي الجليل: هو صفوان بن أمية بن خلف الجُمَجي، أسلم بعد حُنين، وكان من المؤلفة قلوبهم، توفي سنة إحدى أو اثنتين وأربعين. [يُنظر: الإصابة: (٢/ ١٨١)].

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: (٢٧٨).

(٤) الأشباه والنظائر: (٢/ ١٣٥).

صلة السياق بتفسير القرآن بالقرآن:

يُستفاد من كل ما سبق أن الاستدلال بالسياق يدخل تحت تفسير القرآن بالقرآن لسببين:

○ لأن تفسير القرآن الكريم لا يقتصر على الألفاظ في الآية لكل لفظٍ بمفرده، بل يشمل أيضاً ما يُستفاد من الألفاظ الأخرى من معانٍ سواءً أكانت هذه الألفاظ سابقة أم لاحقة، هذا على مستوى الآية نفسها، ويشمل كذلك الآيات السابقة أو اللاحقة وما يُستفاد منها من معانٍ تفسّر الآية موضع التفسير، وهذا خلال المقطع الواحد، أو خلال السورة.

○ ولأن أولى الآيات بتفسير القرآن الكريم هي الآيات الأقربُ إلى الآية موضع التفسير، فإذا كان في سياق الآية نفسها تفسير فيها ونعمت، وإن كانت الآية شديدة الارتباط من حيث معناها بالآية أو الآيات السابقة لها أو اللاحقة فيتم التفسير بسياق المقطع القرآني، أو السورة كلها.

سبب إيلاء الأهمية الكبيرة للسياق في تفسير الإمام الرازي:

الجواب عن هذا يكون بناءً على أمرين يترتب الثاني منهما على الأول:

■ الأول: يرى الإمام الرازي أن إعجاز القرآن الكريم في نظمه؛ لأنّ هذا النظم المعجز والترتيب البديع أُودعت فيه معانٍ ولطائف خفية..

وهذا ما يدل عليه قوله في كتابه (نهاية الإيجاز) ^(١): "الوجه في كون القرآن مُعْجِزاً هو الفصاحة، ولما ثبت أن عجز العرب إنما كان عن المزايا التي ظهرت لهم في نظم القرآن، والبدايع التي راعتهم من مبادئ الآيات

(١) استفاد الإمام الرازي بالدرجة الأولى من كتابي الشيخ عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، وقد لخصهما في كتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز). ولم يقتصر فيه على تلخيص وتنظيم أقوال الشيخ عبد القاهر الجرجاني، بل لخص كثيراً من كتاب "الوطواط" "حدايق السحر في دقائق الشعر" واستضاء ببعض ما كتبه الزمخشري في الكشف، وما كتبه الرماني في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) وبعض كتاباته الأخرى. وهو أول من قعد علوم البلاغة في قواعد، فكان الصلة بين البلاغة الأدبية، والبلاغة ذات القوانين والقواعد، وكان كتابه "نهاية الإيجاز" الأول من نوعه في التقنين العلمي، وهو المصدر الأول لقسم البلاغة في كتاب "المفتاح" للسكاكي. وبذلك فهو حلقة الوصل بين بلاغة الشيخ عبد القاهر والسكاكي صاحب المفتاح، وهو الأساس الأول للاتجاه نحو استخدام المنطق في قواعد البلاغة. يُنظر: المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي: (٣١-٣٢).

ومقاطعها، وفي مضرب كلِّ مثلٍ، ومساق كلِّ خيرٍ، وصورة كلِّ عِظَةٍ، وتنبیه وإعلامٍ وتذكيرٍ، وَجَبَ على العاقل أن يبحثَ عن تلك المزايا والبدائع: ما هي؟ وكم هي؟ وكيف هي؟^(١).

وكان عبد القاهر الجرجاني ذكر أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسمٌ تُعزى المزيّة والحُسن فيه إلى اللفظ، وقسمٌ يُعزى ذلك فيه إلى النظم^(٢)، ووافقه في ذلك الإمام الرازي^(٣).

وقد جاء في تفسيره تطبيق هذا التأصيل، حيث يعود الإمام الرازي ويؤكد أن القرآن معجزٌ بألفاظه وشرف معانيه، وهو معجزٌ أيضاً بحسب ترتيبه ونظم آياته.

ففي أواخر تفسيره لسورة البقرة قال: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها؛ علِم أن القرآن كما أنه معجزٌ بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور ... ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علّمنا، ويعلمنا ما ينفعنا به بفضلته ورحمته"^(٤).

■ الثاني: لأن الاحتجاج بالآيات القرآنية وتفسيرها لا يتم بصورة صحيحة إلا إذا روعي ترتيب تراكيبها. ويدلّ على ذلك تمسك الإمام الرازي بما يدلّ عليه الترتيب أولاً، واعتباره أن التمسك بالقرآن الكريم لا يكون إلا بالتمسك بالترتيبات، وهذا يعني أن المفسر لا يستطيع أن يخالف ما يدلّ عليه السياق بأنواعه، حيث قال: "والدلائل اللفظية^(٥) إنما يمكن التمسك بها إذا أبقينا ما فيها من التركيبات والترتيبات، فأمّا إذا

(١) نهاية الإيجاز: (٢٩).

(٢) دلائل الإعجاز: (٤٢٩).

(٣) نهاية الإيجاز: (٢٩).

(٤) مفاتيح الغيب: (١٣٧/٧-١٣٨).

(٥) ينقسم الدليل إلى ثلاثة أقسام: سمعي، وعقلي، ووضعى، فالسمعي هو اللفظي المسموع، وفي عرف الفقهاء هو الدليل الشرعي أي الكتاب والسنة والإجماع والاستدلال، وأما عرف المتكلمين فإنهم إذا أطلقوا الدليل السمعي فلا يريدون به غير الكتاب والسنة والإجماع. [يُنظَر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٣٦)]

أبطلناها وأزلناها، لم يمكن التمسك بشيء منها أصلاً، وفتح هذا الباب يوجب أن لا يمكن التمسك بشيء من الآيات، وإنه طعن في القرآن وإخراج له عن كونه حجة^(١).

وفي هذه الترتيبات -التي امتازت الآيات القرآنية بها- تكمن لطائف القرآن وأسراره، وهذا يعني أن التغاضي عن ترتيبات القرآن الكريم إغفال لكثير من تلك اللطائف والأسرار.

قال الإمام الرازي في تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]: "اعلم أن الأمانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق فأدّيت ذلك الحق إليه، فهذا هو الأمانة، والحكم بالحق عبارة عما إذا وجب لإنسان على غيره حق، فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفعه إلى من له ذلك الحق. ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع، ودفع المضار، ثم يشتغل بغيره؛ لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بالأمانة أولاً، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق، فما أحسن هذا الترتيب! لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٢).

وتفصيل استدلال الإمام الرازي بالسياق القرآني له فصل مخصص وهو الفصل الأخير من هذه الدراسة.

(١) مفاتيح الغيب: (١٣/ ١٨١) وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] حيث ذكر أن للمعتزلة وجهاً من وجوه التأويل؛ لتكون الآية شاهدة على مذهبهم، وهو أنه حصل في الكلام تقديم وتأخير؛ فيكون المعنى: من شرح صدر نفسه بالإيمان فقد أراد الله أن يهديه، أي يخصه بالأنطاف الداعية إلى الثبات على الإيمان، أو يهديه بمعنى أنه يهديه إلى طريق الجنة، ومن جعل صدره ضيقاً حرجاً عن الإيمان، فقد أراد الله أن يضلّه عن طريق الجنة، أو يضلّه بمعنى أنه يجرمه عن الأنطاف الداعية إلى الثبات على الإيمان.

(٢) مفاتيح الغيب: (١٠/ ١٤٠)

المطلب السادس: الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم:

المقصود بالوحدة الموضوعية وأنواعها:

أولاً: معنى المفردات في اللغة:

الوحدة:

الواو والحاء والdal: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوَحْدَة^(١).

الواحد: أوَّلُ عَدَدِ الحِسابِ وقد يُثنى ويُجمع: واحدون. والمتقدّم في علم أو بأسٍ جمعه: وُحْدَانٌ وأُحْدَانٌ. وبمعنى الأَحد. وَحَدٌ كَعِلْمٍ وَكَرَمٍ يَحْدُ فِيهِمَا وَحَادَةٌ وَوَحْدَةٌ وَوُحوداً وَوَحِداً وَوَحْدَةً وَحِدَةً: بَقِي مُفْرَداً كَتَوَحَّدَ. وَوَحْدَهُ تَوَحَّيْداً: جَعَلَهُ واحِداً وَيَطْرُدُ إِلَى العَشْرَةِ^(٢).

الموضوع:

وَضَعَهُ، يَضَعُهُ بفتح ضادهما، وَضَعاً وَمَوْضِعاً، وَمَوْضِعاً: حَطَّهُ، ووضعت الإبل وضيعاً: رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، ووضعتُها: ألزمتها المرعى فهي موضوعة^(٣).

فما يُستفاد من معاني المفردات في اللغة أنّ الوَحْدَة بمعنى جعل المتعدد واحداً، وأنّ الموضوع هو ما يلزم شيئاً واحداً لا يتعداه.

المعنى الاصطلاحي:

الوحدة: كون الشيء بحيث لا ينقسم^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة: (٦ / ٩٠).

(٢) القاموس المحيط: (٤١٤).

(٣) القاموس المحيط: (٩٩٦).

(٤) الكليات: (٩٣١).

الموضوع: هو محلُّ العَرَضِ المختصِّ به. وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن. وموضوعُ كلِّ علمٍ: ما يُبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كَبَدَنَ الإنسان لعلم الطَّبِّ، فإنَّه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصِّحَّة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو، فإنَّه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء^(١).

فلما كانت السَّعادةُ الإنسانية منوطةً بمعرفة حقائق الأشياء وأحوالها بقدر الطاقة البشرية، وكانت الحقائق وأحوالها مُتَكَثِّرةً مُتَنَوِّعةً، تصدَّى الأوائل لضبطها، وتسهيل تعليمها، فأفردوا الأحوال الذاتية المتعلقة بشيءٍ واحدٍ، أو بأشياء متناسبة، ودَوَّنوها على حدة، وعدَّوها علماً واحداً، وسَمَّوا ذلك الشيء أو الأشياء موضوعاً لذلك العلم؛ لأنَّ موضوعات مسائله راجعةٌ إليه.

فموضوع العلم ما تنحلُّ إليه موضوعات مسائله، وهو المراد بقولهم في تعريفه: بما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية. فصارت كلُّ طائفةٍ من الأحوال بسبب تشاركها في الموضوع علماً منفرداً ممتازاً بنفسه عن طائفةٍ متشاركةٍ في موضوع آخر^(٢).

يُفهم من ذلك أنَّ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم كمركَّب وصفي تعني: الأصل الذي ترجع إليه الآيات القرآنية، والتي نزل القرآن الكريم من أجل تحقيقها، سواءً كان هذا الأصل واحداً أم أكثر. وقد تصدَّى العلماء لالتماس هذه الأصول التي ترجع إليها آيات القرآن الكريم؛ لما لهذا العمل من أهميةٍ في معرفة مقاصد الشرع الشريف بمعرفة مقاصد القرآن الكريم، ولما له من أهميةٍ في تفسير آيات القرآن الكريم بعضها ببعض.

أنواع الوحدة الموضوعية في القرآن:

أمَّا الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم فلها ثلاثة أنواعٍ، ولكلِّ نوعٍ من الأنواع تعريف خاصٌّ به، والتعريفات هي:

- ١ - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - كاملاً -: وهي التي يقصدها الإمام الرازي في قوله "كالسورة الواحدة" أو "كالكلمة الواحدة والمقصود بها:

(١) التعريفات: (٢٥٦).

(٢) أبجد العلوم: (١/ ٤٤).

أنَّ القرآنَ واحدٌ لا يقبلُ بناؤه وإحكام آياته التعددَ أو التجزئةَ في آياته، أو التعضيةَ بحيث يُقبلُ بعضه، ويُرفضُ بعضه الآخر، كما لا يقبلُ التناقض أو التعارض وغيرهما من عيوب الكلام^(١).

٢- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: والمقصود بها: المحور الأساس الذي تدور عليه مواضيع السورة، وتهدف إليه، فهو وحدة الغرض في السورة الواحدة ذات الموضوعات العديدة^(٢).

٣- وحدة الموضوع القرآني: يُقصدُ بها:

تكمُّل ما ورد مفرَّقاً من الموضوع الواحد في القرآن الكريم بعد جمعه والتأليف بينه، للوصول إلى الرؤية القرآنية الشاملة والكاملة له^(٣).

شرح هذه الأنواع من خلال تفسير الإمام الرازي:

النوع الأول: الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم:

يؤكد الإمام الرازي على الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال ثلاثة وجوه في تفسيره:

الوجه الأول: أنه استنبط المطالب التي يهدف القرآن الكريم إلى تقريرها:

ذَكَرَ في تفسيره لسورة الفاتحة أنَّ المقصود من القرآن العظيم تقريرُ مطالبَ أربعةٍ، وبها أنَّ سورة الفاتحة احتوت هذه المطالب سُمِّيت أمَّ القرآن.

قال في تفسيره: " المقصود من كلِّ القرآن تقريرُ أمورٍ أربعةٍ: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء

والقدر لله تعالى، فقلوه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣ [الفاتحة: ٢-٣] يدلُّ على الإلهيات،

وقوله: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٤ [الفاتحة: ٤] يدلُّ على المعاد، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ [الفاتحة:

٥] يدلُّ على نفي الجبر والقدر، وعلى إثبات أنَّ الكلَّ بقضاء الله وقدره، وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ [الفاتحة: ٦-٧] يدلُّ أيضاً على إثبات قضاء الله

(١) الوحدة البنائية للقرآن المجيد: (١٤).

(٢) تحرير الوحدة الموضوعية والتفسير الموضوعي: (٥٤).

(٣) الوحدة القرآنية: (٣١).

وقدره، وعلى النبوات، وسيأتي شرح هذه المعاني بالاستقصاء، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وكانت هذه السورة مشتملة عليها، لُقِّبَتْ بأَمِّ القرآن^(١).

وقد قال الإمام الغزالي من قبل: إِنَّ مقصد القرآن العظيم هو الدعوة إلى الله ﷻ، وكل آيات القرآن الكريم فهي تخدم هذا المقصد: "سُرُّ القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصده الأقصى، دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهمة، وهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه. وأما الثلاثة المغنية المتممة: فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة، ولطائف صنع الله فيهم؛ وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة، وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم؛ وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب. وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحااجة على الحق، وسره ومقصوده في جنب الباطل: الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق: الإيضاح والتثبيت والتقهير. وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد"^(٢).

الوجه الثاني: أن الإمام الرازي أكد في مواضع من تفسيره أن القرآن الكريم كالسورة الواحدة في عدم

التناقض:

معنى كون القرآن الكريم كالسورة الواحدة: أنه بمثابة الكلمة الواحدة، أو الجملة الواحدة، أو الآية الواحدة، وإذا كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه؛ فذلك التعدد ضرورة لا غنى عنها في التعليم والتعلم، والتنزيل لتغيير الواقع وإبداله. فلم يكن في مقدور الإنسان أن يستوعب قرآناً يتصف بكل صفات القرآن جملةً واحدة؛ بل عليه أن يأخذه أو يتبناه باعتباره ذا وحدة بنائية لا تختلف عن وحدة الكلمة في حروفها، ووحدة الجملة في كلماتها وأركانها، ووحدة الإنسان في أعضائه، ولو نزل مفرقاً لتثبت الأفتدة

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ١٧٣).

(٢) جواهر القرآن: (٢٣ - ٢٤).

به، وليتمكّن البشر من تعلّمه وحُسْنِ تلقّيه، ولذلك فهو حين تعرّض في أذهان بعضهم بعض آفات الخطاب ترتدّ عنه خاسئةً حسيّرةً، حتى لكانّ آياته تترأّص فتصبح كالكلمة الواحدة في بناءه^(١).

ومن أمثلة ذلك في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمٍ أَقِمْ﴾ [القيامة: ١]

قال: "المفسرون ذكروا في لفظة "لا" في قوله ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ثلاثة أوجه: الأول: أنها صلة زائدة، والمعنى: أقسم بيوم القيامة، ونظيره: ﴿لَيْتَ لَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] و﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهذا القول عندي ضعيفٌ من وجوه، أولها: أنّ تجويز هذا يفضي إلى الطعن في القرآن؛ لأنّ هذا التقدير يجوز جعل النفي إثباتاً والإثبات نفيّاً؛ وتجويزه يُفضي إلى أنّ لا يبقى الاعتماد على إثباته ولا على نفيه، وثانيها: أنّ هذا الحرف إنّما يُزاد في وسط الكلام لا في أوله، فإن قيل: فالكلام عليه من وجهين: الأول: لا نسلم أنها إنما تزداد في وسط الكلام؛ ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته وهي قوله:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدّعي القوم أني أفر^(٢)

الثاني: هب أنّ هذا الحرف لا يُزاد في أول الكلام، إلا أنّ القرآن كلّّه كالسورة الواحدة؛ لاتصال بعضه ببعض، والدليل عليه أنه قد يُذكر الشيء في سورة، ثم يجيء جوابه في سورة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَكَايُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، ثم جاء جوابه في سورة أخرى وهو قوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وإذا كان كذلك، كان أوّل هذه السورة جارياً مجرى وسط الكلام.

والجواب عن الأول: أنّ قوله: (لا وأبيك..) قَسَمٌ عن النفي، وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ نَفْيٌ للقسم، فتشبيه أحدهما بالآخر غير جائز، وإنّما قلنا: إنّ قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ نَفْيٌ للقسم؛ لأنّه على وَزْن قولنا: (لا أقتل)، (لا

(١) الوحدة البنائية للقرآن المجيد: (١٤)

(٢) العقد الثمين في دواوين الشعراء القلاقة الجاهليين: (٧٩).

أضرب)، (لا أنصر) ومعلوم أن ذلك يفيد النفي؛ والدليل عليه: أنه لو حلف لا يُقسم، كان البر بترك القسم، والحث بفعل القسم، فظهر أن البيت المذكور ليس من هذا الباب. وعن الثاني: أن القرآن كالسورة الواحدة في عدم التناقض؛ فإما في أن يُقرن بكل آية ما قرن بالآية الأخرى، فذلك غير جائز؛ لأنه يلزم جواز أن يُقرن بكل إثبات حرف النفي في سائر الآيات، وذلك يقتضي انقلاب كل إثبات نفيًا، وانقلاب كل نفي إثباتًا، وإنه لا يجوز. وثالثها: أن المراد من قولنا: "لا" صلة، أنه لغو باطل يجب طرحه وإسقاطه حتى ينتظم الكلام، ومعلوم أن وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز^(١).

فيلاحظ أن الإمام ذكر استدلال الخصم بأن القرآن كالسورة الواحدة، لكنه ردّ هذا الاستدلال وبين المراد بأن القرآن كالسورة الواحدة في عدم التناقض. ثم رجح الإمام الرازي أن "لا" هنا لنفي القسم، كأنه قال: لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غير مُقسم، أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟ فإن كنت تحسب ذلك، فاعلم أننا قادرون على أن نفعل ذلك^(٢).

الوجه الثالث: أن الإمام الرازي ذكر الوحدة الموضوعية التي تجمع بين بعض السور القرآنية من أكثر من جهة:

- الوحدة الموضوعية للسور القرآنية المفتحة بالحمدلة:

جمع الإمام كل ما يتعلق بالحمد في أوائل السور، وربطه بالفاتحة أم القرآن، وربطه المواضع بعضها ببعض، قال: "هذه السورة مسماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه؛ فقوله: ﴿نَبِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الفاتحة: ٢] تنبيه على أن كل موجودٍ سواه فإنه دليل على إلهيته، ثم إنه تعالى افتتح سوراً أربعة بعد هذه السورة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فأولها: سورة الأنعام، وهو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، واعلم أن المذكور هنا قسم من أقسام قوله: ﴿نَبِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ لأن لفظ العالم يتناول كل ما سوى الله، والسموات والأرض، والنور والظلمة، قسم من أقسام ما سوى الله، فالمذكور في أول سورة الأنعام كأنه قسم من أقسام ما هو مذكور في أول سورة

(١) مفاتيح الغيب: (٣٠ / ٢١٤).

(٢) مفاتيح الغيب: (٣٠ / ٢١٤).

الفاتحة، وأيضاً: فالمذكور في أول سورة الأنعام أنه خلق السماوات والأرض؛ والمذكور في أول سورة الفاتحة كونه رباً للعالمين، وقد بينا أنه متى ثبت أن العالم محتاج حال بقائه إلى إبقاء الله، كان القول باحتياجه حال حدوثه إلى المحدث أولى، .. فثبت أن المذكور في أول سورة الأنعام يجري مجرى قسم من أقسام ما هو مذكور في أول سورة الفاتحة.

وثانيها: سورة الكهف، وهو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، والمقصود منه: تربية الأرواح بالمعارف، فإن الكتاب الذي أنزله على عبده سبب لحصول المكاشفات والمشاهدات، فكان هذا إشارة إلى التربية الروحانية فقط، وقوله في أول سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إشارة إلى التربية العامة في حق كل العالمين، ويدخل فيه التربية الروحانية للملائكة والإنس والجن والشياطين، والتربية الجسمانية الحاصلة في السماوات والأرضين، فكان المذكور في أول سورة الكهف نوعاً من أنواع ما ذكره في أول الفاتحة.

وثالثها: سورة سبأ، وهو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١] في أول سورة الأنعام أن السماوات والأرض له، وبين في أول سورة سبأ أن الأشياء الحاصلة في السماوات والأرض له، وهذا أيضاً قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ورابعها: قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] والمذكور في أول سورة الأنعام كونه خالقها كلها، والخلق: هو التقدير، والمذكور في هذه السورة كونه فاطراً لها ومحدثاً لذواتها، وهذا غير الأول، إلا أنه أيضاً قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]..

ثم إنه تعالى لما ذكر في سورة الأنعام كونه خالقاً للسماوات والأرض، ذكر كونه جاعلاً للظلمات والنور، أما في سورة الملائكة -أي سورة فاطر-: فلما ذكر كونه فاطر السماوات والأرض، ذكر كونه جاعلاً للملائكة رؤسلاً، ففي سورة الأنعام ذكر بعد تخليق السماوات والأرض جعل الأنوار والظلمات، وذكر في سورة

الملائكة بعد كونه فاطر السماوات والأرض جعلَ الروحانيات، وهذه أسرارٌ عجيبةٌ ولطائفٌ عاليةٌ، إلا أنها بأسرها تجري مجرى الأنواع الداخلة تحت البحر الأعظم المذكور في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. فهذا هو التنبيه على أن قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجري مجرى ذكر الدليل على وجود الإله القديم^(١).

- الوحدة الموضوعية بين سورتي النساء والحج:

في بداية تفسيره لسورة النساء ذكر الإمام الرازي العلاقة بين مطلع سورة النساء ومطلع سورة الحج، قال: "إنه تعالى جعل هذا المطلع مطالعاً لسورتين في القرآن: إحداهما: هذه السورة، وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن. والثانية: سورة الحج، وهي أيضاً السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، ثم إنه تعالى علّل الأمر بالتقوى في هذه السورة بما يدلّ على معرفة المبدأ، وهو أنه تعالى خَلَقَ الخَلْقَ من نفسٍ واحدةٍ، وهذا يدلّ على كمال قدرة الخالق، وكمال علمه، وكمال حكمته وجلاله، وعلّل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدلّ على كمال معرفة المعاد، وهو قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، فجعل صَدْرَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ دلالةً على معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، ثم قدّم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد، وتحت هذا البحث أسرارٌ كثيرةٌ"^(٢).

وذكر أيضاً الوحدة الموضوعية لمقطع من السور من سورة الضحى إلى سورة الناس^(٣).

النوع الثاني: وحدة السورة القرآنية:

السورة القرآنية احتوت معانٍ كثيرةً، بعضها متعلّق ببعضٍ في وحدةٍ تامةٍ؛ لأنها تُعتبر قضيةً واحدةً نازلةً لغرضٍ واحدٍ، فلا يحصى لمن أراد الفهم أن يردّ آخر الكلام على أوّله، وأوّلُه على آخره. فإنّ من يُغرِقُ

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ١٨٠-١٨١).

(٢) مفاتيح الغيب: (٩/ ١٥٨).

(٣) مفاتيح الغيب: (٣٢/ ١١٨).

النظر في الآيات على أنها منفصلة تماماً عن غيرها، ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة وفي هدفها العام، لم يحصل له إلا فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي فقط، لا بحسب المقصود الأعلى للمتكلم، ومما يأخذ بيده إلى فهم المقصود الأعلى والغرض الأسمى للكلام، النظر في أسباب النزول، مع ضوابطه العلمية التي توقفه على حقائق الكلام، ولا تتضح إلا عن هذا الطريق^(١).

ومن الأمثلة التي ذكرها الإمام الرازي للوحدة الموضوعية في السورة الواحدة، ما كتبه في سورة النساء، قال:

"اعلم أنّ هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكليف؛ وذلك لأنّه تعالى أمر الناس في أوّل هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرّأفة بهم، وإيصال حقوقهم إليهم، وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى خُتمت السورة وهو قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وذكر في أثناء هذه السورة أنواعاً أخرى من التكليف، وهي: الأمر بالطهارة، والصلاة، وقتال المشركين، ولما كانت هذه التكاليّف شاقّة على النفوس لِثِقَلِهَا على الطّباع، لا جَرَمَ افتتح السورة بالعلّة التي لأجلها يجب حمّل هذه التكاليّف الشاقّة، وهي تقوى الرّبّ الذي خلقنا، والإله الذي أوجدنا، فلهذا قال: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [النساء: ١]"^(٢)، ثمّ إنّ الإمام الرازي في كلّ مقطعٍ من مقاطع السورة ذكر بأنّه نوعٌ من التكاليّف المأمور بها في هذه السورة.

ومن الأمثلة التي ذكرها للوحدة الموضوعية في السورة الواحدة ما ذكره عن سورة الواقعة مثلاً؛ حيث إنّهُ ذكر أربعة مواضع من سورة الواقعة، فذكر أنّها تجمع أدلّة إمكان الحشر، وذكر مع كلّ موقع آياتٍ نظيرة له من القرآن من سورٍ أخرى^(٣).

(١) يُنظر: الوحدة الموضوعية: (١٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٥٧ / ٩).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٢٣ - ١٢٤).

فظهر من كلامه أن سورة الواقعة جمعت أدلة كثيرة على إمكان الحشر، ولم يكتف الإمام بذلك، بل ساق نظائر لهذه الآيات التي استدلل بها، مما يؤكد اتحاد السورة جزئياً مع السور الأخرى التي ذكرت في المواضيع المشتركة بينها.

ومن الأمثلة أيضاً ما كتبه عن الوحدة الموضوعية في سورة الإنسان، قال الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]: إِنَّ سورة الإنسان في أوائلها ذكر خَلَقَ الإنسان، ثم جمعت كثيراً من الآيات التي تتحدث عن الآخرة، ثم جاء الحديث عن الدنيا، وأظهر الإمام الرازي الارتباط بين آياتها تفصيلاً^(١).

ثالثاً: الوحدة الموضوعية للموضوع القرآني:

"الوحدة الموضوعية" كَمَرَكَبٍ وَصَفِيٍّ معناها: "اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثراً، وأنه لا تباين فيه ولا اختلاف، بل يؤلف وحدة موضوعية له كاملة، كما نقول بعبارة أخرى: (وحدة الموضوع)^(٢)."

وأما الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم فهي: البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سورته المختلفة؛ ليظهر ما فيها من معانٍ خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبهته؛ لنحقق الهدف، وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم^(٣).

إن الموضوعات المتعددة في كل سورة قد يشترك معها في تلك الموضوعات -أو في جزء منها أو أكثر- سورٌ أخرى. فهل الموضوع الواحد سواءً أكان في التوحيد أو في التشريع أو القصص الذي ذكر مراراً وتكراراً، وتعدّد في سور كثيرة، يكون وحدة موضوعية؟

(١) مفاتيح الغيب: (٣٠ / ٢٥٦).

(٢) الوحدة الموضوعية: (٣٣ - ٣٤).

(٣) الوحدة الموضوعية: (٣٣).

الجواب: نعم، وعلى ذلك أخذنا بمبدأ سليم مؤيد بالشواهد والأدلة، وحقيقة علمية سليمة وهي: كمال الوحدة الموضوعية وتناسقها في جميع السُّور التي تكرر فيها الموضوع^(١).

وفي تفسير الإمام الرازي أمثلة كثيرة لجمع الموضوع الواحد في التفسير، منها:

الوحدة الموضوعية لموضوع العلم في القرآن، قال الإمام الرازي في ذلك: "واعلم أنه يدل على فضيلة العلم الكتابُ والسُّنةُ والمنقولُ، أمّا الكتاب فوجوه: الأول: أن الله تعالى سمى العلم بالحكمة، ثم إنه تعالى عظم أمر الحكمة، وذلك يدل على عظم شأن العلم، وبيان أنه تعالى سمى العلم بالحكمة ما يروى عن مقاتل: أنه قال: تُفسَّرُ الحكمة في القرآن على أربعة أوجه: أحدها: مواعظ القرآن، قال في البقرة: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، يعني: مواعظ القرآن، وفي النساء: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] يعني: المواعظ، ومثلها في آل عمران. وثانيها: الحكمة بمعنى الفهم والعلم، في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢]، وفي لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، يعني: الفهم والعلم، وفي الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة، في النساء: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]، يعني: النبوة، وفي ص: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْخُكْمَ﴾ [ص: ٢٠] يعني: النبوة، وفي البقرة: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ورابعها: القرآن، في النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وفي البقرة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم، ثم تفكر أن الله تعالى ما أعطى من العلم إلا القليل قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وسمى الدنيا بأسرها قليلاً، فقال: ﴿قُلْ مَنعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، فما سمّاها قليلاً لا يمكننا أن ندرك كمّيته فما ظنك بها سمّاها كثيراً؟! ثم البرهان العقلي على قلة الدنيا وكثرة الحكمة: أن الدنيا متناهية القدر، متناهية العدد، متناهية المدة، والعلم لا نهاية لقدره وعدده ومُدَّتْه، ولا للسعادات الحاصلة منه، وذلك ينبّهك على فضيلة العلم. الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ

(١) الوحدة الموضوعية: (٩٥).

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الرزم: ٩﴾ ، وقد فرّق بين سبع نفرٍ في كتابه: فرّق بين الخبيث والطيب فقال:

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [المائدة: ١٠٠] يعني: الحلال والحرام، وفرّق بين الأعمى والبصير فقال: ﴿

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وفرّق بين النور والظلمة فقال: ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ ﴾ [الرعد: ١٦] وفرّق بين الجنة والنار، وبين الظل والحُرور، وإذا تأملت وجدت كل ذلك مأخوذاً من

الفرق بين العالم والجاهل. الثالث: قوله: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] ، والمراد من

أولي الأمر: العلماء في أصح الأقوال؛ لأنّ الملوك يجب عليهم طاعة العلماء، ولا ينعكس، ثمّ انظر إلى هذه

المرتبة؛ فإنّه تعالى ذكر العالم في موضعين من كتابه في المرتبة الثانية، قال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَكُ وَالْأُولُو الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، ثمّ إنّ

سبحانه وتعالى زاد في الإكرام فجعلهم في المرتبة الأولى في آيتين، فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] وقال: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

﴿ [الرعد: ٤٣] ، الرابع: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] ، واعلم أنّه تعالى

ذكر الدرجات لأربعة أصناف، أولها: للمؤمنين من أهل بدر: قال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] إلى قوله: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنفال: ٤] ، والثانية: للمجاهدين، قال: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ

الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ [النساء: ٩٥]، والثالثة: للصالحين، قال: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى

﴿ [طه: ٧٥] ، الرابعة: للعلماء. قال: ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، والله فضّل أهل بدر على غيرهم من

المؤمنين بدرجاتٍ، وفضّل المجاهدين على القاعدين بدرجاتٍ، وفضّل الصالحين على هؤلاء بدرجاتٍ، ثمّ

فضّل العلماء على جميع الأصناف بدرجاتٍ، فوجب أن يكون العلماء أفضل الناس. الخامس: قوله تعالى: ﴿

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، فإنّ الله تعالى وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب: أحدها:

الإيمان: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران: ٧] ، وثانيها: التوحيد والشهادة: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴿[آل عمران: ١٨]، وثالثها: البكاء: ﴿وَيَخْرُونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ورابعها: الخشوع ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلَّذِينَ سَجَدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وخامسها: الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ^(١).

ومن الموضوعات التي درسها الإمام الرازي في تفسيره أيضاً موضوع الحكمة ^(٢)، والتقوى ^(٣)، وبرُّ الوالدين ^(٤)، والحث على القلوب ^(٥)، وإمكان النشر ^(٦)، والميئة ^(٧)، ومراحل خلق الإنسان ^(٨).

(١) مفاتيح الغيب: (١٧٨/٢-١٧٩)

(٢) مفاتيح الغيب: (٦٧/٧)

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٠/٣-٢١)

(٤) مفاتيح الغيب: (٩٨/١٠)

(٥) مفاتيح الغيب: (٥٢/٢)

(٦) مفاتيح الغيب: (١٢٣/٢-١٢٤)

(٧) مفاتيح الغيب: (١٤/٥)

(٨) مفاتيح الغيب: (٨٣/٨)

المطلب السابع: الاعتماد على أصول مدرسة أهل السنة والجماعة في التفسير

التي ترى القرآن الكريم سطوراً واحداً لا تتعارض آياته:

❖ أولاً: من هم أهل السنة والجماعة؟

إنَّ أهل السنة والجماعة هم السَّواد الأعظم من المسلمين الذين يتَّفَقون على أصولٍ كُليَّةٍ يحكمون إليها، وبينهم اختلافٌ في الفروع يعذر بعضهم بعضاً فيه^(١).

وأهل السنة والجماعة ثمانية أصناف، والمقصود منهم هنا صنفان:

الصنف الأول منهم: أحاطوا علماً بأبواب التوحيد، والنَّبوة، وأحكام الوعد والوعيد، والثواب، والعقاب، وشروط الاجتهاد، والإمامة، والزعامة، وسلوكوا في هذا من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرَّؤوا من التشبيه والتعطيل، ومن بدع الرافضة والخوارج وسائر أهل الأهواء الضالة.

الصنف الثاني منهم: أئمة الفقه من فريقَي الرأي والحديث، من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذهب الصفاتية في الله، وفي صفته الأزلية، وتبرَّؤوا من القَدَر والاعتزال، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار، من غير تسبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر من القبور، مع إثبات السؤال في القبر، ومع إثبات الحوض والصراف والشفاعة، وغفران الذنوب التي دون الشرك^(٢).

والمقصود بالصنف الأول الأشعرية والماتريدية، والمقصود من الصنف الثاني أهل الحديث.

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: (٢ / ٦).

(٢) الفرق بين الفرق: (٢٧٢).

ثانياً: الأسس التي استفادها الإمام الرازي من مدرسة أهل السنة في فهم القرآن الكريم^(١):

١ - الاستناد إلى دلائل العقل السليم لمعرفة المحكم والمتشابه، وهذا المحكم هو الأصل الذي يرجع إليه عند تفسير المتشابه:

قال الإمام الرازي: "وأما المحقق المنصف فإنه يحمل الأمر في الآيات على أقسام ثلاثة، أحدها: ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية، فذاك هو المحكم حقاً. وثانيها: الذي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها، فذاك هو الذي يُحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره. وثالثها: الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه، فيكون من حقه التوقف فيه، ويكون ذلك متشابهاً، بمعنى: أن الأمر اشتبه فيه، ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر، إلا أن الظنّ الراجح حاصل في إجرائها على ظواهرها، فهذا ما عندي في هذا الباب والله أعلم بمراده"^(٢).

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٤٧]: "وهذا ثناء من الله تعالى على الذين قالوا آمناً به، ومعناه: ما يتعظ بها في القرآن إلا ذوو العقول الكاملة؛ فصار هذا اللفظ كالدلالة على أنهم يستعملون عقولهم في فهم القرآن، فيعلمون الذي يطابق ظاهره دلائل العقول فيكون محكماً، وأما الذي يخالف ظاهره دلائل العقول فيكون متشابهاً، ثم يعلمون أن الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض والباطل، فيعلمون أن ذلك المتشابه لا بُدَّ وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى، وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية، ويتوسلون بها إلى معرفة ذات الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، ولا يفسرون القرآن إلا بما يطابق دلائل العقول، ويوافق اللغة والإعراب"^(٣).

(١) يُنظر: إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري: (٥٦-٦١).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٨٧/٧).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٩١/٧).

٢- القرآن الكريم كالسورة الواحدة في عدم التناقض:

أكد الإمام الرازي في مواضع عدّة من تفسيره على أنّ القرآن الكريم كالسورة الواحدة في عدم التناقض. والمقصود هنا بكون القرآن الكريم كالسورة الواحدة: أنّه بمثابة الكلمة الواحدة، أو الجملة الواحدة، أو الآية الواحدة، وإذا كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأجزائه؛ فذلك التعدّد ضرورة لا غنى عنها في التعليم والتعلّم، والتنزيل لتغيير الواقع وإبداله، فلم يكن في مقدور الإنسان أن يستوعب قرآناً يتّصف بكلّ صفات القرآن جملةً واحدةً، بل عليه أن يأخذه باعتباره ذي وحدة بنائية لا تختلف عن وحدة الكلمة في حروفها، ووحدة الجملة في كلماتها وأركانها، ووحدة الإنسان في أعضائه، -ولو نزل مفرّقاً- لتثبت الأفضة به، وليمكن البشر من تعلمه، وحسن تلقيه، ولذلك فحين تعرّض في أذهان بعضهم بعض آفات الخطاب ترتدّ عنه خاسئةً حسيّرةً، حتّى لكان آياته تترأّص فتصبح كالكلمة الواحدة في بنائه^(١).

ومن أمثلة ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] قال: "ظاهر قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقتضي أنّها ما أُعِدَّتْ إلا للكافرين، وهذا يقتضي القطع بأنّ أحداً من المؤمنين لا يدخل النار، وهو على خلاف سائر الآيات، والجواب من وجوه: ... الوجه الثالث في الجواب: أنّ القرآن كالسورة الواحدة؛ فهذه الآية دلّت على أنّ النار مُعَدَّةٌ للكافرين، وسائر الآيات دالّة أيضاً على أنّها مُعَدَّةٌ لمن سرق وقتل وزنى وقذف، ومثاله قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨] وليس لجميع الكفار يقال ذلك، وأيضاً قال تعالى: ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَاهُمْ وَأَلْعَاوُنَ﴾ [الشعراء: ٩٤] إلى قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨] وليس هذا صفة جميعهم، ولكن لما كانت هذه الشرائط مذكورة في سائر السور، كانت المذكورة ها هنا، فكذا فيما ذكرناه، والله أعلم"^(٢).

(١) الوحدة البنائية في القرآن الكريم: (١٤)

(٢) مفاتيح الغيب: (٣/٩).

٣- الإنصاف والموضوعية في التعامل مع أي القرآن الكريم:

ذكر الإمام الرازي أنَّ أرباب الفرق المُبتدعة وقعوا في الانتقائية في تعاملهم مع نصوص القرآن، فما كان ظاهره موافقاً لمذهبهم أجرَّوه على ظاهره، وما كان ظاهره مخالفاً لمذهبهم أولَّوه تعسفاً ليوافق أهواءهم.

قال: " واعلم أنَّك لا ترى طائفة في الدنيا إلا وتُسمي الآيات المطابقة لمذهبهم مُحكمةً، والآيات المطابقة لمذهب خصمهم مُتشابهةً، ألا ترى إلى الجبائي فإنه يقول: المجبرة ^(١) الذين يضيفون الظلم والكذب وتكليف ما لا يُطاق إلى الله تعالى هم المتمسكون بالمتشابهات، وقال أبو مسلم الأصفهاني: الزائف الطالب للفتنة هو

مَن يتعلق بآيات الضلال، ولا يتأولها على المحكم الذي بيَّنه الله تعالى بقوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩] ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وفسروا أيضاً قوله: ﴿

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] على أنه تعالى أهلكهم وأراد فسقهم، وأنَّ الله تعالى

يطلب العِلل على خلقه ليُهْلِكهم، مع أنه تعالى قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وتأولوا قوله تعالى: ﴿زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾

[النمل: ٤] على أنه تعالى زين لهم النعمة، ونقضوا بذلك ما في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصاص: ٥٩]، وقال: ﴿

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ﴾ [يونس: ١٠٨]

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] فكيف يُزَيِّن النعمة؟ فهذا ما قاله

أبو مسلم. وليت شعري لمَ حَكَم على الآيات الموافقة لمذهبه بأنها مُحكمات، وعلى الآيات المخالفة لمذهبه بأنها

(١) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل، وسمي ذلك كسباً، فليس بجبري. والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً جبرياً. [الملل والنحل: (١) / ٧٢].

مُتَشَابِهَاتٌ؟ وَلِمَ أوجب في تلك الآيات المطابقة لمذهبه إجرائها على الظاهر؟ وفي الآيات المخالفة لمذهبه صرفها عن الظاهر؟ ومعلومٌ أنَّ ذلك لا يَتِمُّ إلا بالرجوع إلى الدلائل العقلية الباهرة" (١).

ثم قال: "فظهر بما ذكرناه أنَّ القانون المستمرَّ عند جمهور الناس: أنَّ كلَّ آيةٍ توافق مذهبهم فهي المحكَّمة، وكلُّ آيةٍ تخالفهم فهي المتشابهة".

والأمثلة على استدلال الإمام الرازي في تفسيره للآيات برّد التشابه إلى المحكِّم سيأتي شرحها في الفصل الثاني من هذه الدراسة، في مبحث المحكم والمتشابه.

(١) مفاتيح الغيب: (١٨٧/٧).

المبحث الرابع:

أنواع وألفاظ تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:

المطلب الأول: أنواع تفسير القرآن بالقرآن:

(١) تفسير القرآن من حيث دلالاته: بحمل بعضها على بعض، بحسب تفاوت هذه الدلالات في الوضوح، أو في الشمول، أو في القطعية، فهذه الدلالات يبين بعضها بعضاً.

وتحت هذا النوع: أنواع ثلاثة:

١. حمل العام على الخاص.

٢. حمل المطلق على المقيد.

٣. حمل المحكم على المتشابه.

(٢) تفسير القرآن باجتهاد يستند في صحته إلى ما جاء في القرآن الكريم، باعتباره أقوى الحجج.

وتحت هذا النوع:

١. الاستدلال على صحة التفسير بالموافقة أو المناسبة لمعنى آية أخرى:

٢. الجمع بين ما يتوهم أنه متعارض من الآيات القرآنية:

٣. رد الخطأ في التفسير بتفسير القرآن بالقرآن:

٤. دفع الإشكال عن الآيات القرآنية:

٥. تفسير المفردات القرآنية بالقرآن الكريم:

➤ تفسير المفردة القرآنية بلفظة أشهر منها:

➤ تفسير المفردة ثم ذكر ما يدل على صحة هذا التفسير من القرآن:

➤ التفريق بين المفردات التي تبدو متشابهة:

٦. الاستدلال بالنظائر القرآنية:

(٣) تفسير القرآن بما يقتزن بالآية من قرائن لفظية توضّح المعنى.

١. سياق الآية.

٢. سياق المقطع.

٣. سياق السورة.

٤. سياق القرآن الكريم.

وشرح هذه الأنواع والتعريف بها يأتي في فصول هذه الدراسة.

المطلب الثاني: ألفاظ تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: الألفاظ الصريحة العامة في تفسير القرآن بالقرآن:

(١) (كما قال تعالى):

قال في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: "الحمد إنها يكون حمداً على النعمة، والحمد على النعمة لا يمكن إلا بعد معرفة تلك النعمة، لكن أقسام نعم الله خارجة عن التحديد والإحصاء، كما قال
تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [البقرة: ٢٤٤] " (١).

(٢) (ويتأكد ذلك بقوله تعالى):

قال في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]: "تدل على أن أهل الثواب لا خوف عليهم يوم القيامة، ويتأكد ذلك
بقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] " (٢).

(١) مفاتيح الغيب: (١٥ / ١)

(٢) مفاتيح الغيب: (٨٢ / ٧)

٣) (وإليها الإشارة بقوله تعالى):

في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]:

قال: "العبادة عبارة عن الفعل الذي يُؤتى به لغرض تعظيم الغير، وهو مأخوذ من قولهم: طريق مُعَبَّدٌ، أي: مُذَلَّلٌ، واعلم أن قولك: إِيَّاكَ نَعْبُدُ، معناه: لا أَعْبُدُ أحداً سواك، والذي يدل على هذا الحصر وجوه، الأول: أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم، وهي لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الإنعام، وأعظم وجوه الإنعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع، وخلق المنتفع به، فالمرتبة الأولى - وهي الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع - وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩]، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية، والمرتبة الثانية: وهي خلق المنتفع به، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩] ^(١).

٤) (ويدل عليه آيات):

في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]: قال: "واعلم أن العبادة والعبودية مقام عال شريف، ويدل عليه آيات، الأولى: قوله تعالى في آخر سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (١٩)﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩]، والاستدلال بها من وجهين، أحدهما: أنه قال: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فأمَرَ محمداً ﷺ بالمواظبة على العبادة إلى أن يأتيه الموت، ومعناه: أنه لا يجوز الإخلال بالعبادة في شيء من الأوقات، وذلك يدل على غاية جلالة أمر العبادة، وثانيهما: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾، ثم إنه تعالى أمره بأربعة أشياء: التسبيح: وهو قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾، والتحميد: وهو قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، والسجود: وهو قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، والعبادة: وهي قوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، وهذا يدل على أن العبادة تُزيل ضيق القلب، وتفيد انشراح الصدر؛ وما ذاك إلا لأن العبادة توجب الرجوع من الخلق إلى الحق، وذلك

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ٢٤٢)

يوجب زوال ضيق القلب. الآية الثانية: في شرف العبودية: قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، ولولا أن العبودية أشرف المقامات ... الآية الثالثة: في شرف العبودية: أن عيسى عليه السلام أول ما نطق قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، وصار ذكره لهذه الكلمة سبباً لطهارة أمه، ولبراءة وجوده عن الطعن، وصار مفتاحاً لكل الخيرات، ودافعاً لكل الآفات. الآية الرابعة: قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، أمره بعد التوحيد بالعبودية؛ لأن التوحيد أصل، والعبودية فرع، والتوحيد شجرة، والعبودية ثمرة، ولا قوام لأحدهما إلا بالآخر، فهذه الآيات دالة على شرف العبودية" (١).

(٥) (ونظيره قوله تعالى):

في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] ذكر قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] إلى قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٧] في الاستدلال على إمكان الحشر، وشرح ما فيها من آيات معجزة في المخلوقات، ثم قال: ونظيره قوله تعالى: ﴿وَتَرَى

الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥] (٢).

(٦) وهذا ضعيف لوجوه أحدها قوله تعالى:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] قال: "للمفسرين في الصاعقة قولان، الأول: أنها هي الموت، وهو قول الحسن وقتادة، واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذا ضعيف لوجوه، أحدها: قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنْظَرُونَ﴾، ولو كانت الصاعقة هي الموت، لامتنع كونهم ناظرين إلى

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ٢٥٠)

(٢) مفاتيح الغيب: (٢/ ١٢٤)

الصاعقة، وثانيها: أنه تعالى قال في حق موسى: ﴿وَحَرَّمُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، أثبت الصاعقة في حقه مع أنه لم يكن ميتاً؛ لأنه قال: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ ، والإفاقة لا تكون عن الموت، بل عن الغشي...^(١).

فهنا استدلل الإمام الرازي بالقرآن الكريم على ضعف الوجه التفسيري المذكور.

٧) القرآن مملوء من تعظيم حال الشهداء:

في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران: ١٤٠

قال الإمام الرازي: "في هذه الآية قولان، الأول: يتخذ منكم شهداء على الناس بما صدر منهم من الذنوب والمعاصي ، فإن كونهم شهداء على الناس منصب عال ودرجة عالية. والثاني: المراد منه: وليكرم قوماً بالشهادة ، وذلك لأن قوماً من المسلمين فاتهم يوم بدر ، وكانوا يتمنون لقاء العدو، وأن يكون لهم يوم كيوم بدرٍ يقاتلون فيه العدو، ويلتمسون فيه الشهادة ، وأيضاً "القرآن مملوء من تعظيم حال الشهداء؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ، وقال: ﴿وَجَاءَ النَّبِيُّنَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ [الزمر: ٦٩] ، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ، فكانت هذه المنزلة هي المنزلة الثالثة بعد النبوة ، وإذا كان كذلك، فكان من جملة الفوائد المطلوبة من تلك المداولة حصول هذا المنصب العظيم لبعض المؤمنين"^(٢).

٨) ومن عادة القرآن^(٣): سبق بيان المراد منه.

(١) مفاتيح الغيب: (٨٦ / ٣)

(٢) مفاتيح الغيب: (١٨ / ٩)

(٣) سبق بيان المراد منه ص: (٩٠) من هذا البحث.

(٩) ومثله في كتاب الله كثير:

قال: "أما تشبيه الإيـان بالنور، والكفر بالظلمة، فهو في كتاب الله تعالى كثير، والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هادياً إلى المحجّة، وإلى طريق المنفعة، وإزالة الحيرة، وهذا حال الإيـان في باب الدين، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة؛ لأنّ الضالّ عن الطريق المحتاج إلى سلوكه لا يردّ عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر، فشبه تعالى أحدهما بالآخر" (١).

(١٠) وهو كثير في القرآن:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] في معنى الفساد: الوجه الثاني في تفسير الفساد أنه -أي الأخنس بن شريق الثقفي- كان بعد الانصراف من حضرة النبي ﷺ يشتغل بإدخال الشبه في قلوب المسلمين، وباستخراج الحيل في تقوية الكفر، وهذا المعنى يُسمّى فساداً؛ قال تعالى حكايةً عن قوم فرعون حيث قالوا له: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: يردّوا قومك عن دينهم، ويفسدوا عليهم شريعتهم، وقال أيضاً: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] ما يقرب من هذا الوجه، وإنما سُمّي هذا المعنى فساداً في الأرض؛ لأنه يوقع الاختلاف بين الناس، ويفرق كلمتهم، ويؤدّي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض، فتقطع الأرحام، وتنسفك الدماء؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، فأخبر أنهم إن تولّوا عن دينه لم يحصلوا إلا على الفساد في الأرض، وقطع الأرحام، وذلك من حيث قلنا، وهو كثير في القرآن. واعلم أن حمل الفساد على هذا أولى من حمله على التخریب والنهب؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ والمعطوف مغايرٌ للمعطوف عليه لا محالة (٢).

(١) مفاتيح الغيب: (٢/ ٧٤).

(٢) مفاتيح الغيب: (٥/ ٢١٥).

(١١) أن الله تعالى أنزل آيات كثيرة في هذا المعنى:

فإن قيل إنه تعالى قال ومن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] وهذه صفة الكافر، قلنا: معنى الآية: فليس من ولاية الله في شيء، وهذا لا يوجب الكفر في تحريم موالاة الكافرين. واعلم أنه تعالى أنزل آيات كثيرة في هذا المعنى، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا يُمُونُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١] وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١] وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنَتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ^(١).

(١٢) (وهذا على قانون قوله تعالى):

والمقصود بالقانون: طريقة فهم الآية والأصل الذي تنضوي تحته من حيث المعنى.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] " (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) وهذا على قانون قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] ^(٢).

(١٣) كالتفسير لقوله تعالى:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]

قال: "فهذا كالتفصيل لجملة عداوته، وهو مشتمل على أمور ثلاثة، أولها: السوء، وهو متناول جميع المعاصي، سواء كانت تلك المعاصي من أفعال الجوارح، أو من أفعال القلوب، وثانيها: الفحشاء، وهي نوع من السوء؛ لأنها أقبح أنواعه، وهو الذي يُستعظم ويستفحش من المعاصي، وثالثها: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ وكأنه أقبح أنواع الفحشاء؛ لأن وصف الله تعالى بما لا ينبغي من أعظم أنواع الكبائر، فصارت

(١) مفاتيح الغيب: (١١ / ٨).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٣ / ٢٠٧).

هذه الجملة كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فيدخل في الآية أن الشيطان يدعو إلى الصغائر والكبائر والكفر والجهل بالله^(١).

(١٤) مفسر بقوله تعالى:

قال: "قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] مفسر بقوله: ﴿قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٠ - ٩]، بمعنى تقدير الأرض في يومين، وتقدير الأقوات في يومين آخرين، كما يقول القائل: من الكوفة إلى المدينة عشرون يوماً، وإلى مكة ثلاثون يوماً؛ يريد أن جميع ذلك هو هذا القدر. ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ في يومين آخرين، ومجموع ذلك ستة أيام على ما قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]"^(٢).

(١٥) الإحالة إلى ما ذكره من تفسير في الآيات السابقة ثم إجمالها بآية من القرآن الكريم:

في تفسيره لسورة الفاتحة، قال: "وقد ظهر بها ذكرنا أن هذه السورة وافية ببيان ما يجب معرفته من عهد الربوبية وعهد العبودية المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]"^(٣).

(١٦) أن الله تعالى أينما ذكر (الإيمان)

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، قال في استدلاله على أن الإيمان هو التصديق: "الرابع: أن الله تعالى كلما ذكر الإيمان في القرآن أضافه إلى القلب، قال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المائدة: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

(١) مفاتيح الغيب: (٥ / ٤).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢ / ١٥١).

(٣) مفاتيح الغيب: (١ / ١٨٤).

الخامس: أن الله تعالى أينما ذكر الإيمان قرن العمل الصالح به ، ولو كان العمل الصالح داخلاً في الإيمان لكان ذلك تكراراً.

السادس: أنه تعالى كثيراً ذكر الإيمان وقرنه بالمعاصي، قال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] ^(١).

ثانياً: الألفاظ الخاصة في تفسير القرآن بالقرآن:

والأمثلة على هذه الألفاظ لن أذكرها هنا، بل ستأتي في موضعها من الفصول القادمة من الدراسة.

• ألفاظ حمل العام على الخاص:

١ / الخاصّ مقدّم على العام.

٢ / لا بُدّ في هذا التخصيص من سبب.

٣ / إذا ثبت دخول التخصيص في هاتين الصورتين، فنحن نخصّص هذا العموم فيما إذا حصل العفو بغير دليل.

٤ / ظاهر الآية يقتضي.... إلا أنّه مخصوص بقوله تعالى.

• ألفاظ حمل المطلق على المقيد:

١ / لا شك أن المطلق محمول على المقيد.

٢ / إذا كان التقييد معلوماً من كل القرآن كان المطلق ها هنا محمولاً على ذلك المقيد.

٣ / هذا مطلق، والدليل الذي ذكرناه مقيد، وحمل المطلق على المقيد واجب.

• حمل التشابه على المحكم:

(١) مفاتيح الغيب: (٢ / ٢٦)

١- والذي يدل على صحة هذا التأويل أنه تعالى قال ...

٢- صار هذا المحكم مفسراً لذلك المتشابه؛ لأنَّ كلَّ هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض.

٣- ذكر وجه تأويل الآية ثم قال: "ونظيره..."

٤- عند التأويل قال: اليد تذكر في اللغة على وجوه: وذكر لكل وجه ما يدل عليه من القرآن، ثم قال: "اليد في حق الله يمتنع أن تكون بمعنى الجارحة، وأمّا سائر المعاني فكلُّها حاصلة".

• دور الاستدلال بالقرآن الكريم في التفسير بالاجتهاد عند الإمام الرازي:

- "هذه الآية مناسبة لقوله تعالى:..."

- قال: وطريق الجمع أن نقول: النوع الأول من الآيات مصروفٌ إلى ما يتعلق بأصول الدين، والنوع الثاني ما يتعلق بفروع الدين.

• صور من الاستدلال للقرآن باجتهاده:

- الآراء النحوية:

"الأمرها هنا أهون منه في قوله تعالى:..."

- الآراء اللغوية:

قال: "قال الله تعالى: ولأجل هذه المقاربة يُقام كلُّ من اللفظين مقام الآخر قال تعالى:..."

- الآراء البلاغية:

قال: "حذف لدلالة قوله تعالى عليه .. وهو كقوله تعالى .."

- تفسير المفردات القرآنية بالقرآن:

- كما قال في موضعٍ آخر.

• ألفاظ الاستدلال بالسياق القرآني:

- فهذا معنىً حسنٌ مفهومٌ من سياق الآية.

- أنه تعالى قال قبل الآية... فدلّ على..

- فهذا قولٌ حسنٌ مناسبٌ؛ وتقديره أن الله تعالى حكى قبل هذه الآية...

- لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلّقٌ بوجهٍ من الوجوه، وانقطع النظم، وحصل فساد الترتيب،

وذلك لا يليق بكلام الله تعالى.

- إذا حملنا الآية على هذا الوجه استقام النظم، وحصل الترتيب المفيد.

- لأنّه تعالى جزم قبل هذه الآية..

- هذا أقرب إلى نظم السورة من أولها إلى آخرها.

- أمثال هذه الكلمات فيها حيفٌ عظيمٌ على القرآن؛ لأنه يقتضي ورود آياتٍ لا تعلّق للبعض فيها
بالبعض.

- هذه السورة من أولها إلى آخرها كلامٌ واحدٌ.

- إذا قلنا بهذا الكلام بقيت السورة من أولها إلى آخرها على أحسن وجوه النظم.

- وسياق الكلام يدلّ عليه، وإلقاء قصّة أجنبية عن أول الكلام وآخره غيرٌ لائقٍ.

- المقصود من الآية المتقدمة.. وإنّ الآيتين المتقدمتين.

- المقصود من الآية المتقدمة بيان... والمقصود من هذه الآية تكميل ذلك البيان.

- وهذا تفسيرٌ حسنٌ مطابقٌ لنظم الآية.

- لأن جميع الآيات المتقدمة تقتضي..

- أنّّه تعالى قال بعد ذلك....

الفصل الثاني:

حمل دلالات الآيات بعضها على بعض:

وفيه ثلاثة مباحث:

• المبحث الأول: حمل العام على الخاص:

المطلب الأول: التعريف بالعام والخاص، وما يتعلق بالتخصيص في تفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على حمل العام على الخاص في تفسير الإمام الرازي:

• المبحث الثاني: حمل المطلق على المقيد:

المطلب الأول: المقصود بحمل المطلق على المقيد، وصلته بتفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على حمل المطلق على المقيد في تفسير الإمام الرازي:

• المبحث الثالث: حمل المتشابه على المحكم:

المطلب الأول: المقصود بحمل المتشابه على المحكم، وصلته بتفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على حمل المتشابه على المحكم في تفسير الإمام الرازي:

تمهيد:

معنى حمل دلالات الآيات بعضها على بعض:

- معنى الحمل:

لغة: الحاء والميم واللام أصل واحد يدل على إقلال الشيء^(١).

والمقصود به هنا: حمل الشيء إذا ألحقه به.

اصطلاحاً: اعتقاد السامع مُراد المتكلم من لفظه، أو ما اشتمل على مُرادِه^(٢).

- معنى الدلالة:

لغة: الدال واللام تدل على: إبانة الشيء بأمانة تتعلمها: دَلَّتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمانة في

الشيء، وهو يبين الدلالة والدلالة^(٣).

اصطلاحاً: لها تعاريف عدة:

١. كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول^(٤).

٢. كون الشيء بحيث يفيد علماً، إذا لم يكن في الغير مانع، كمزاحمة الوهم، والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة: (١٠٦/٢).

(٢) الكليات: (٩٣٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة: (٢٥٩/٢).

(٤) التعريفات: (١٠٤).

(٥) الكليات: (٤٣٩).

٣. كون اللفظ بحيث إذا أُطلقَ فَهَمَ منه المعنى من كان عالماً بوضعه له^(١).

التعريف المختصر الأكثر وضوحاً في التعبير عن المعنى هو التعريف الثالث.

* المقصود بدلالة اللفظ على المعنى في هذا الفصل: النظر إلى الألفاظ من أكثر من زاوية:

- من الناحية الأولى: النظر إلى درجة شمول الألفاظ للأفراد المخاطبين بها، أو للأحكام التي جاءت بها من رب العزة جلّ جلاله. وفي هذه الناحية يوجد: (العالم والخاص) و (المطلق والمقيّد).
فهنا سيحمل العام على الخاص، والمطلق على المقيّد من خلال الأمثلة الواردة في هذا الفصل.
 - من الناحية الثانية: النظر إلى درجة وضوح الألفاظ، في دلالتها على المعاني: نجد أن هناك ما هو مُحْكَم واضح وقويّ الدلالة، والمتشابه ضعيف الدلالة. فهنا سيحمل المتشابه على المحكّم.
ويُراعى في هذه الآيات عند حمل بعضها على بعض تطبيق قواعد أصول الفقه الواجبة مراعاتها في كلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة.
- وقد سبق في الفصل الأول من هذه الدراسة بيان أنّ الاعتماد على أصول الفقه في شرح دلالات الألفاظ هو أساس من أسس تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي.

(١) وهذا هو التعريف الذي رجّحه الزركشي في البحر المحيط: (٢ / ٢٦٨).

المبحث الأول:

حمل العام على الخاص

✻ المطلب الأول: التعريف بالعام والخاص، وما يتعلق بالتخصيص في تفسير القرآن بالقرآن:

* تعريف العام والخاص في اللغة:

العام:

العين والميم أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على: الطُّول والكثرة والعُلُوّ^(١). ومن الجمع قولهم: عَمَّنَا هذا الأمر يَعَمَّنَا عموماً، إذا أصاب القوم أجمعين^(٢). وعَمَّ الشيء عموماً: شمل الجماعة، يُقال: عَمَّهُم بالعَطِيَّة^(٣).

الخاص:

الحاء والصاد أصلٌ مطَّردٌ متقاسٍ، يدلُّ على الفُرْجة والثَّلْمة. ومن الباب: خَصَّصْتُ فلاناً بشيءٍ خُصُوصِيَّةً، بفتح الحاء -وهو القياس-؛ لأنَّه إذا أُفِرِدَ واحدٌ فقد أَوْقَعَ فُرْجَةً بينه وبين غيره، والعُموم بخلاف ذلك^(٤)، وخَصَّه بالشيء يُخَصِّصُهُ خَصّاً وخُصُوصاً وخُصُوصِيَّةً وخُصُوصِيَّةً والفتح أفصح، وخَصَّيَصَ وخَصَّصَهُ واختَصَّصَهُ: أَفَرَدَهُ به دون غيره^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤/ ١٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٤/ ١٨).

(٣) القاموس المحيط: مادة عمم.

(٤) معجم مقاييس اللغة: (٢/ ١٥٢-١٥٣).

(٥) لسان العرب: مادة خصص.

* تعريف العام والخاص في الاصطلاح:

* تعريف العام:

اختار الإمام الرازي هذا التعريف للعام: "هو اللفظُ المستغرقُ لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد" ^(١).

محترزات التعريف:

- (اللفظُ المُستغرقُ): كقولنا: (الرجال)؛ فإنه مستغرقٌ لجميع ما يصلح له، ولا يدخل عليه التكررات، كقولهم: رجل؛ لأنه يصلح لكل واحد من رجال الدنيا، ولا يستغرقهم. ولا التثنية ولا الجمع؛ لأن لفظ (رجلان) و(رجال) يصلحان لكل اثنين وثلاثة ولا يفيدان الاستغراق. ولا ألفاظ العدد كقولنا: (خمسة)؛ لأنه صالح لكل خمسة، لكن لا يستغرقه.

- (بحسب وضع واحد) احترازٌ عن اللفظ المشترك، أو الذي له حقيقةٌ ومجازٌ؛ فإنَّ عمومُه لا يقتضي أنَّ يتناول مفهومه معاً ^(٢).

* معنى التخصيص: "إخراج بعض ما تناوله الخطاب عنه" ^(٣).

(١) المحصول: (١ / ٣٥٢). وقد اخترته لأن كلام الإمام الرازي هو الأولى هنا عند البحث في كلامه، ولأن التعاريف الأخرى ليست أدق من تعريفه رحمه الله.

وعرفه الغزالي بأنه: "اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً". [المستقصى: (٢٢٤)]

وعرفه الأمدى بأنه: "اللفظ الدال على مُسمَّين فصاعداً مُطلقاً معاً". [الإحكام: (٢ / ٢١٨)].

وعرفه السبكي بأنه: "لفظٌ يستغرق الصالح له من غير حصر". [حاشية العطار: (١ / ٥٠٥)].

(٢) المحصول: (١ / ٣٥٣).

(٣) المحصول: (١ / ٣٩٦).

وعرفه الغزالي بأنه: "القول الذي يندرج تحته معنى لا يتوهم اندراج غيره معه تحت ذلك اللفظ". [المنحول: (١٦٢)].

وعرفه الأمدى بأنه: "اللفظ الواحد الذي لا يصلح مدلوله لاشتراك كثيرين فيه"، أو "اللفظ الذي لا يقال على مدلوله وعلى غير مدلوله لفظ آخر من جهة واحدة". [الإحكام: (٢ / ٢١٨)].

* دلالة العام على أفراده:

ذهب الإمام الرازي إلى الرأي الذي ذهب إليه الجمهور، وهو أن دلالة العام على كل فرد بخصوصه ظنية؛ لاحتماله التخصيص، وإن لم يظهر التخصيص؛ لكثرة تخصيص العمومات^(١).

قال الإمام الرازي: "اللفظ العام لا يفيد إلا ظن الاستغراق، وهذا القدر لا يمنع حدوث المخصص"^(٢).

* المقصود بحمل العام على الخاص: هو إخراج بعض أفراد العام في آية من آيات القرآن الكريم؛ لورود آية أخرى خاصة، وسواء أكان التخصيص بالأدلة المتصلة^(٣) أم المنفصلة^(٤):

ذكر الإمام الرازي في فصل "تخصيص المقطوع بالمقطوع": أن تخصيص الكتاب بالكتاب جائز؛ والدليل على جوازه: هو وقوعه؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ إِلَىٰ آبَائِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] مع قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١] مع قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] لا يخلو إما أن نجتمع بين دلالة العام على عموميه والخاص على خصوصه، وذلك محال، وإما أن نرجح أحدهما على الآخر، وحينئذ زوال الزائل إن كان على سبيل التخصيص فقد حصل الغرض، وإن كان بالنسخ فقد حصل الغرض أيضاً، لأن كل من جَوَزَ نسخ الكتاب بالكتاب، جَوَزَ تخصيصه به أيضاً^(٥).

(١) مفاتيح الغيب: (١٥١/٣)، ويُنظر: حاشية العطار شرح المحلى على جمع الجوامع: (٥١٤/١)، غاية الوصول: (٧٣).

(٢) المحصول: (٤٩٤/١).

(٣) الدليل المتصل: ما لا يستقل بنفسه من اللفظ بأن يقارن العام. وهي خمسة: الاستثناء، والشرط، والصفة، والغاية، وبَدَل البعض من كل. [يُنظر: المحصول: (٤٠٦/١) وما بعدها، غاية الوصول: (٧٩)].

(٤) الأدلة المنفصلة: ما يستقل بنفسه من لفظ أو غيره. وهي تخصيص العام بالعقل، أو بالحس، أو بالدلائل السمعية. [يُنظر: المحصول: (٤٢٧/١) وما بعدها، وغاية الوصول: (٨٢)].

(٥) المحصول: (٤٢٨-٤٢٩).

فإذا وَرَدَ عامٌّ وخاصٌّ يدلُّ كُلُّ واحدٍ منهما على خلافِ ما يدلُّ عليه الآخر، فرأى الشافعي -رحمه الله- أنَّ الخاصَّ يُخصِّصُ العامَّ سواءَ علِمَ أنَّ الخاصَّ متأخِّرٌ عن العامِّ أم لم يُعلَم، أو علِمَ تأخُّره عن الخاصِّ^(١). وذهب الحنفية إلى الأخذ بالمتأخِّر، سواءً أكان المتأخِّرُ الخاصَّ أم العامَّ؛ لأنَّ دلالة العامِّ -عندهم- على أفرادهِ قطعيةٌ، وكذلك دلالة الخاصِّ^(٢)، فعلى هذا إنَّ تأخُّرَ الخاصِّ نَسَخَ مِنَ العامِّ بقَدْرٍ ما يدلُّ عليه، وإنَّ تأخُّرَ العامِّ نَسَخَ الخاصِّ، وإنَّ جُهلَ وجب التوقُّف، إلا أنَّ يترجَّح أحدهما على الآخر بمرجِّح^(٣).

الدليل على وجوب تخصيص العامِّ بالخاصِّ:

إذا اجتمع العامُّ والخاصُّ، فإمَّا أن يُعمَلَ بهما، أو لا يُعمَلَ بواحدٍ منهما، أو يُعمَلَ بالعامِّ دون الخاصِّ، أو بالعكس، والأقسام الثلاثة الأولى باطلة، فتعيَّن الرابع؛ أمَّا الأوَّل والثَّاني: فلاستحالة الجمع بين النقيضين، ولاستحالة الخلوِّ عنهما، ويَرُدُّ الثاني أنَّه يستلزم تركُ الدَّليْلين من غير ضرورة، وهو باطلٌ، وأمَّا الثَّالث؛ فلا أنَّه يستلزم إبطال أحدهما بالكُلِّيَّة، بخلاف عكسه، فإنه لا يستلزم إبطال العامِّ بالكُلِّيَّة، بل من وجه، فكان العمل به متعيِّناً؛ لأنَّ إعمال الدَّليْلين أوَّلَى من إبطال أحدهما بالكُلِّيَّة؛ لأنَّ الخاصَّ أقوى دلالةً على ما يتناوله من العامِّ^(٤).

* صلة حمل الخاصِّ على العامِّ بتفسير القرآن بالقرآن:

كيف يكون تخصيص العامِّ أو حمل العامِّ على الخاصِّ تفسيراً للقرآن بالقرآن؟ وقد رأينا أنَّ تخصيص العامِّ هو ترجيحُ للخاصِّ على العامِّ؟

(١) الإيهاج: (٢/ ١٧٩).

(٢) يُنظر: كشف الأسرار: (١/ ٤٢٥).

(٣) كشف الأسرار: (١/ ٤٤٠ - ٤٤٣).

(٤) الإيهاج: (٢/ ١٨٠).

أولاً: إنّ المقصود بتفسير القرآن بالقرآن هو مُطلق البيان للقرآن بالقرآن.

ثانياً: إنّ في حال ما قبل الترجيح قد تنازع الحكم آيتان قرآنيّتان، فمن خلال النظر في دلالتها تبيّن أنّ إحداها عامّة في دلالتها على محلّ الحكم، والثانية خاصّة فيه، ومعلوم أنّ دلالة الخاصّ أقوى من دلالة العام؛ لأنّ دلالة العام على أفرادهِ ظنيّة. فجاءت الآية الخاصّة وبيّنت ما تشمله الآية العامّة بإخراج بعض الأفراد من ذلك العموم. فتفسير الآية حصل بيان مدى شمولية الآية العامّة من أفرادٍ بعد تخصيص بعض ما تشمله الآية العامّة بالآية الخاصّة.

* قواعد ينبغي النظر فيها فيما يخصّ العامّ والخاصّ في تفسير الإمام الرازي:

١- ذكر الخاصّ بعد العامّ لا يفيد التّخصيص:

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]

قال: "اعلم أنّ قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٣] عامٌّ يتناول كلّ من آمن بمحمد ﷺ، سواءً أكان قبل ذلك مؤمناً بموسى وعيسى -عليهما السلام-، أم ما كان مؤمناً بهما، ودلالة اللفظ العام على بعض ما دخل فيه التّخصيص أضعف من دلالة اللفظ الخاص على ذلك البعض؛ لأنّ العامّ يحتمل التّخصيص، والخاصّ لا يحتمله، فلمّا كانت هذه السورة مدنيّة، وقد شرف الله تعالى المسلمين بقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢-٣]، فذكر بعد ذلك أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول ﷺ كعبد الله بن سلام (١) وأمثاله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ لأنّ في هذا التّخصيص بالذكر مزيدٌ تشریف لهم، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف، من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري، قصّة إسلامه مشهورة، ونزلت فيه آيات من القرآن الكريم، توفي سنة

ثلاث وأربعين. [الإصابة: (٢) / ٣١٢]

[٩٨] ، ثم تخصيص عبد الله بن سلام ﷺ وأمثاله بهذا التشريف ترغيباً لأمثاله في الدين، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذلك العام^(١).

فذكر العام وهم المؤمنون - سواء كانوا من قبل من أهل الكتاب أم لم يكونوا - بعد الخاص وهو ذكر المؤمنين من أهل الكتاب لا يدل على التخصيص، أي: تقليل شمول الآية العامة لأنها تبتعها آية خاصة، بل ذكره هنا جاء لهدف آخر، وهو ترغيب أهل الكتاب في اتباع دين الإسلام.

٢- بعض العام لا يُراد به العموم بل الخصوص:

ولهذه القاعدة تأصيل عند الإمام الشافعي حيث قال: "أجمع أهل العلم أو أكثرهم عليه من سنة مع كتاب الله، يُحتمل أن تكون السنة مع الكتاب دليلاً على أن الكتاب خاص، وإن كان ظاهره عاماً"^(٢).

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْنَا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

قال الإمام الرازي: "أجمعت الأمة على أن قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مشروط بأن لا يوجد منه الكفر، وذلك يدل على أنه يجوز التكلم بالعام لإرادة الخاص، ومتى جاز ذلك في الجملة، لم تكن دلالة اللفظ العام على الاستغراق دلالة قطعية، وذلك يوجب سقوط دلائل المعتزلة في التمسك بالعمومات على القطع بالوعيد^(٣)"^(٤).

(١) مفاتيح الغيب: (٣١ / ٢).

(٢) الرسالة: (٢٢٦).

(٣) يُنظر رأي المعتزلة في القطع بالوعيد في شرح الأصول الخمسة: (١٣٦). حيث قالوا إنه لو جاز الخلف بالوعيد لجاز الخلف بالوعد، وقالوا إنه لو كان في عمومات الوعيد شرط أو استثناء لرببناه الله تعالى لكان ذلك من الإلغاز والتعمية.

(٤) مفاتيح الغيب: (١٢٦ / ٦).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]

قال: "دلت الآية على أنه يجوز ورود العام لإرادة الخاص؛ لأن قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يتناول كل المكتومات" ^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ

لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

قال: "قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ لفظٌ عامٌّ، ومعناه الخصوص؛ لأنهم كانوا يعقلون كثيراً من أمور الدنيا، فهذا يدلُّ على جواز ذكر العام مع أن المراد به الخاص" ^(٢).

٣- في تخصيص العام يحسن أن يكون الباقي بعد التخصيص أكثر:

في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

قال الإمام جواباً على إشكالٍ قد يعرّض في أن هذه الآية لا تشمل الأجنبية؛ ولا غير المدخول بها، ولا الحامل، ولا الأيسة، ولا الرقيقة، وحينئذٍ فإن المستثنى في الآية أكثر مما بقي فيها، ولذلك يقال: "إنَّ العامَّ إنما يحسن تخصيصه إذا كان الباقي بعد التخصيص أكثر؛ من حيث إنّه جرت العادة بإطلاق لفظ الكلّ على الغالب، يقال في الثوب: إنه أسود، إذا كان الغالب عليه السواد، أو حصل فيه بياض قليل، فأمّا إذا كان الغالب عليه البياض، وكان السواد قليلاً، كان إطلاق لفظ الأسود عليه كذباً، فثبت أن الشرط في كون العام مخصوصاً أن يكون الباقي بعد التخصيص أكثر، وهذه الآية ليست كذلك فإنكم

(١) مفاتيح الغيب: (١٢٤/٣).

(٢) مفاتيح الغيب: (٧/٥).

أخرجتم من عمومها خمسة أقسامٍ وتركتم قسمًا واحدًا، فإطلاق لفظ العام في مثل هذا الموضع لا يليق بحكمة الله تعالى؟

الجواب: أمّا الأجنبية فخارجة عن اللفظ؛ فإنّ الأجنبية لا يقال فيها: إنها مطلقة، وأمّا غير المدخول بها فالقرينة تُخرجها؛ لأنّ المقصود من العِدّة براءة الرّحم، والحاجة إلى البراءة لا تحصل إلا عند سبق الشغل، وأمّا الحامل والآيسة فهما خارجتان عن اللفظ؛ لأنّ إيجاب الاعتداد بالأقراء إنّما يكون حيث تحصل الأقراء، وهذان القسمان لم تحصل الأقراء في حقّهما، وأمّا الرقيقة فتزويجها كالنادر، فثبت أنّ الأعمّ الأغلب باقٍ تحت هذا العموم^(١).

فيلاحظ كيف ردّ الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أنّ الأفراد التي قيل: إنها مخصوصة من العام، ليست مشمولةً بلفظه أصلاً، فلم تكن في الأصل عامّةً حتى يطرأ عليها التخصيص.

٤ - قبل الحكم بعموم اللفظ يجب التحقق من عمومه:

ذكر الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] "أنّ الآية مجملّة؛ لعدم تحقّق العموم للوجوه الآتية: أنّّا بيّنا في أصول الفقه: أنّ الاسم المفرد المحلّي بلام التعريف لا يفيد العموم البتّة، بل ليس فيه إلا تعريف الماهيّة، ومتى كان كذلك، كفى العمل به في ثبوت حكمه في صورة واحدة.

والوجه الثاني: وهو أنّا إذا سلّمنا أنّه يفيد العموم، ولكنّا لا نشكّ أنّ إفادته العموم أضعف من إفادة ألفاظ الجمع للعموم، مثلاً قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ وإن أفاد الاستغراق، إلا أنّ قوله: (وأحل الله البيعات) أقوى في إفادة الاستغراق، فثبت أنّ قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ لا يفيد الاستغراق إلا إفادة ضعيفة، ثمّ تقدير العموم لا بُدّ وأن يطرّق إليها تخصيصات كثيرة خارجة عن الحصر والضبط، ومثل هذا العموم لا يليق

(١) مفاتيح الغيب: (٦/ ٨٦).

بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ؛ لأنه كذب، والكذب على الله تعالى مُحَالٌ، فأما العام الذي يكون موضع التخصيص منه قليلاً جداً، فذلك جائز؛ لأن إطلاق لفظ الاستغراق على الأغلب عُرِفَ مشهوراً في كلام العرب، فثبت أن حمل هذا على العموم غير جائز. ^(١)

فمعرفة أن لام التعريف إذا دخلت على الاسم المفرد لا تفيد العموم قبل دراسة معنى الآية، بل أفادت في عدم توهم شمول الكلمة لأفراد كثيرة، وحتى وإن كان لها شمول إلا أنها ضعيفة جداً بالنسبة إلى غيرها من ألفاظ العموم ^(٢).

٥ - في التخصيص يجب ألا يكون كلُّ من النصين عاماً من وجهٍ وخاصاً من وجهٍ آخر، مما يؤدي إلى عدم التخصيص واللجوء إلى أدلة أخرى.

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]:

قال: "اعلم أن هذه العدة واجبة في كل امرأة مات عنها زوجها إلا في صورتين... الصورة الثانية: أن يكون المراد إن كانت حاملاً؛ فإن عدتها تنقضي بوضع الحمل، فإذا وضعت الحمل حلت، وإن كان بعد وفاة الزوج بساعة، والدليل عليه القرآن والسنة: أمّا القرآن فقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، ومن الناس من جعل هذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، والشافعي لم يقل بذلك لوجهين، الأول: أن كل واحدة من هاتين الآيتين أعم من الأخرى من وجه، وأخص منها من وجه؛ لأن الحامل قد يتوفى عنها زوجها وقد لا يتوفى، كما أن التي توفى عنها زوجها

(١) مفاتيح الغيب: (٩٢/٧).

(٢) ألفاظ العموم هي: اسم الجمع المعرف بلام التعريف، والنكرة في سياق النفي، و(أي)، وصيغة (من) و(ما) و(أين) و(متى) في الاستفهام، وصيغة الكل والجميع. [ينظر: المحصول: (١/ ٣٥٣)].

قد تكون حاملاً، وقد لا تكون، ولما كان الأمر كذلك امتنع جعل إحدى الآيتين مخصصةً للآخرى. الثاني: أن قوله: ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] إنما ورد عقيب ذكر المطلقات، فربما يقول قائل: هي في المطلقة لا في المتوفى عنها زوجها. فلهذين السببين لم يعول الشافعي في الباب على القرآن، وإنما عول على السنة، وهي ما روى أبو داود بإسناده: أن سُبَيْعة بنت الحارث الأسلمية^(١) كانت تحت سعد بن خولة^(٢)، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل، فولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر، فلما طهرت من دمها تجملت للخطاب، فقال لها بعض الناس: ما أنت بناكح حتى تمرّ عليك أربعة أشهر وعشراً، قالت سُبَيْعة: فسألت النبي ﷺ عن ذلك، فأفتاني بأنّي قد حللت حين وضعت حملي، فأمرني بالتزوّج إن بدا لي^(٣) " (٤).

فيلاحظ تنبيه الإمام الرازي على عدم حصول التخصيص هنا بين الآيتين في حالة عدّة الحامل المتوفى عنها زوجها؛ لأنّ كلا من الآيتين عامّة من وجه، وخاصّة من وجه آخر، ولذلك امتنع التخصيص حيث إنّ الخاص لا يتخصّص بالعام.

(١) سُبَيْعة بنت الحارث الأسلمية، وهي أول امرأة أسلمت بعد صلح الحديبية، وامتحنها رسول الله ﷺ، ولم يُذكر تاريخ وفاتها. [الإصابة: (٤/ ٣١٨)]

(٢) سعد بن خولة القرشي العامري، ذكر أنّه من أهل بدر، توفى في حجة الوداع. [الإصابة: (٢/ ٣٢)]

(٣) الحديث رواه أبو داود: في كتاب الطلاق، باب: في عدة الحامل، رقم: (٢٣٠٨)، وقد رواه البخاري مختصراً: في كتاب الطلاق، باب: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن: رقم: (٥٣١٩)، (٣/ ٤١٧).

(٤) مفاتيح الغيب: (١٢٦-١٢٧).

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على حمل العام على الخاص في تفسير الإمام الرازي:

أولاً: مثال في موضوع من موضوعات العقيدة: هل تصل أهوال يوم القيامة إلى المؤمنين:

في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]

قال: "قال قوم من المتكلمين: إن أهوال القيامة كما تصل إلى الكفار والفساق، تصل أيضاً إلى المؤمنين؛ لقوله

تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ [الحج: ٢]، وأيضاً فإذا انكشفت تلك الأهوال،

وصاروا إلى الجنة ورضوان الله، صار ما تقدّم كأن لم يكن، بل ربّما كان زائداً في الالتذاذ بما يجده من النعيم.

وهذا ضعيف؛ لأنّ قوله: ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، أخص من قوله: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا

تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ والخاص مُقدّم على العام^(١).

فيبين أن المؤمنين أخرجتهم الآية الخاصة من شمول الآية العامة للأهوال.

ثانياً: أمثلة في الرد على المعتزلة واستدلالهم بعمومات الآيات:

وأفردت هذه الأمثلة لأنّ كثيراً من المسائل التي خالف فيها المعتزلة أهل السنة كانت من تمسّكهم بعمومات

القرآن، وخالفهم فيها أهل السنة -ويمثّلهم الإمام الرازي هنا- في أنّهم نظروا إلى ما خصّص هذه الآيات

العامة من الآيات الخاصة، فحملوا العام على الخاص.

المثال الأول: هل يُخلّد فساق المؤمنين في النار؟

في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ۖ وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣]

(١) مفاتيح الغيب: (٢/ ٣١).

قال الإمام الرازي: "استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن فساق أهل الصلاة مُخلَّدون في النار، وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار، قالوا: وهذا الوعيد مشروط بشرط ألا يكون هناك توبة ولا طاعة أعظم منها، قالوا: وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات؛ لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله: ﴿أَبَدًا﴾، فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل، أما هنا فقد جاء لفظ الأبد، فيكون ذلك صريحاً في إسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف^(١).

والجواب: أننا بيّنا في سورة البقرة وجوه الأجوبة على التمسك بهذه العمومات، ونزيد هنا وجوهاً... الوجه الثالث: وهو أنه تعالى ذكر عمومات الوعيد في سائر آيات القرآن غير مقيّدة بقيّد الأبد، وذكرها هنا مقيّدة بقيّد الأبد، فلا بُدّ في هذا التخصيص من سبب، ولا سبب إلا أن هذا الذنب أعظم الذنوب، وإذا كان السبب في هذا التخصيص هذا المعنى، عَلِمْنَا أن هذا الوعيد مختص بهذا الذنب، وغير مُتَعَدٍّ إلى جميع الذنوب، وإذا ثبت أن هذا الوعيد مختص بفاعل هذا الذنب، صارت الآية دالة على أن حال سائر المذنبين بخلاف ذلك؛ لأن قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ معناه: أن هذه الحالة له لا لغيره، وهذا كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦]، أي: لكم لا لغيركم، وإذا ثبت أن لهم هذه الحالة لا لغيرهم، وجب في سائر المذنبين أن لا يكون لهم نار جهنم على سبيل التأييد، فظهر أن هذه الآية حجة لنا عليهم^(٢).

المثال الثاني: الردّ على استدلال المعتزلة على الوعيد والخلود في جهنم بعموم الآيات:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]:

(١) يُنظر استدلال المعتزلة بالآية: شرح الأصول الخمسة: (٦٥٨)، وأما أن العذاب يسقط بالندم وبطاعة أعظم: (٦٤٣).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٦٦/٣٠).

ذكرهم الإمام أولاً بأن الألفاظ التي استدلوا بها وإن كانت تفيد العموم إلا أنها ليست قطعية، بل ظنية، وذكرهم بجواز أن يطرأ عليها التخصيص، فإن قالوا: بحثنا ولم نجد مخصصاً^(١)، قال: "عدم الوجدان لا يقتضي عدم الوجود، وإذا كانت دلالة هذه الألفاظ على معنى الاستغراق متوقفة على نفي المخصصات، وهذا الشرط غير معلوم، كانت الدلالة موقوفة على شرط غير معلوم، فوجب أن تحصل الدلالة، ومما يؤكد هذا المقام قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]؛ حكم على كل الذين كفروا أنهم لا يؤمنون، ثم إننا شاهدنا قوماً منهم قد آمنوا، فعلمنا أنه لا بُدَّ من أحد الأمرين: إما لأن هذه الصيغة ليست موضوعة للشمول، أو لأنها وإن كانت موضوعة لهذا المعنى، إلا أنه قد وجدت قرينة في زمان الرسول ﷺ كانوا يعلمون لأجلها أن مراد الله تعالى من هذا العموم هو الخصوص. وأمّا ما كان هناك فلم يجوز مثله هاهنا؟ سلمنا أنه لا بُدَّ من بيان المخصص، لكن آيات العفو مخصصة لها، والرجحان معنا؛ لأن آيات العفو بالنسبة إلى آيات الوعيد خاصة بالنسبة إلى العام، والخاص مُقدّم على العام لا محالة، سلمنا أنه لم يوجد المخصص، ولكن عمومات الوعيد معارضة بعمومات الوعد، ولا بُدَّ من الترجيح، وهو معنا من وجوه، الأول: أن الوفاء بالوعد أدخل في الكرم من الوفاء بالوعد، والثاني: أنه قد اشتهر في الأخبار أن رحمة الله سابقة على غضبه وغالبه عليه^(٢)، فكان ترجيح عمومات الوعد أولى. الثالث: وهو أن الوعيد حق الله تعالى والوعد حق العبد، وحق العبد أولى بالتحصيل من حق الله تعالى، سلمنا أنه لم يوجد المعارض، ولكن هذه العمومات نزلت في حق الكفار، فلا تكون قاطعة في العمومات، فإن قيل العبرة

(١) قولهم بعدم وجود المخصص: شرح الأصول الخمسة: (٦٨٣)، وتُنظر كيفية استدلالهم بالآية: (٦٧٩)، وتفسير الكشاف: (١/ ٧٨).

(٢) الحديث: الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي). كتاب

التوحيد: باب: وكان عرشه على الماء، رقم: (٧٤٢٢)، (٤/ ٣٨٨).

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قلنا: هبَّ أنّه كذلك، ولكن لما رأينا كثيراً من الألفاظ العامة وردت في الأسباب الخاصة، والمراد تلك الأسباب الخاصة فقط، عَلِمْنَا أَنَّ إفادتها للعموم لا يكون قوياً، والله أعلم^(١).

بيّن الإمام أنّ عموم آيات الوعيد وإن كان كثيراً في القرآن إلا أنّه مخصّص بآيات الوعد الكثيرة أيضاً، لأنّ الوعد أخصّ من الوعيد، ولذلك قدّم الخاص على العام.

المثال الثالث: الوعيد بالخلود في النار عقوبةً لقتل المسلم:

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

قال الإمام الرازي: "واعلم أنّا نقول: هذه الآية مخصوصة في موضعين: أحدهما: أن يكون القتل العمْد غير عدوان، كما في القصاص فإنه لا يحصل فيه هذا الوعيد البتّة، والثاني: القتل العمْد العدوان إذا تاب عنه فإنه لا يحصل فيه الوعيد، وإذا ثبت دخول التخصيص فيه في هاتين الصورتين، فنحن نخصّص هذا العموم فيما إذا حصل العفو بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وأيضاً فهذه الآية إحدى عمومات الوعيد، وعمومات الوعد أكثر من عمومات الوعيد، وما ذكر في ترجيح عمومات الوعيد قد أجبنا عنه وبينّا أنّ عمومات الوعد راجحة"^(٢). بيّن ذلك في المثال السابق.

فبيّن الإمام أنّ عموم آية الوعيد بعذاب القاتل مخصوصة بآية العفو، والخاصّ مُقدّم على العام.

(١) مفاتيح الغيب: (١٥٣/٣).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٤٠/١٠). ولمعرفة استدلال المعتزلة بهذه الآية: يُنظر: الكشف: (٢٩١/١).

المثال الرابع: هل الجنة مخلوقة أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢١]

قال الإمام الرازي: "احتج جمهور الأصحاب بهذا -أي: بقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾- على أن الجنة مخلوقة. وقالت المعتزلة^(١): هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها؛ لوجهين: الأول: أن قوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] يدل على أن من صفتها بعد وجودها أن لا تفنى، لكنها لو كانت الآن موجودة لفنيت؛ بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، الثاني: أن الجنة مخلوقة، وهي الآن في السماء السابعة، ولا يجوز مع أنها في واحدة منها أن يكون عرضها كعرض كل السماوات، قالوا: فثبت بهذين الوجهين أنه لا بُدَّ من التأويل، وذلك من وجهين: الأول أنه تعالى لما كان قادراً لا يصح المنع عليه، وكان حكيماً لا يصح الخلف في وعده، ثم إنه تعالى وعد على الطاعة بالجنة، فكانت الجنة كالمعدة المهيأة لهم تشبيهاً لما سيقع قطعاً بالواقع، وقد يقول المرء لصاحبه: (أعددت لك المكافأة) إذا عزم عليها، وإن لم يوجد لها. والثاني: أن المراد إذا كانت الآخرة أعدّها الله تعالى لهم، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، أي: إذا كان يوم القيامة نادى.

الجواب: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ عام، وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] مع قوله ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ﴾ خاص، والخاص مقدم على العام، وأما قوله ثانياً: الجنة مخلوقة في السماء السابعة، قلنا: إنها مخلوقة فوق

(١) لم أجد توثيق هذا الرأي في كتب المعتزلة، وهو رأي أبو هاشم والقاضي عبد الجبار منهم، يُنظر: شرح جوهرة التوحيد: (١٠٩٨).

السماء السابعة على ما قال ﷺ في صفة الجنة: (سقفها عرش الرحمن) ^(١) وأيُّ استبعادٍ في أن يكون المخلوق فوق الشيء أعظم منه؟! أليس أن العرش أعظم المخلوقات مع أنه مخلوق فوق السماء السابعة ^(٢)؟! ^(٣).

ردّ الإمام على قول المعتزلة بوجوب فناء الجنة لو كانت مخلوقةً بأن الآية التي تدلّ على فنائها عامة، والآية التي تدلّ على وجودها خاصة، والخاصُّ مُقدّمٌ على العام.

ثالثاً: الأمثلة الفقهية:

المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]:

قال الإمام الرازي: "ظاهر الآية يقتضي أنه عندما يطلقها الزوج الثاني تحلّ المراجعة للزوج الأول، إلا أنه مخصوص بقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأن المقصود من العدة استبراء الرحم، وهذا المعنى حاصلٌ هاهنا" ^(٤).

بيّن الإمام أن الآية الأولى دلّت على حلّ عودة المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول بمجرد أن يطلقها الزوج الثاني، والآية الثانية خصّصت الآية الأولى بأن هذه المطلقة عليها أن تعتدّ ثلاثة قروء قبل أن تحلّ لزوجها الأول.

(١) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ لكن روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه هذا اللفظ: (إن في الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فسلوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفتجر أنهار الجنة). كتاب التوحيد: باب: وكان عرشه على الماء، رقم: (٧٤٢٣)، (٤/ ٣٨٨).

(٢) قال التفتازاني في شرح المقاصد: "لا قطع بمكان الجنة والنار. والأكثر على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش، لقوله تعالى:

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَعِنِ ﴿١٤﴾ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٤ - ١٥] والحقّ التوقّف". [شرح المقاصد: ٣/ ٣٦١].

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٩/ ٢٣٥).

(٤) مفاتيح الغيب: (٦/ ١٠٦).

قال الإمام الرازي: "قال أبو بكر الرازي ^(١): الذي نعرفه من مذهب أصحابنا أنه لا يأخذ على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء، سواءً أكان غنياً أم فقيراً؛ واحتج عليه بآيات، منها: قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَيْنِمَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، ومنها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْنِمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ومنها قوله: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلَّيْتِمَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]، ومنها قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، قال: فهذه الآية مُحْكَمَةٌ حاصرةٌ لمال اليتيم على وصيةٍ في حال الغنى والفقر، وقوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ متشابهةٌ محتملةٌ، فوجب ردُّه؛ لكونه متشابهاً إلى تلك المحكمات ^(٢).

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل التمهيدى، في مصادر التفسير.

(٢) يُنظر: أحكام القرآن: (٢/ ٣٦٠ - ٣٦١)

بِالْقِسْطِ ۖ فَهُوَ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ مَحَلَّ النِّزَاعِ لَوْ ثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْأَكْلَ لَيْسَ بِقِسْطٍ، وَالنِّزَاعُ لَيْسَ إِلَّا فِيهِ، فَثَبَتَ أَنَّ
كَلَامَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سَاقِطٌ رَكِيكٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" (١).

فَرَدَّ الْإِمَامُ هُنَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ الْجَصَّاصِ الرَّازِي وَهُوَ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ حَيْثُ قَالَ بِعَدَمِ حِلِّ أَخْذِ الْوَصِيِّ شَيْئاً مِنْ مَالِ
الْيَتِيمِ حَتَّى لَوْ كَانَ هَذَا الْأَخْذُ بِالْمَعْرُوفِ اسْتِدْلَالاً بِعُمُومِ الْآيَاتِ الَّتِي نَهَتْ عَنْ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، ثُمَّ بَيَّنَّ الْإِمَامُ
أَنَّ ذَلِكَ الْعُمُومَ مَخْصُوصٌ بِالْآيَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى حِلِّ الْأَخْذِ بِالْمَعْرُوفِ، أَيْ: بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ.

(١) مفاتيح الغيب: (٩/١٩١).

المبحث الثاني:

حمل المطلق على المقيد:

المطلب الأول: المقصود بحمل المطلق على المقيد، وصلته بتفسير القرآن بالقرآن:

* معنى المطلق والمقيد في اللغة:

المُطْلَق: الطاء واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ مطَّردٌ واحدٌ، وهو يدلُّ على التَّخْلِيَةِ والإِرْسَالِ. يقال: انطلقَ الرَّجُلُ ينطلقُ انطلاقاً. ثُمَّ تَرَجَعَ الفروعُ إليه، تقول: أَطْلَقْتُهُ إِطْلَاقاً^(١).

والمُطْلَقُ من الإِبِلِ التي طُلِقَتْ في المَرْعَى، وقيل: هي التي لا قَيْدَ عليها، وكذلك الخِلَّةُ. وَطَلَّقَ النِّسَاءَ لمُعَيَّنِينَ، أَحَدُهُمَا: حَلَّ عُقْدَةِ النِّكَاحِ، وَالْآخَرُ: بِمَعْنَى التَّخْلِيَةِ وَالْإِرْسَالِ. وَيُقَالُ لِلإِنْسَانِ إِذَا عُتِقَ: طَلِيقٌ، أَي: صَارَ حُرّاً. وَأَطْلَقَ النَّاqَةَ مِنْ عِقَالِهَا وَطَلَّقَهَا فَطَلَّقَتْ هِيَ بِالْفَتْحِ، وَنَاqَةَ طَلَّقَ وَطُلِّقَ لَا عِقَالَ عَلَيْهَا، وَالْجَمْعُ أَطْلَاقٌ، وَبَعِيرٌ طَلَّقَ وَطُلِّقَ بِغَيْرِ قَيْدٍ^(٢).

المُقَيَّد: القاف والياء والdal كلمةٌ واحدةٌ، وهي القَيْدُ، وهو معروفٌ، ثُمَّ يَسْتَعَارُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَحْبَسُ^(٣). يُقَالُ: قَيَّدْتُهُ أَقْيَدَهُ تَقْيِيداً: جَعَلْتُ الْقَيْدَ فِي رِجْلِهِ، وَمِنْهُ تَقْيِيدُ الْأَلْفَاظِ بِهَا يَمْنَعُ الْإِخْتِلَاطَ وَيُزِيلُ الْإِلْتِبَاسَ^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة: (٣/ ٤٢٠).

(٢) لسان العرب: (٢٦٩٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٤٤).

(٤) المصباح المنير: مادة قيد.

* معنى المطلق والمقيّد في الاصطلاح:

المطلق: الدالّ على الماهيّة بلا قيد^(١).

المقيّد: عبارة عن الحقيقة مع قيد زائد^(٢).

* الفرق بين المطلق والعام:

قال الإمام الرازي: اعلم أنّ كلّ شيء له حقيقة، وكلّ أمر يكون المفهوم منه مغايراً للمفهوم من تلك الحقيقة، كان لا محالة أمراً آخر سوى تلك الحقيقة، سواءً أكان ذلك المغاير لازماً لتلك الحقيقة أم مفارقاً، وسواءً أكان سلباً أم إيجاباً.

فالإنسان من حيث أنّه إنسان ليس إلّا أنّه إنسان، فأمّا أنّه واحد أو لا واحد أو كثير أو لا كثير، فكلّ ذلك مفهومات منفصلة عن الإنسان من حيث أنّه إنسان، وإنّ كنّا نقطع بأنّ مفهوم الإنسان لا ينفكّ عن كونه واحداً أو لا واحداً.

إذا عرفت ذلك فنقول: اللفظة الدالّة على الحقيقة من حيث إنّها هي هي، من غير أن تكون فيها دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة، سلباً كان ذلك القيد أو إيجاباً، فهو المطلق.

أمّا اللفظ الدالّ على تلك الحقيقة مع قيد الكثرة، فإنّ كانت الكثرة كثرةً معيّنة بحيث لا يتناول ما يزيد عليها فهو اسم العدد^(٣)، وإن لم تكن الكثرة كثرةً معيّنة فهو العام.

(١) شرح المحلي على جمع الجوامع: (٢/ ٧٩)، غاية الوصول: (٨٥).

(٢) المحصول: (٣/ ٢١٣).

(٣) أسماء العدد: ما وضعت لكمية أحاد الأشياء أي المعدودات. [التعريفات: (٢٥)].

وبهذا التحقيق ظهر خطأ مَنْ قال: إِنَّ الْمُطْلَقَ هُوَ الدَّالُّ عَلَى وَاحِدٍ لَا بَعَيْنَهُ؛ فَإِنْ كَوْنُهُ وَاحِدًا وَغَيْرَ مُعَيَّنٍ قَيْدَانِ زَائِدَانِ عَلَى الْمَاهِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

وخلاصة ما سبق أن يقال: عمومُ الْمُطْلَقِ بَدَلِيٌّ، وعمومُ العامِّ شُمُولِيٌّ.

* حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ:

الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ إِذَا وَرَدَا: فِيمَا أَنْ يَكُونَ حَكْمُ أَحَدِهِمَا مُخَالَفًا لِحُكْمِ الْآخَرِ، أَوْ لَا يَكُونُ:

والأول: مثل أن يقول الشارع: (آتوا الزكاة) و (أعتقوا رقبةً مؤمنةً)، ولا نزاع في أنه لا يُحْمَلُ الْمُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيَّدِ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ لَا تَعَلُّقَ بَيْنَهُمَا أَصْلًا.

وأما الثاني: فلا يخلو إمَّا أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ وَاحِدًا، أَوْ يَكُونُ هُنَاكَ سَبَبَانِ مُتَمَاثِلَيْنِ، أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِيمَا أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ الْوَاردُ فِيهِ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا، فَهَذِهِ أَقْسَامُ سِتَّةٍ:

أَمَّا إِذَا كَانَ السَّبَبُ وَاحِدًا: وَجَبَ حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ؛ لِأَنَّ الْمُطْلَقَ جُزْءٌ مِنَ الْمُقَيَّدِ، وَالْآتِي بِالْكُلِّ آتٍ بِالْجُزْءِ لَا مُحَالَةً، فَالْآتِي بِالْمُقَيَّدِ يَكُونُ عَامِلًا بِالْدَّلِيلَيْنِ، وَالْآتِي بِغَيْرِ ذَلِكَ الْمُقَيَّدُ لَا يَكُونُ عَامِلًا بِالْدَّلِيلَيْنِ، بَلْ يَكُونُ تَارِكًا لِأَحَدِهِمَا. وَالْعَمَلُ بِالْدَّلِيلَيْنِ عِنْدَ إِمْكَانِ الْعَمَلِ بِهِمَا أَوَّلَى مِنَ الْإِتْيَانِ بِأَحَدِهِمَا وَإِهْمَالِ الْآخَرِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْحُكْمَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ إِذَا أُطْلِقَ أَحَدُهُمَا وَقُيِّدَ الْآخَرُ وَسَبَبُهُمَا مُخْتَلَفٌ، مِثَالُهُ: تَقْيِيدُ الرِّقْبَةِ فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ بِالْإِيْمَانِ، وَإِطْلَاقُهَا فِي كَفَّارَةِ الظُّهَارِ. وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ، اثْنَانِ طَرَفَانِ، وَالثَّالِثُ هُوَ الْوَسْطُ: أَمَّا الطَّرَفَانِ فَأَحَدُهُمَا: قَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا: تَقْيِيدُ أَحَدِهِمَا يَقْتَضِي تَقْيِيدَ الْآخَرِ لَفْظًا.

وِثَانِيَهُمَا: قَوْلُ كَافَّةِ الْحَنْفِيَّةِ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَقْيِيدُ هَذَا الْمُطْلَقِ بِطَرِيقِ مَا الْبَتَّةُ^(٢).

(١) المحصول: (١/٣٥٥).

(٢) يُنْظَرُ: أصول السرخسي: (١/٢٦٨).

وثالثها: القول المعتدل، وهو مذهب المحققين منّا: إنه يجوز تقييد المطلق بالقياس على ذلك المقيّد، ولا ندعي وجوب هذا القياس، بل ندعي أنّه إن حصل القياس الصحيح، ثبت التقييد، وإلا فلا، واعلم أنّ صحة هذا القول إنّما تثبت إذا أفسدنا القولين الأولين. ^(١)

* معنى حمل المطلق على المقيّد في تفسير القرآن بالقرآن:

أن يُفسّر ما جاء في الآية المطلقة من شمولٍ بدليّ، بأن يُقيّد هذا الشمول بقيّد أفادته آية أخرى، وبذلك يُعمل بما دلّت عليه الآية المقيّدة التي فسّرت ذلك الشمول، وبَيّنت حدّه من الآية المطلقة، فيكون حلّ المطلق على المقيّد تفسيراً للآية المطلقة بالآية المقيّدة.

* قواعد ينبغي النظر فيها يخصّ المطلق والمقيّد في تفسير الإمام الرازي:

١ - لا بُدّ من وجود الدليل على تقييد المطلق:

في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

قال الإمام الرازي: "للمفسّرين في تفسير هذه الآية طريق آخر، فقالوا: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ أي: ما عفا لك من أموالهم، أي: ما أتوك به عفواً فخذ، ولا تسأل عما وراء ذلك، قالوا: كان هذا قبل فريضة الصدقة، فلما نزلت آية وجوب الزكاة، صارت هذه الآية منسوخةً إلا قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾، أي: بإظهار الدين الحقّ وتقرير دلائله... واعلم أنّ تخصيص قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ بما ذكره تقييداً للمطلق من غير دليل، وأيضاً فهذا الكلام إذا حملناه على أداء الزكاة، لم يكن إيجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة منافعاً لذلك؛ لأنّ

(١) المحصول: (١/٤٥٧).

أخذ الزكاة مأموراً بالأخذ كرائم أموال الناس، ولا يشدد الأمر على المزكي، فلم يكن إيجاب الزكاة سبباً لصيرورة هذه الآية منسوخة^(١).

ذكر الإمام الرازي أن تقييدهم معنى الأخذ بأنه ما عفا من أموالهم وآتوه للنبي ﷺ ليس هناك دليل عليه ولذلك لم يحصل التقييد.

٢- الدليل الضعيف لا يصلح للتقييد:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] قال: "﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ قال المفسرون: يريد: قواك وأعانك بنصره يوم بدر، وأقول: هذا التقييد خطأ؛ لأن أمر النبي ﷺ من أول حياته إلى آخر وقت وفاته ساعة فساعة كان أمراً إلهياً، وتدبيراً علوياً، وما كان لكسب الخلق فيه مدخل"^(٢).

٣- الأصل بقاء الإطلاق على إطلاقه، والمقيّد لا يتقيّد.

في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]

قال الإمام الرازي: "قال القاضي عبد الجبار: يدخل تحت التقوى أن يكون تاركاً لكل المحرمات، فاعلاً لكل الواجبات، ومن جمع بين هذين الأمرين فهو مؤمن كامل الإيمان. وقال أصحابنا: يريد الذين اتقوا الشرك، وأيقنوا أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأقول: هذا أولى مما قاله القاضي؛ لأننا بينّا أنه يكفي في صدق قوله: (فلان قاتل أو ضارب) كونه آتياً بقتل واحد وضرب واحد، ولا يتوقف صدق هذا الكلام على

(١) مفاتيح الغيب: (١٥ / ٩٦)

(٢) مفاتيح الغيب: (١٥ / ١٨٨)

كونه آتياً بجميع أنواع القتل، وجميع أنواع الضرب، فعلى هذا قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يتناول كلّ من أتى بنوع واحد من أنواع التقوى، إلا أننا أجمعنا على أنه لا بُدَّ من التقوى عن الكفر والشرك، فوجب أن لا يزيد على هذا القيّد؛ لأنه لما كان تقييد المطلق خلاف الأصل، كان تقييد المقيّد أكثر مخالفةً، وأيضاً فلأنه تعالى إنما ذكر هؤلاء في مقابلة أولئك الذين كفروا وأشركوا، فوجب أن يكون المراد: من اتقى عن ذلك الكفر والشرك، والله أعلم^(١).

نبه الإمام على أن الأصل أن المطلق يبقى على إطلاقه، وأن تقييده خلاف للأصل، وأمّا تقييد المقيّد فإنه لا يجوز.

٤- المطلق لا يقتضي العموم:

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

قال الإمام الرازي: "كلّ ما يتوقّف صحّة كون القرآن حُجّةً على صحّته، لم يكن القرآن هدىً فيه، فإذا استحال كون القرآن هدىً في معرفة ذات الله تعالى، وصفاته، وفي معرفة النبوة، ولا شك أن هذه المطالب أشرف المطالب، فإذا لم يكن القرآن هدىً فيها، فكيف جعله الله تعالى هدىً على الإطلاق؟

الجواب: ليس من شرط كونه هدىً، أن يكون هدىً في كلّ شيء، بل يكفي فيه أن يكون هدىً في بعض الأشياء، وذلك بأن يكون هدىً في تعريف الشرائع، أو يكون هدىً في تأكيد ما في العقول، وهذه الآية من

(١) مفاتيح الغيب: (٢٠/٢٣)

أقوى الدلائل على أن المطلق لا يقتضي العموم؛ فإن الله تعالى وصفه بكونه هدىً من غير تقييد في اللفظ، مع أنه يستحيل أن يكون هدىً في إثبات الصانع وصفاته، وإثبات النبوة، فثبت أن المطلق لا يفيد العموم^(١).

بين الإمام أن كلمة "هدى" مطلقة، وهذا يعني اشتغالها على بعض الوجوه من الهدى لا كل الوجوه؛ لأنها ليست عامة، فيكفي اشتغالها على بعض الوجوه، ولا يكون ذلك كذباً.

٥- لورود المقيّد بعد المطلق فوائد:

ومن الأمثلة: ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣] قال: "ها هنا سؤال وهو أن يقال: ما الفائدة في الجمع بين "المنادي" و"ينادي"؟

وجوابه: "ذكر النداء مطلقاً، ثم مقيّداً بالإيمان تفخيماً لشأن المنادي؛ لأنه لا منادي أعظم من منادٍ ينادي للإيمان، ونظيره قولك: مررتُ بهادٍ يهدي للإسلام؛ وذلك لأنّ المنادي إذا أُطلق ذهب الوهم إلى منادٍ للحرب، أو لإطفاء النائرة، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية لبعض النوازل، وكذلك الهادي، وقد يطلق على من يهدي للطريق، ويهدي لسداد الرأي. فإذا قلت: ينادي للإيمان، ويهدي للإسلام، فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخّمته"^(٢).

فاستفاد الإمام من إلحاق المطلق بالمقيّد بالكشف عن لطيفة بلاغية وهي تفخيم التقييد لشأن المطلق.

(١) مفاتيح الغيب: (٢٠/٢)

(٢) مفاتيح الغيب: (١٤٥/٩)

وما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

[الشورى: ٤٠] قال: "اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، أردفه بما يدل

على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيداً بالمثل؛ فإنَّ النقصان حَيْفٌ، والزيادة ظلم، والتساوي هو العدل،

وبه قامت السماوات والأرض، فلهذا السبب قال: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ " (١).

أظهر الإمام فائدة إلحاق المطلق بالمُقَيَّد في بيان كيفية مقابلة السيئة بالسيئة.

(١) مفاتيح الغيب: (١٧٨/٢٧)

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على حمل المطلق على المقيّد في تفسير الإمام الرازي:

المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

قال الإمام الرازي: "في الآية سؤال مشكّل مشهور، وهو أنه تعالى قال: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال في هذه الآية: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وكذلك: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ثمّ إنّنا نرى الداعي يبالغ في الدّعاء والتّضرّع فلا يُجاب؟

والجواب: أنّ هذه الآية وإن كانت مُطلّقة إلا أنه قد وردت آية أخرى مقيّدة، وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، ولا شكّ أنّ المطلق محمولٌ على المقيّد، ثمّ تقرير المعنى فيه وجوه، أحدها: أنّ الدّاعي لا بُدَّ وأن يجد من دعائه عَوْضاً، إمّا إسعافاً بطلّبه التي لأجلها دعا، وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء فإنه يُعطى سكينه في نفسه، وانشراحاً في صدره، وصبراً يسهل معه احتمالُ البلاء الحاضر، وعلى كلّ حال فلا يعدم فائدة، وهو نوعٌ من الاستجابة...^(١).

فبيّن الإمام هنا أنّ الآيات التي تفيد إجابة الدعاء مطلقة، ولا يُستفادُ منها أنّ الداعي سينال ما دعاه كما هو، بل هذه الآيات تقيدها آيةٌ تفيد تعليق الإجابة بمشيئة الله تعالى.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ لَا تَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ذكر الإمام الرازي أن في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

﴿قولين:

(١) مفاتيح الغيب: (٥/ ١٠٠)

"... القول الثاني: أن المراد منه: القرآن، وهذا أظهر؛ لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد، انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن. إذا ثبت هذا فلنائل أن يقول: كيف قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ مع أنه ليس فيه تفاصيل علم الطب، وتفاصيل علم الحساب، ولا تفاصيل كثير من المباحث والعلوم، وليس فيه أيضاً تفاصيل مذاهب الناس، ودلائلهم في علم الأصول والفروع؟

والجواب: أن قوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يجب أن يكون مخصوصاً ببيان الأشياء التي تجب معرفتها والإحاطة بها؛ وبيانه من وجهين: الأول: أن لفظ التفريط لا يستعمل نفيًا وإثباتًا إلا فيما يجب أن يُبين؛ لأن أحداً لا يُنسب إلى التفريط والتقصير في أن لا يفعل ما لا حاجة إليه، وإنما يُذكر هذا اللفظ فيما إذا قُصر فيما يُحتاج إليه. الثاني: أن جميع آيات القرآن، أو الكثير منها، دالةٌ بالمطابقة^(١) أو التضمن^(٢) أو الالتزام^(٣) على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين، ومعرفة الله، ومعرفة أحكام الله، وإذا كان هذا التقييد معلوماً من كل القرآن، كان المطلقاً هنا محمولاً على ذلك المقيّد^(٤).

استفاد الإمام من النظر في كل دلالات آيات القرآن أن الهدف من إنزال القرآن هو بيان ما يتعلق بالدين، وهذا هو المقيّد للآية المطلقة التي قد يفهم منها أنه ينبغي أن يكون في القرآن بيان كل شيء من العلوم.

المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]

(١) دلالة المطابقة: أن تعتبر دلالة اللفظ بالنسبة إلى تمام معناه. [المحصول: (١/ ٧٧)].

(٢) دلالة التضمن: دلالة اللفظ على جزء المسمى من حيث هو كذلك. [المحصول: (١/ ٧٦)].

(٣) دلالة الالتزام: دلالة اللفظ بالنسبة إلى ما يكون خارجاً عن المسمى من حيث هو كذلك. [المحصول: (١/ ٧٦)].

(٤) مفاتيح الغيب: (١٢/ ٢١٥-٢١٦)

قال : "الأصحّ أن هذا ليس وعداً من الله تعالى بإغناء من يتزوَّج، بل المعنى: لا تنظروا إلى فقر من يخطب إليكم، أو فقر من تريدون تزويجها؛ ففي فضل الله ما يغنيهم، والمال غادٍ ورائحٌ، وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة في النكاح، فهذا معنى صحيحٌ، وليس فيه أن الكلام قُصِدَ به وَعْدُ الْغِنَى حتّى لا يجوز أن يقع فيه خُلفٌ... فإن قيل: فنحن نرى من كان غنياً فيتزوَّج فيصير فقيراً؟ قلنا: الجواب عنه من وجوه: أحدها: أن هذا الوعد مشروطٌ بالمشيئة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨] والمُطلَقُ محمولٌ على المُقيّد... " (١).

جاءت الآية في سورة النور التي قد يفهم منها أن الله يَعِدُ من يتزوَّج بالغنَى، فبيّن الإمام الرازي أن هذا الوعد الذي جاء مطلقاً مقيّداً بالمشيئة كما جاء في آية سورة التوبة.

المثال الرابع: في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]

قال الإمام الرازي: "ذهب الأصمّ إلى أنه يجوز الوضوء والغسل بجميع المائعات الطاهرة. وقال الأكثرون: لا يجوز. لنا -أي دليلنا- أن عند عدم الماء أوجب الله التيمّم، وتجويز الوضوء بسائر المائعات يُبطل ذلك. احتجوا بأنّ قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أمرٌ بمُطلق الغسل، وإمرار المائع على العضو يسمى غسلاً كقول الشاعر:

(١) مفاتيح الغيب: (٢٣/٢١٤)

فيا حسنَهَا إِذْ يَغْسِلُ الدَّمَعُ كُحْلَهَا^(١)

وَإِذَا كَانَ الْغَسْلُ اسْمًا لِلْقَدْرِ الْمَشْتَرَكِ بَيْنَ مَا يَحْصُلُ بِالْمَاءِ وَبَيْنَ مَا يَحْصُلُ بِسَائِرِ الْمَائِعَاتِ، كَانَ قَوْلُهُ:
﴿فَاغْسِلُوا﴾ إِذْنًا فِي الْوَضُوءِ بِكُلِّ الْمَائِعَاتِ، قُلْنَا: هَذَا مُطْلَقٌ، وَالِدَلِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مُقَيَّدٌ، وَحَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى
الْمُقَيَّدِ هُوَ الْوَاجِبُ "^(٢).

استدلَّ الإمام على أَنَّ الْوَضُوءَ بِالْمَائِعَاتِ الْأُخْرَى غَيْرِ الْمَاءِ لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ آيَةَ الْغَسْلِ الْمَطْلُوقَةَ، جَاءَ تَقْيِيدُهَا عِنْدَ
عَدَمِ الْمَاءِ بِالْتِمِّمِ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا، وَلِذَلِكَ لَمْ يَصَحَّ اسْتِدْلَالُ مَنْ قَالَ بِجَوَازِ الْوَضُوءِ بِغَيْرِ الْمَاءِ.

(١) صدر بيت لجميل بن معمر، وتماهه: وَإِذْ هِيَ تُذْرِي الدَّمَعَ مِنْهَا الْأَنَامِلُ. ديوان جميل بثينة: (٨٩).

(٢) مفاتيح الغيب: (١١/١٦٩ - ١٧٠)

المبحث الثالث:

حمل المتشابه على المحكم:

المطلب الأول: المقصود بحمل المتشابه على المحكم، وصلته بتفسير القرآن بالقرآن:

* معنى المحكم والمتشابه في اللغة:

أولاً: معنى المحكم:

الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحكم هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها، ويقال: حكمت السفينة وأحكمته إذا أخذت على يديه. والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلاناً تحكيماً منعه عما يريد، وحكم فلان في كذا إذا جعل أمره إليه^(١).

ثانياً: معنى المتشابه:

الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً. يقال: شبّه، وشبهه، وشبيهه. والمشبّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران إذا أشكلا^(٢).

* معنى المحكم والمتشابه في الأصول:

أولاً: معنى المحكم: ما ظهر معناه وانكشف كشفاً يزيل الإشكال ويرفع الاحتمال^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة: (٢/ ٩١).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٣/ ٢٤٣).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: (١/ ٢١٨). وله تعاريف أخرى أيضاً، مثل: المتضح المعنى من نص أو ظاهر. [شرح المحلى على جمع الجوامع: (١/ ٣٥٠)، وغاية الوصول: (٣٢)]. أو "ما انتظم وترتب ترتيباً مفيداً على ظاهر أو على تأويل". [المستصفى: (٨٥)].

ثانياً: معنى التشابه: ما تعارض فيه الاحتمال إمّا بجهة التساوي، أو لا على جهة التساوي، وهو مفتقرٌ إلى تأويل^(١).

ومثال ما تعارض فيه الاحتمال بدرجة التساوي: الألفاظ المُجمّلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْبِصَنَّ أَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ لاحتماله زمن الحيض والطهر على السوية، وقوله تعالى: ﴿أَوْعَقُوا أَلَّذِي يَبْدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ لتردده بين الزوج والولي.

ومثال ما تعارض فيه الاحتمال لكن ليس على جهة التساوي كالأسماء المجازية، وما ظاهره موهّمٌ للتشبيه، وهو مفتقرٌ إلى تأويل كقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، ﴿وَمَا عَمِلْتَ آيِدِينَ﴾ [يس: ٧١]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ونحوه من الكنايات والاستعارات المؤولة بتأويلات مناسبة لأفهام العرب^(٢).

* درجة وضوح المحكم والمتشابه بالنسبة لغيرهما من الألفاظ:

قال الإمام الرازي: "اللفظ الذي جعل موضوعاً لمعنى، فإمّا أن يكون مُحتملاً لغير ذلك المعنى، وإمّا أن لا يكون، فإذا كان اللفظ موضوعاً لمعنى ولم يكن مُحتملاً لغيره فهذا هو "النص"، وأمّا إن كان مُحتملاً لغيره: فلا يخلو إمّا أن يكون احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر، وإمّا أن لا يكون كذلك، بل يكون احتماله لهما على السواء، فإن كان احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر، سُمّي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح ظاهراً،

(١) الإحكام في أصول الأحكام: (٢١٨/١). وله تعاريف أخرى: اللفظ إذا استأثر الله بعلم معناه فلم يتضح لنا . [شرح المحلى على جمع الجوامع:

(١/٣٥١). أو: "ما لم يفهم معناه" [المنحول: (١٧٣)]. أو: "الذي لا يتبين المراد به من لفظه". [الموافقات: (٨٥/٣)].

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: (٢١٨/١).

وبالنسبة إلى المرجوح مُؤَوَّلًا، وأمّا إن كان احتماله لهما على السّويّة كان اللفظ بالنسبة إليهما معاً مشتركاً،
وبالنسبة إلى كل واحدٍ منهما على التعيين مُجْمَلًا.

فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه أنّ اللفظ إمّا أن يكون نصّاً، أو ظاهراً، أو مؤَوَّلًا، أو مشتركاً، أو مُجْمَلًا،
أمّا النص والظاهر فيشتركان في حصول الترجيح، إلا أن النصّ راجعٌ مانعٌ من الغير، والظاهر راجعٌ غيرُ
مانعٍ من الغير، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم.

وأما المَجْمَل والمؤَوَّل فهما مشتركان في أنّ دلالة اللفظ عليه غيرُ راجحةٍ، وإن لم يكن راجحاً لكنه غيرُ
مرجوح، والمؤَوَّل مع أنه غير راجحٍ، فهو مرجوحٌ لا بحسب الدليل المنفرد، فهذا القدر المشترك هو المسمى
بالمتشابه؛ لأنّ عدم الفهم حاصل في القسمين جميعاً، وذلك يسمى متشابهاً؛ إمّا لأن الذي لا يُعلم يكون
النفي فيه مشابهاً للإثبات في الذهن، وإمّا لأجل أنّ الذي يحصل فيه التشابه يصير غيرَ معلومٍ، فأُطلق لفظُ
المتشابه على ما لا يُعلم؛ إطلاقاً لاسم السّبب على المسبّب، فهذا هو الكلام المحصّل في المحكم والمتشابه^(١).

* دلالة آيات القرآن الكريم على وجود المحكم والمتشابه فيه:

ذكر الإمام الرازي أنّ القرآن دلّ على أنّه بكليّته مُحكَّم، ودلّ على أنّه بكليّته متشابهٌ، ودلّ على أنّ بعضه مُحكَّم،
وبعضه متشابهٌ.

"أمّا ما دلّ على أنّه بكليّته مُحكَّم، فهو قوله: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] و ﴿الرَّ كِتَابٌ

أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [هود: ١] فذكر في هاتين الآيتين أنّ جميعه مُحكَّم، والمراد من المُحكَّم بهذا المعنى كونه كلاماً حقّاً
فصيحَ الألفاظ صحيحَ المعاني، وكلُّ قولٍ وكلامٍ يوجد، كان القرآنُ أفضلَ منه في فصاحة اللفظ وقوّة

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب: (٧/ ١٨٠) وما بعدها. واستفاد الأصوليون عن الإمام الرازي هذا التقسيم؛ يُنظر: نهاية السؤل: (٩٠)، والإيهاج:

المعنى، ولا يتمكن أحد من الإتيان بكلامٍ يساوي القرآن في هذين الوصفين، والعرب تقول في البناء الوثيق والعقد الوثيق الذي لا يمكن حله: محكم، فهذا معنى وصف جميعه بأنه محكم.

وأما ما دلّ على أنه بكليته متشابه: فهو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [الزمر: ٢٣] والمعنى: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن، ويصدق بعضه بعضاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أي: لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في الفصاحة والركاقة.

وأما ما دلّ على أن بعضه محكم وبعضه متشابه، فهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] (١).

* صلة حمل التشابه على المحكم بتفسير القرآن بالقرآن:

ذكر الإمام الرازي أن وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم لا يتعارض مع كونه هدى؛ ذلك لأن التشابه يعود إلى المحكم لمعرفة معناه؛ قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]:

"كيف وصف القرآن كله بأنه هدى وفيه مجمل ومتشابه كثير؛ ولولا دلالة العقل لما تميز المحكم عن المتشابه، فيكون الهدى في الحقيقة هو الدلالة العقلية لا القرآن؟ ... ولأننا نرى جميع فرق الإسلام يحتجون به، ونرى

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب: (٧ / ١٧٩).

القرآن مملوءاً من آياتٍ بعضُها صريحٌ في الجبر، وبعضُها صريحٌ في القدر، فلا يمكن التوفيق بينهما إلا بالتعسف الشديد، فكيف يكون هدىً؟

الجواب: أنَّ ذلك المُشابه والمجمل لما لم ينفك عما هو المراد على التَّعيين - وهو إمَّا دلالة العقل أو دلالة السَّمع - صار كُلُّهُ هدىً^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قال:

"إنَّ الإيِّمان بالكتاب لا بُدَّ فيه من أمورٍ أربعةٍ: ... رابعها: أنَّ يعلم أنَّ القرآن يشتمل على المحكم والمتشابه، وأنَّ محكمه يكشف عن متشابهه"^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] وضح معنى كون المحكم أمًّا للمتشابه فقال:

"الأُمُّ في حقيقة اللغة: الأصل الذي منه يكون الشيء، فلمَّا كانت المُحْكَمَاتُ مفهومةً بذواتها، والمتشابهاتُ إنما تصير مفهومةً بإعانة المحكمات، لا جَرَمَ صارت المُحْكَمَاتُ كالأُمِّ للمتشابهاتِ"^(٣).

فيهذا عُلِمَ أنَّ طريقَ معرفة المراد من الآيات المتشابهات إنما هو الآيات المحكمات، وهذا نوعٌ من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، بحمل الدلالات بعضها على بعض.

(١) مفاتيح الغيب: (٢/ ٢١-٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (٧/ ١٤٢).

(٣) مفاتيح الغيب: (٧/ ١٨٥).

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية على حمل المتشابه على المحكم في تفسير الإمام الرازي:

المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]:

ذكر الإمام الرازي أولاً أنَّ المعنى الظاهر للآية غيرُ مرادٍ حيث قال: " أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه سبحانه وتعالى مُنَزَّهٌ عن المجيء والذهاب؛ ويدل عليه وجوه: أحدها: ما ثبت في علم الأصول أنَّ كلَّ ما يصحُّ عليه المجيء والذهاب، لا ينفكُّ عن الحركة والسكون، وهما محدثان، وما لا ينفكُّ عن المحدث فهو مُحدثٌ، فيلزم أنَّ كلَّ ما يصحُّ عليه المجيء والذهاب يجب أن يكون محدثاً مخلوقاً، والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك. " وذكر سبعة أدلةٍ آخر على ذلك.

ثم ذكر في تفسير الآية وجهين: " الوجه الأول وهو مذهب السلف الصالح: أنه لما ثبت بالدلائل القاطعة أنَّ المجيء والذهاب على الله تعالى مُحَالٌ، عَلِمْنَا قطعاً أنه ليس مرادُ الله تعالى من هذه الآية هو المجيء والذهاب، وأنَّ مراده بعد ذلك شيءٌ آخر، فَإِنَّ عَيْنَ ذلك المَرَادِ لم نأمن الخطأ، فالأولى السكوتُ عن التأويل، وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى...

الوجه الثاني: قول جمهور المتكلمين: أنه لا بُدَّ من التأويل على سبيل التفصيل، ثم ذكروا فيه وجوهاً: الأول: المراد: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: آيات الله، فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات، كما يقال: جاء الملك، إذا جاء جيشٌ عظيمٌ من جهته، والذي يدلُّ على صحَّة هذا التأويل: أنه تعالى قال في الآية المتقدمة: ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فذكر ذلك في معرض الزجر والتهديد، ثم إنَّه تعالى أكَّد ذلك بقوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾، ومعلومٌ أن لو كان التقدير أن يصحَّ المجيء على الله لم يكن مجرَّد حضوره سبباً للتهديد

والزجر؛ لأنه عند الحضور كما يزجر الكفار ويعاقبهم، فهو يشيب المؤمنين ويخصّصهم بالتقريب، فثبت أنّ مجرد الحضور لا يكون سبباً للتهديد والوعيد، فلمّا كان المقصود من الآية إنّما هو الوعيد والتهديد، وجب أن يُضمّر في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد، ومتى أضمرنا ذلك زالت الشبهة بالكلية، وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية.

والوجه الثاني في التأويل: أن يكون المراد من: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمر الله، ومدار الكلام في هذا الباب: أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء، فإن كان ذلك محالاً، فالواجب صرفه إلى التأويل، كما قاله العلماء في قوله: ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ [المائدة: ٣٣]، والمراد: يحاربون أولياءه، وقال: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] والمراد: واسأل أهل القرية، فكذا قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ المراد به: يأتيهم أمر الله، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] المراد: جاء أمر ربك، وليس فيه إلا حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو مجاز مشهور^(١)، يقال: صَرَبَ الأمير فلاناً وصَلَبَهُ وأعطاه، والمراد: أنه أمر بذلك، لا أنه تولى ذلك العمل بنفسه. ثم الذي يؤكّد القول بصحة هذا التأويل وجهان، الأول: أن قوله ها هنا: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ إخبار عن حال القيامة، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]، فصار هذا المحكم مفسراً لذلك المتشابه؛ لأن كلّ هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة، لم يبعد حمل بعضها على البعض، والثاني: أنه تعالى قال بعده: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق، فلا بدّ وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه، وما ذاك إلا الذي أضمرناه من أن قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يأتيهم أمر الله^(٢).

(١) مفاتيح الغيب: (٢٣٣-٢٣٥).

(٢) تعريف المجاز: الصحيفة: (٢٠٧) من هذا البحث.

فمن هذا المثال يمكن استخلاص قانون التأويل عند الإمام الرازي وهو أساس حمل التشابه على المحكم، ويتمثل في الخطوات الآتية:

١ / إثبات استحالة المعنى الظاهر واستحالة قبوله؛ لتكون هناك حاجة للعدول عن هذا الظاهر، ثم البحث عن تأويل الآية، كما ذكرها أولاً من ثمانية وجوه.

٢ / مراعاة السياق الذي ذكرت فيه الآية من خلال نظره في أمرين:

أ- الآية السابقة لهذه الآية: وهو ما ذكره في الوجه الأول من التأويل؛ حيث استفاد منه معنى التهديد والزجر، ولذلك قال إنه موافق لنظم الآية، أي: لتتابع المعاني فيها وترابطها.

ب- ما ورد في ختام الآية - أي ما بعد اللفظ المؤول -: واستفاد منه في إثبات صحة أن اللفظ مجاز مشهور، وأن هناك مضافاً محذوفاً.

٣ / النظر في الآيات الواردة في نفس الواقعة -الموضوع-، أي: يوم القيامة، وهي خطوة لمعرفة الآيات المحكمات والمتشابهات، في الموضوع ذاته.

٤ / تفسير الآيات المتشابهات -التي ثبت استحالة ظاهرها- بحملها على الآيات المحكمات، كما في استدلاله بآيتي سورة النحل وسورة الفجر، حيث كانت الآيتان واضحتي الدلالة على المعنى المختار في تأويل الآية موضع التفسير.

فمن خلال هذه الخطوات التي اتبعتها الإمام الرازي في التأويل، تتبين مكانة التأويل من تفسير القرآن بالقرآن، وأن الأساس فيه هو حمل التشابه على المحكم مع مراعاة السياق.

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ

لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]

قال الإمام الرازي: "كيف يجوز أن يكونوا أعداء الله، ومن حقّ العداوة الإضرار بالعدوّ، وذلك محالٌ على الله تعالى؟

والجواب: أن معنى العداوة على الحقيقة لا يصحّ إلا فينا؛ لأن العدوّ للغير هو الذي يريد إنزال المضارّ به، وذلك محالٌ على الله تعالى، بل المراد منه أحد وجهين: إمّا أن يعادوا أولياء الله، فيكون ذلك عداوةً لله، كقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣]، وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]؛ لأن المراد بالآيتين أولياء الله دونه؛ لاستحالة المحاربة والأذية عليه. وإمّا أن يُراد بذلك كراحتهم القيام بطاعته وعبادته، وبُعدهم عن التمسك بذلك، فلمّا كان العدوّ لا يكاد يوافق عدوّه أو ينقاد له، شبّه طريقته في هذا الوجه بالعداوة، فأما عداوتهم لجبريل عليه السلام والرسول صلى الله عليه وسلم فصحيحة؛ لأن الإضرار جائزٌ عليهم، لكنّ عداوتهم لا تؤثر فيهم؛ لعجزهم عن الأمور المؤثرة فيهم، وعداوتهم مؤثّرة في اليهود؛ لأنّها في العاجل تقتضي الذلّة والمسكنة، وفي الآجل تقتضي العذاب الدائم" (١).

فيلاحظ كيف أثبت الإمام الرازي أنّ المعنى الظاهر المتبادر للعداوة ممتنع في حقّ الله ﷻ، ثم ذكر المعنى الصحيح له بتأويله الآية استدلالاً بما دلّت عليه الآيات الأخرى وما أفادته من معانٍ تشهد لصحّة التأويل المختار.

المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]

ذكر الإمام الرازي في بداية تفسيره لهذه الآية رأي من قالوا إن الله ﷻ مختصّ بالمكان، وكيفيّة استدلالهم بها، ثم قال: "واعلم أنّا نقيم الدلالة أولاً: على أنه لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره، وذلك من وجوه: الأول: أنه تعالى قال في هذه السورة: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ فيبين بهذه الآية

(١) مفاتيح الغيب: (٣/ ١٩٧-١٩٨).

أَنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ مُلْكُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَمْلُوكٌ لَهُ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَحَدَ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي السَّمَاوَاتِ لَزِمَ كَوْنُهُ مُلْكًا لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ مُحَالٌ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [طه: ٦]، فَإِنْ قَالُوا: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ فَهُوَ لِلَّهِ إِلَّا أَنْ كَلِمَةَ "مَا" مُخْتَصَّةٌ بِمَنْ لَا يَعْقِلُ فَلَا يَدْخُلُ فِيهَا ذَاتُ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْنَا: لَا نُسَلِّمُ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٥ - ٧]، وَنَظِيرُهُ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِكَلِمَةِ "مَا" هَاهُنَا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ. وَالثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، أَوْ الْمُرَادُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ. وَالثَّانِي: تَرْكٌ لِلظَّاهِرِ، وَالْأَوَّلُ: عَلَى قِسْمَيْنِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْحَاصِلُ مِنْهُ تَعَالَى فِي أَحَدِ السَّمَاوَاتِ عَيْنٌ مَا حَصَلَ مِنْهُ فِي سَائِرِ السَّمَاوَاتِ، أَوْ غَيْرُهُ، وَالْأَوَّلُ يَقْتَضِي حَصُولَ الْمُتَحَيِّزِ الْوَاحِدِ فِي مَكَانَيْنِ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ. وَالثَّانِي: يَقْتَضِي كَوْنَهُ تَعَالَى مُرَكَّبًا مِنْ الْأَجْزَاءِ وَالْأَبْعَاضِ، وَهُوَ مُحَالٌ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّمَاوَاتِ لَكَانَ مُحْدُودًا مُتَنَاهِيًا، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَبُولُهُ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ مُمْكِنًا، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ اخْتِصَاصَهُ بِالْمَقْدَارِ الْمَعْيَّنِ لِتَخْصِصِ مَخْصَصٍ وَتَقْدِيرِ مَقْدَرٍ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحْدَثٌ. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ، فَهَلْ يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ عَالَمٍ آخَرَ فَوْقَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ أَوْ لَا يَقْدِرُ؟ وَالثَّانِي يُوجِبُ تَعَجُّيزَهُ، وَالْأَوَّلُ يَقْتَضِي أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَحَصَلَ تَحْتَ هَذَا الْعَالَمِ، وَالْقَوْمُ يَنْكُرُونَ كَوْنَهُ تَحْتَ الْعَالَمِ. وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وَقَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وَقَالَ: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وَكُلُّ ذَلِكَ يَبْطِلُ الْقَوْلَ بِالْمَكَانِ وَالْجِهَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَثَبِتَ بِهِذِهِ الدَّلَائِلُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَمْلُ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَجُوبَ التَّأْوِيلُ: وَهُوَ مِنْ وَجْهِهِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُ:

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ يعني: وهو الله في تدبير السماوات والأرض، كما يقال: فلان في أمر كذا، أي: في تدبيره وإصلاح مهماته، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ ﴾ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ﴿ [الزخرف: ٨٤]، والثاني: أن قوله: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ كلام تام، ثم ابتداء وقال: ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾، والمعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم في السماوات سرائر الملائكة، وفي الأرض يعلم سرائر الإنس والجن. والثالث: أن يكون الكلام على التقديم والتأخير، والتقدير: وهو الله يعلم في السماوات وفي الأرض سركم وجهركم، ومما يقوي هذه التأويلات أن قولنا: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ نظير قولنا: هو الفاضل العالم، وكلمة "هو" إنما تذكرها هنا لإفادة الحصر، وهذه الفائدة إنما تحصل إذا جعلنا لفظ الله اسماً مشتقاً، فأمّا لو جعلناه اسم علم شخص قائم مقام التعيين، لم يصح إدخال هذه اللفظة عليه، وإذا جعلنا قولنا: (الله) لفظاً مفيداً، صار معناه: وهو المعبود في السماء وفي الأرض، وعلى هذا التقدير يزول السؤال، والله أعلم^(١).

فيلاحظ أنه أولاً ردّ على استدلال من أثبتوا المكان لله تعالى بالقرآن الكريم، واستدلّ في ردّه عليهم بآيات القرآن الكريم أيضاً، ثمّ إنه في تأويل الآية: حُلّ معنى الآية على معنى آيات أخرى مناظرة لها من حيث الموضوع، لكنّها مُحكّمة، فاستفاد من معاني النظائر لاختيار التأويل المناسب للآية، وهنا يظهر تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الرابع: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

بِشَاءٍ ﴾ [المائدة: ٦٤]

قال الإمام الرازي: "اعلم أن الكلام في هذه الآية من المهمات، فإن الآيات الكثيرة من القرآن ناطقة بإثبات اليد، فتارة المذكور هو اليد من غير بيان العدد، قال تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] وتارة بإثبات

(١) مفاتيح الغيب: (١١٥/١٤).

اليدين لله تعالى: منها هذه الآية، ومنها قوله تعالى لإبليس الملعون: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: ٧٥] وتارةً بإثبات الأيدي؛ قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ [يس: ٧١]. إذا عرفت هذا فنقول: اختلفت الأمة في تفسير يد الله تعالى، فقالت المجسّمة: إنّها عضوٌ جسمانيٌّ كما في حقِّ كلّ أحدٍ، واحتجّوا عليه بقوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، وجه الاستدلال: أنّه تعالى قدح في إلهية الأصنام؛ لأجل أنّها ليس لها شيءٌ من هذه الأعضاء، فلو لم تحصل لله هذه الأعضاء، لزم القدح في كونه إلهاً، ولما بطل ذلك وجب إثبات هذه الأعضاء له. قالوا: أيضاً اسم اليد موضوعٌ لهذا العضو، فحمله على شيءٍ آخر تركُّ للغة، وإنه لا يجوز.

واعلم أنّ الكلام في إبطال هذا القول مبنيٌّ على أنّه تعالى ليس بجسمٍ؛ والدليل عليه: أنّ الجسم لا ينفكّ عن الحركة والسكون، وهما محدّثان، وما لا ينفكّ عن المحدث فهو محدّث، ولأنّ كلّ جسمٍ فهو متناهٍ في المقدار، وكلُّ ما كان متناهياً في المقدار فهو محدّث، ولأنّ كلّ جسمٍ فهو مؤلّفٌ من الأجزاء، وكلُّ ما كان كذلك كان قابلاً للتركيب والانحلال، وكلُّ ما كان كذلك افتقر إلى ما يُركّبه ويُؤلّفه، وكلُّ ما كان كذلك فهو محدّث، فثبت بهذه الوجوه أنّه يمتنع كونه تعالى جسماً، فيمتنع أن تكون يده عضواً جسمانياً.

وأما جمهور الموحدين فلهم في لفظ اليد قولان: الأول: قولٌ من يقول: القرآن لما دلّ على إثبات اليد لله تعالى أمناً به، والعقل لما دلّ على أنّه يمتنع أن تكون يدُ الله عبارةً عن جسمٍ مخصوصٍ، وعضوٍ مركّبٍ من الأجزاء والأبعض أمناً به، فأما أنّ اليد ما هي؟ وما حقيقتها؟ فقد فوّضنا معرفتها إلى الله تعالى، وهذه هي طريقة السلف.

وأما المتكلمون فقالوا: اليد تُذكر في اللغة على وجوه، أحدها: الجارحة، وهو معلوم، وثانيها: النعمة؛ تقول: لفلان عندي يدٌ أشكره عليها، وثالثها: القوة؛ قال تعالى: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] فسروه بذوي القوى والعقول، ورابعها: المُلْك، يقال: هذه الضيعة في يد فلان، أي: في مُلكه؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: يملك ذلك، وخامسها: شِدَّةُ العناية والاختصاص؛ قال تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ بَيْدَى﴾ [ص: ٧٥] والمراد: تخصيص آدم ﷺ بهذا التشريف، فإنه تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات. ويقال: يدي لك رهنٌ بالوفاء؛ إذا ضمن له شيئاً. إذا عرفت هذا فنقول: اليدُ في حقِّ الله يمتنع أن تكونَ بمعنى الجارحة، وأما سائر المعاني فكلُّها حاصلة^(١).

فذكر الإمام الرازي في تأويل معنى اليد أكثرَ من معنى، واستدلَّ لهذه المعاني بآياتٍ أخرى مُحْكَمَةٍ، وذلك بعد أن ذَكَرَ أَنَّ المعنى الظاهرَ للآية مستحيلٌ في حقِّ الله سبحانه وتعالى، وهذا جانبٌ من استخدامه للتأويل وردّه الآياتِ المتشابهاتِ إلى الآياتِ المحكماتِ في التفسير.

(١) مفاتيح الغيب: (١٢ / ٤٢ - ٤٣).

الفصل الثالث:

تفسير القرآن بالاستدلال بالآيات القرآنية

وفيه مباحث:

المبحث الأول: دور الاستدلال بالقرآن الكريم في اجتهاد الإمام الرازي في تفسيره:

المطلب الأول: الاستدلال على صحة التفسير بالموافقة أو المناسبة لمعنى آية أخرى:

المطلب الثاني: الجمع بين ما يُتوهم أنه متعارض من الآيات القرآنية:

المطلب الثالث: ردّ الخطأ في التفسير بتفسير القرآن بالقرآن:

المطلب الرابع: دَفْعُ الإشكال عن الآيات القرآنية:

المبحث الثاني: صورٌ من استدلال الإمام الرازي بالقرآن الكريم لاجتهاداته:

المطلب الأول: الاجتهادات العقديّة:

المطلب الثاني: الاجتهادات الفقهيّة:

المطلب الثالث: الاجتهادات اللغويّة:

المطلب الرابع: الاجتهادات النحويّة:

المطلب الخامس: التوجيهات البلاغية:

المطلب السادس: التفسير الإشاري:

المبحث الثالث: تفسير المفردات القرآنية بالقرآن الكريم:

المطلب الأول: تفسير المفردة القرآنية بلفظة أشهر منها:

المطلب الثاني: تفسير المفردة ثم ذكر ما يدل على صحة هذا التفسير من القرآن الكريم:

المطلب الثالث: التفريق بين المفردات التي تبدو متشابهة:

المبحث الرابع: الاستدلال بالنظائر القرآنية:

المطلب الأول: معنى النظائر:

المطلب الثاني: صور من الاستدلال بالنظائر القرآنية في تفسير الإمام الرازي:

تمهيد:

معنى الاستدلال:

الدليل: هو كل ما يُعرف به المدلول، حسيّاً كان أو شرعيّاً، قطعياً كان أو غير قطعياً، حتى سُمّي الحسّ والعقل والنصّ والقياس وخبر الواحد وظواهر النصوص كلّها أدلّة^(١).

والاستدلال هو: تقرير الدليل لإثبات المدلول، سواءً أكان ذلك من الأثر إلى المؤثر، أم بالعكس، أو من أحد الأمرين إلى الآخر^(٢)، أو "هو طلب الشيء من جهة غيره"^(٣).

استدلال الإمام الرازي بالقرآن الكريم لاجتهاده في التفسير:

يتعلّق هذا الفصل بجانب الاجتهاد في تفسير الإمام الرازي، فإنه ما من اجتهاد يذكره المفسّر إلا وهو بحاجة إلى دليل يدعم صحّته.

فالإمام الرازي يعتمد في تفسيره على اختيار الاجتهاد الموافق لما جاء في القرآن الكريم، ويذكر عقيب التفسير ما يدلّ على هذا صحة الاجتهاد في تفسيره للآية موضع التفسير، فالنص القرآني يُفهم على ضوء غيره من نصوص القرآن الكريم.

وقد نصّ الإمام الرازي على أولوية نصوص القرآن الكريم للاستهداء بها في التفسير، كما تقدّم من قبل في الفصل الأول، ومن النصوص التي ذكرها في تفسيره:

١ - تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب.

(١) الكليات: (١١٤).

(٢) الكليات: (٢٩٤).

(٣) الفروق اللغوية: (٧٠).

٢- لا مزيد على بيان الله.

٣- القرآن أصل العلوم كلها؛ فعلم الكلام كله في القرآن، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن، وكذا علم أصول الفقه، وعلم النحو، واللغة، وعلم الزهد في الدنيا، وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق.

٤- ليس بعد بيان الله بيان.

٥- القرآن كله كالسورة الواحدة، وكالآية الواحدة؛ يصدق بعضها بعضاً، ويبيّن بعضها معنى بعض. فيستفاد من كلام الإمام أنّ الاستهداء بنصوص القرآن الكريم هو الضامن للفهم الأصوب لكلام الله ﷻ، وهذا ما سار عليه الإمام الرازي في تفسيره.

المبحث الأول:

دور الاستدلال بالقرآن الكريم في التفسير عند الإمام الرازي:

المطلب الأول: الاستدلال على صحة التفسير بالموافقة أو المناسبة لمعنى آية أخرى:

١ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]:

قال الإمام الرازي: "جعل علماء التوحيد هذه الآية دالة على فضل من سبق إلى الإسلام، وأنفق وجاهد مع الرسول ﷺ قبل الفتح، وبينوا الوجه في ذلك؛ وهو عِظَم موقع نُصرة الرسول ﷺ بالنفس، وإنفاق المال في تلك الحال، وفي عدد المسلمين قِلَّة، وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد، فكانت الحاجة إلى النُّصرة والمعاونة أشدَّ، بخلاف ما بعد الفتح؛ فإنَّ الإسلام صار في ذلك الوقت قوياً والكفر ضعيفاً، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَالسَّيْفُوتُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)^(١).

(١) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري: في كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذاً خليلاً)، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم:

كتاب فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، رقم (٢٥٤٠).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٩ / ٢١٩).

فاستدل الإمام الرازي على صحة تفسير المتكلمين للآية بفضل من سبق إلى الإسلام على المتأخر في إسلامه بمناسبة المعنى المختار لمعنى آية أخرى في سورة البقرة ذكرت أفضلية السابقين من المهاجرين والأنصار.

٢- في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]

قال الإمام الرازي: "الوجه الرابع في كيفية الاستدلال ما خطر ببالي: أن هذه الآية مناسبة لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام مخاطباً أباه: ﴿ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ [مريم: ٤٢]، يعني لا تجوز العبادة إلا لمن يكون نافعاً ضاراً، ويكون أمري في يديه، وحكمي في قبضة قدرته، فإن كان كل واحد يعلم أن عيسى عليه السلام ما كان قادراً على هذه الأشياء، امتنع في العقل أن أسلم له وأن أنقاد له، وإنما أسلم وجهي للذي منه الخير والشر، والنفع والضّر، والتدبير والتقدير" (١).

استدل الإمام الرازي لصحة المعنى المستفاد من الآية، وهو: أن يكون المعبود نافعاً ضاراً على الحقيقة؛ لمناسبة هذا المعنى لما جاء في سورة مريم من معنى يدل على أنه ما لا ينفع ولا يضر فلا يستحق العبادة.

٣- وجاء في قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق: ٣٤]:

"ويحتمل عندي وجهاً آخر وهو: أن يكون ذلك إرشاداً للمؤمنين إلى مكارم الاخلاق في ذلك اليوم كما أرشدوا إليها في الدنيا؛ حيث قال تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧] فكأنه تعالى قال: هذه داركم ومنزلكم، ولكن لا تتركوا حسن عاداتكم ولا تُخلُّوا بمكارم أخلاقكم، فادخلوها بسلام، ويصيحون سلاماً على من فيها، ويسلم من فيها عليهم، ويقولون: السلام

(١) مفاتيح الغيب: (٧ / ٢٢٦ - ٢٢٧).

عليكم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلَ سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة: ٢٦] أي: يسلمون على من فيها، ويسلم من فيها عليهم، وهذا الوجه إن كان منقولاً فنعم، وإن لم يكن منقولاً فهو مناسب معقول أيده دليل منقول^(١).
فيلاحظ كيف استعان في تفسير معنى الدخول إلى الجنة بسلام والتسليم على أهلها بما ورد من آيات أخرى في القرآن الكريم تؤيد صحة الوجه الذي يتكون من مقدمتين، لكل مقدمة منهما آية قرآنية، ليصل بعد ذلك إلى الوجه الذي ذكره.

المطلب الثاني: الجمع بين ما يُتوهم أن متعارض من الآيات القرآنية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قال الإمام الرازي:

"وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الأنبياء والرسل، وآيات دالة على حصول التباين فيها، أما النوع الأول فقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وأما النوع الثاني: فهو هذه الآية، وطريق الجمع أن نقول: النوع الأول من الآيات مصروف إلى ما يتعلق بأصول الدين، والنوع الثاني مصروف إلى ما يتعلق بفروع الدين"^(٢).

(١) مفاتيح الغيب: (٢٨ / ١٧٩)، وهذا المثال من القسم المشكوك في نسبته إلى الإمام الرازي، إلا أن الدراسة الشاملة للتفسير اقتضت وضعه، والأمانة العلمية تقتضي التنبيه؛ حيث أن هذا الموضوع من التفسير لم يُجزم بأنه ليس من تأليف الإمام الرازي، أو غيره.

(٢) مفاتيح الغيب: (٤ / ١٢).

وفق الإمام بين الآيات الدالة على تباين طريقة الأنبياء والآيات الدالة على عدم التباين: بأن يكون كل نوع من الآيات متعلقاً بموضوع، وهذا يعني عدم التعارض، وطريقة التفريق بين هذه الآيات هو: النظر في الآيات الدالة على عدم التباين على أنها وحدة واحدة ومعناها واحد، وهذه الآية الدالة على التباين فيها شيء لم يرد في تلك الآيات وهو الحكم، وهو لا يجوز إلا بالقرآن، فهذه الكلمة الواردة في الآية هي التي ساعدت في التوفيق بين الآيات.

٢- هل من الممكن أن يُقتل النبي ﷺ أم لا يقتل؟ وإن كان لا يُقتل فلماذا ذكر قتله؟

في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال الإمام الرازي: "إنه تعالى بين في آيات كثيرة أنه ﷺ لا يُقتل؛ قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] فليس لقائل أن يقول: لما علم أنه لا يُقتل فلم قال: ﴿أَوْ قُتِلَ﴾؟ فإنَّ الجواب عنه من وجوه:

الأول: أنَّ صدق القضية الشرطية ^(١) لا يقتضي صدق جزأها، فإنك تقول: إن كانت الخمسة زوجاً، كانت منقسمةً بمتساويين، فالشرطية صادقةٌ وجزءاها كاذبان، وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فهذا حقٌّ مع أنه ليس فيهما آلهة، وليس فيهما فساد، فكذا هاهنا. والثاني: أنَّ هذا ورد على سبيل الإلزام، فإنَّ موسى عليه السلام مات، ولم ترجع أمته عن ذلك، والنصارى زعموا أنَّ عيسى عليه السلام قُتل، وهم لا يرجعون عن دينه، فكذا هاهنا، والثالث: أنَّ الموت لا يوجب رجوع الأمة عن دينه، فكذا القتل وجب أنَّ لا

(١) القضية الشرطية: هي القضية التي تنحل بطرفيها إلى قضيتين، وهي التي يحكم فيها على التعليق، أي وجود إحدى قضيتيها معلق على وجود الأخرى أو على نفيها ويسمى الجزء الأول منها مقدماً، والثاني تالياً. [يُنظر: الكليات: (٧١٢)].

يوجب الرجوع عن دينه؛ لأنه لا فارق بين الأمرين، فلما رجع إلى هذا المعنى، كان المقصود منه الردّ على أولئك الذين شكّوا في صحة الدين، وهمّوا بالارتداد" (١).

استدل الإمام الرازي في هذا المثال على أنّ القضية الشرطية صادقة وإن كان جزءاها كاذبين، بما ورد في آية أخرى من شرط مستحيل، وجزاؤه مستحيل أيضاً، ومع ذلك فإنّ القضية الشرطية كانت صادقة، وكذلك هذه الآية، لا تتعارض مع كون النبي ﷺ لا يُقتل.

٣- هل يُسأل الإنسان عن عمله أم لا؟

في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]

قال: فإن قيل كيف الجمع بين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ وبين قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟ أجابوا عنه من وجوه: ... الوجه الثالث: أن نقول: قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ يفيد عموم النفي، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ عائد إلى المقتسمين، وهذا خاص ولا شك أن الخاص مُقدّم على العام" (٢).

وضّح الإمام أنّ عدم السؤال عن الأعمال عام، والسؤال جاء إثباته في سياق آية خاصة تتحدّث عن الذين قسّموا القرآن أجزاءً فأمنوا ببعضه، ولم يؤمنوا بالبعض الآخر.

المطلب الثالث: ردّ الخطأ في التفسير بتفسير القرآن بالقرآن:

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]

(١) مفاتيح الغيب: (٩ / ٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٩ / ٢١٤).

قال الإمام الرازي: "احتج من قال إنّ الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾، فقلوه: ﴿مِنْكُمْ﴾ خطابٌ مع المؤمنين، فدلّ على أنّ الخطاب بهذه الفروع مُختصّ بالمؤمنين فقط، وجوابه: أنّ المؤمنين لما كانوا هم العاملين بذلك، خصّهم بالذكر، كقلوه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥] مع أنّه كان مُنْذِراً للكلّ؛ لقلوه تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١] ^(١).

يرى الإمام الرّازي أنّ الاستدلال بهذه الآية للقول بأنّ الكفار غيرُ مخاطبين بالفروع غير صحيح؛ لأنّ تخصيص المؤمنين بالذكر هنا لا يعني أنّهم وحدهم المخاطبون بالشرعة، بدليل أنّ الله تعالى خصّص الدعوة بالذين يخشون الآخرة في آية، مع أنّ النبي ﷺ كان منْذِراً للجميع كما ورد في آية أخرى.

المطلب الرابع: دفع الإشكال عن الآيات القرآنية:

١ - في قوله تعالى ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]: قال: "لما ذكر الله أنه يقذف بالحق، وكان ذلك بصيغة الاستقبال، ذكر أنّ ذلك الحقّ قد جاء، وفيه وجوه، أحدها: أنه القرآن، الثاني: أنه بيان التوحيد والحشر، وكل ما ظهر على لسان النبي ﷺ، الثالث: المعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ، ويُحتمل أن يكون المراد من: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ ظهر الحق؛ لأن كلّ ما جاء فقد ظهر، والباطل خلاف الحق، وقد بينّا أنّ الحقّ هو الموجود، ولما كان ما جاء به النبي ﷺ لم يمكن انتفاؤه، كالتوحيد والرسالة والحشر، كان حقّاً لا ينتفي، ولما كان ما يأتون به من الإشراك والتكذيب لا يمكن وجوده، كان باطلاً لا يثبت، وهذا المعنى يفهم من قوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾؛ أي: الباطل لا يفيد شيئاً في الأولى، ولا في الآخرة، فلا إمكان لوجوده أصلاً، والحق المأثّر به لا عدم له أصلاً، وقيل: المراد لا يبدئ الشيطان ولا يعيد، وفيه معنى لطيف، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ [سبأ: ٤٨] لما كان فيه معنى قوله

(١) مفاتيح الغيب: (٦ / ١٣٧).

تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨] كان يقع لمتوهم أن الباطل كان، فَوَرَدَ عليه الحقُّ فأبطله ودمغه، فقال ها هنا: ليس للباطل تحققٌ أولاً وآخرأ، وإنما المراد من قوله: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: فيظهر بطلانه الذي لم يزل كذلك، وإليه الإشارة بقوله تعالى في موضعٍ آخر: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] يعني: ليس أمراً متجدداً زهوقُ الباطل، فقوله: ﴿وَمَا يُدْئِ الْبَاطِلُ﴾ أي: لا يُثَبِّت في الأول شيئاً خلافَ الحقِّ، و﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لا يعيد في الآخرة شيئاً خلافَ الحقِّ" (١).

قد يُفْهَم أن الباطل كان له وجودٌ وتحقيقٌ، فجاء الحقُّ فأنهى ذلك الوجود، لكن الإمام بين أنه لا وجود للباطل لا قبل ورود الحقِّ، ولا بعد ذلك، واستفاد ذلك من مجموع الآيات التي وردت في موضوع الحقِّ والباطل.

٢- في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [سورة الأعلى: ٩]

قال: "في الآية سؤالات: السؤال الأول: أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الكل، فيجب عليه أن يذكرهم سواءً نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم، فما المراد من تعليقه على الشرط في قوله: ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ؟

الجواب: أن المعلق بـ"إن" على الشيء لا يلزم أن يكون عدماً عند عدم ذلك الشيء، ويدلُّ عليه آيات، منها: هذه الآية، ومنها: قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، ومنها قوله: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ومنها قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١] فإنَّ القصر جائز، وإن لم يوجد الخوف، ومنها قوله: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾

(١) مفاتيح الغيب: (٢٥ / ٢٧٠)، وهذا المثال من القسم المشكوك في صحته نسبته إلى الإمام الرازي.

[البقرة: ٢٨٣] والرهن جائز مع الكتابة، ومنها قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾
[البقرة: ٢٣٠] والمراجعة جائزة بدون هذا الظن^(١).

استدل الإمام الرازي لدفع ما قد يُتوهم من إشكال في أنّ النبي ﷺ مأمورٌ بالتذكيرة حال كونها نافعةً فقط، بما ورد في آياتٍ أخرى مشروطاً لكن لا يلزم من عدمه العدم.

(١) مفاتيح الغيب: (٣١ / ١٤٤).

المبحث الثاني:

صور من استدلال الإمام الرازي بالقرآن الكريم لاجتهاداته

يستدل الإمام الرازي في تفسيره للمعنى الذي يذكره بالقرآن الكريم، في توجيهاته اللغوية والعقدية والفقهية والنحوية والبلاغية وفي التفسير الإشاري، وهذه أمثلة توضح ذلك:

المطلب الأول: الاجتهادات العقدية:

- في قوله تعالى: ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

قال الإمام الرازي: "قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يدل: على أن أحداً من الملائكة والأنبياء -عليهم السلام- ما أقدم على عملٍ يخالف قولَ الذين أنعم الله عليهم، ولا على اعتقاد الذين أنعم الله عليهم؛ لأنه لو صدر عنه ذلك لكان قد ضلَّ عن الحق، لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، ولو كانوا ضالِّين لما جاز الاقتداء بهم، ولا الاهتداء بطريقهم، ولكانوا خارجين عن قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولما كان ذلك باطلاً، علمنا بهذه الآية عصمة الأنبياء والملائكة -عليهم السلام-".^(١)

فاستدل الإمام الرازي لاجتهاده في تفسير الآية على عصمة الأنبياء والملائكة وأيد ذلك بالاستدلال بآية أخرى

المطلب الثاني: الاجتهادات الفقهية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَابْتُلُوا آلَ نِسْمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]

(١) مفاتيح الغيب: (١/ ٢٦٢).

قال: "اختلفوا في أنه هل يُضَمُّ إليه -أي إلى الرُّشد- الصلاح في الدين؟ فعند الشافعي رحمه الله: لا بُدَّ منه، وعند أبي حنيفة رحمه الله^(١) هو غير معتبر، والأوّل أولى؛ ويدلّ عليه وجوه: أحدها: أنّ أهل اللّغة قالوا: الرُّشد هو إصابة الخير، والمفسد في دينه لا يكون مصيباً للخير. وثانيها: أنّ الرُّشد نقيض الغي؛ قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] والغي هو الضلال والفساد، وقال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] فجعل العاصي غويّاً، وهذا يدلّ على أنّ الرُّشد لا يتحقّق إلّا مع الصلاح في الدين، وثالثها: أنه تعالى قال: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧] نفى الرُّشد عنه؛ لأنه ما كان يراعي مصالح الدين، والله أعلم^(٢).

استدلّ الإمام على أنّ المعنى الذي اختاره الإمام الشافعي للرُّشد هو صلاح الدين، ونقيضه فساد الدين، والدليل عليه أنّ القرآن نفى الرُّشد عن فرعون، معلوم أنّ المقصود هو فساد دين فرعون.

٢- في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]: قال الإمام الرازي: "في قوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قولان: ... القول الثاني: المراد ها هنا بالمحصنات الحرائر؛ والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، ذكر ها هنا المحصنات ثم قال بعده: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ كان المراد بالمحصنات ها هنا ما هو المراد هناك، ثمّ المراد من المحصنات هناك الحرائر، فكذا ها هنا، وعلى هذا التقدير ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ وجهان:

(١) الإمام أبو حنيفة: هو أحد أئمة الأربعة في الفقه: النعمان بن ثابت بن كاوس بن هرمز، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة خمسين ومئة، روى عنه أربعة آلاف نفس. [الجواهر المضوية: (٢٦/١)].

(٢) مفاتيح الغيب: (٩/ ١٨٨-١٨٩).

الأول: المراد منه إلا العدد الذي جعله الله مُلكاً لكم، وهو الأربع، فصار التقدير حُرِّمَتْ عليكم الحرائر إلا العدد الذي جعله الله مُلكاً لكم، وهو الأربع، الثاني: الحرائر مُحَرَّمَاتٌ عليكم إلا ما أثبت الله لكم مُلكاً عليهنّ، وذلك عند حضور الوَلِيِّ والشُّهود، وسائر الشرائط المعتمدة في الشريعة.

فهذا الأول في تفسير قوله ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ هو المختار ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ ﴿[المعارج: ٢٩ - ٣٠] جعل مُلك اليمين عبارة عن ثبوت المُلْك فيها فوجب أن يكون ها هنا مفسراً بذلك؛ لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب، والله أعلم" (١).

فيلاحظ كيف اختار الإمام الرازي القول الذي يتوافق مع ما دلّت عليه آية أخرى في غير هذا الموضع، وبذلك يكون الرأي المختار أقرب للصواب الذي جاء في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الاجتهادات اللغوية:

(١) معنى اسم الإشارة "ذا" في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

قال الإمام الرازي: "سَلَّمْنَا أَنَّ الْمَشَارَإِلِيَه حَاضِرٌ، لَكِن لَا نُسَلِّمُ أَنَّ لَفْظَةَ «ذَٰلِكَ» لَا يَشَارُ بِهَا إِلَّا إِلَى الْبَعِيدِ (٢)؛ بيانه: أَنَّ «ذَٰلِكَ» وَ«هَٰذَا» حَرْفَا إِشَارَةٍ، وَأَصْلُهُمَا «ذَا»؛ لِأَنَّهُ حَرْفٌ لِلْإِشَارَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَمَعْنَى «هَٰذَا» تَنْبِيْهُ، فَإِذَا قَرَّبَ الشَّيْءَ أَشِيرَ إِلَيْهِ فَقِيلَ: هَٰذَا، أَيْ: تَنْبَهْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ لِمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ حَاضِرٌ لَكَ بِحَيْثُ تَرَاهُ، وَقَدْ تُدْخِلُ الْكَافَ عَلَى «ذَا» لِلْمُخَاطَبَةِ، وَاللَّامُ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ، فَقِيلَ: «ذَٰلِكَ»، فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْغِ فِي التَّنْبِيْهِ لِتَأْخِرِ الْمَشَارِإِلِيَه عَنْهُ، فَهَٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَفْظَةَ

(١) مفاتيح الغيب: (١٠ / ٤٢).

(٢) قال الزنجشيري في الكشف: (١٩ / ١): "فَإِنْ قُلْتَ لِمَصَحَّتِ الْإِشَارَةُ بِ(ذَٰلِكَ) إِلَى مَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ؟ قُلْتَ: وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى (المر) بَعْدَ مَا سَبَقَ التَّكَلُّمُ بِهِ، وَتَقَضَىٰ ذَٰلِكَ، وَالْمُتَقَضَى فِي حَكْمِ الْمُبْتَاعِدِ...." فَهَٰذَا سَلَّمَ الزَّجْشَرِيُّ أَنَّ (ذَا) لَا يَشَارُ بِهَا إِلَّا لِلْبَعِيدِ."

"ذلك" لا تفيد البعد في أصل الوضع، بل اختصت في العُرف بالإشارة إلى البعيد للقرينة التي ذكرناها، فصارت كالدَّابة، فإنها مختصة في العُرف بالفرس، وإن كانت في أصل الوضع متناولة لكل ما يدب على الأرض، وإذا ثبت هذا فنقول: إننا نحمله هاهنا على مقتضى الوضع اللغوي، لا على مقتضى الوضع العُرفي، وحينئذ لا يفيد البعد، ولأجل هذه المقاربة يُقام كل واحد من اللفظين مقام الآخر، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٤٦) ﴿وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَن الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٧) ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٨) ﴿[ص: ٤٥ - ٤٨] ثم قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ [ص: ٤٩] وقال: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصَرْتُ الْأَرْجَاءُ﴾ (٥٢) ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٥٣) ﴿[ص: ٥٢ - ٥٣] وقال: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٥) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٦١) ﴿[النازعات: ٢٥ - ٢٦] وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ثم قال: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ (١٠٦) ﴿[الأنبياء: ١٠٦] وقال: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] أي هكذا يحيي الله الموتى، وقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾ [طه: ١٧] أي ما هذه التي يمينك؟ والله أعلم" (١).

فاستدل هنا على أن "ذلك" تصلح للإشارة للقريب والبعيد، بأنها قد جاءت في القرآن الكريم بمعنى "هذا"، وجاءت "هذا" في القرآن بمعنى "ذلك"، وحينئذ فإن المرجح هو الأصل اللغوي أن "ذا" لا تختص بالإشارة إلى القريب فقط، بل تصلح للقريب والبعيد.

(١) مفاتيح الغيب: (١٣/٢)

(٢) ذكر الإمام الرازي في المسائل المستفادة من البسملة أن اشتقاق لفظ «الإله» من أَلِه الرجل يَأْلَهُ، إذا فزع من أمر نزل به، فألهه أي: أجاره^(١)، والمجير لكل الخلائق من كل المضار هو الله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بَحِيرٌ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، ولأنه هو المنعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ولأنه هو المطعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، ولأنه هو الموجد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، فهو سبحانه وتعالى قهارٌ للعدم بالوجود والتحصيل، جبارٌ له بالقوة والفعل والتكميل، فكان في الحقيقة هو الله ولا شيء سواه^(٢).

فيلاحظ كيف أيد الإمام المعنى الذي ذكره بما ورد في أكثر من آية، فحصل من مجموع معاني الآيات ما يؤيد المعنى اللغوي الذي ذكره.

✽ المطلب الرابع: الآراء النحوية: ✽

في قول الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]:

قال الإمام الرازي: "انتصب "يوماً" على المفعول به لا على الظرف، لأنه ليس المعنى: واتقوا في هذا اليوم، لكن المعنى تأهبوا للقاءه بما تقدّمون من العمل الصالح، ومثله قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] ، أي: كيف تتقون هذا اليوم الذي هذا وصفه مع الكفر بالله؟"^(٣)

فأيد الإمام الرازي الإعراب الذي اختاره بأنه قد ورد في آية أخرى المعنى نفسه، وكلاهما ينبغي أن يكون له الإعراب ذاته.

(١) أَلِه إليه: فزع ولاد، وألهه: أجاره وأمنه. [في القاموس المحيط: (١٦٠٣) مادة أله].

(٢) مفاتيح الغيب: (١/ ١٦١)

(٣) مفاتيح الغيب: (٧/ ١٠٤)

(٣) جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۖ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۖ ﴾

﴿٢٠﴾ [القمر: ١٩ - ٢٠]:

"تنزع الناس وصفٌ أو حالٌ؟ نقول: يحتمل الأمرين جميعاً؛ إذ يصحّ أن يُقال: أرسل ريحاً صرصراً نازعةً للناس، ويصحّ أن يقال: أرسل الريح نازعةً، فإن قيل: كيف يمكن جعلها حالاً وذو الحال نكرة؟ نقول: الأمر هنا أهونُ منه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر: ٤] فإنه نكرة، وأجابوا عنه بأنّ "ما" موصوفةٌ، فتخصّصت فحسُن جعلها ذات الحال، فكذلك نقول ها هنا: الريح موصوفةٌ بالصّرصر، والتنكير فيه للتّعظيم، فلا يبعدُ جعلها ذات حال، وفيه وجهٌ آخر وهو: أنه كلامٌ مُستأنفٌ على فعلٍ وفاعلٍ كما تقول: جاء زيدٌ جذبني، وتقديره: جاء فجذبني، كذلك ها هنا قال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ فأصبحت تنزع الناس، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى الْفَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ﴾ [الحاقة: ٧]، فالتاء في قوله: ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ إشارةٌ إلى ما أشار إليه بقوله: ﴿ صَرْعَى ﴾ ^(١).

في الوجه الأول من الإعراب استدللّ على صحة الإعراب بالحال مع أنّ صاحب الحال نكرة بأنّه قد صحّ في آيةٍ أخرى مع كون "ما" نكرة. وفي الوجه الثاني استدللّ على أنّ إعراب جملة "تنزع الناس" جملة استئنافية، استدلالاً بما ورد في القصة نفسها في سورةٍ أخرى أن نتيجة إرسال الريح أنهم أصبحوا صرعى، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾.

المطلب الخامس: التوجيهات البلاغية:

والمقصود بهذا المطلب هو استدلال الإمام الرازي للآراء البلاغية بما ورد في آيات قرآنيةٍ أخرى.

(١) في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٢]:

(١) مفاتيح الغيب: (٤٦ / ٢٩) وهذا المثال من القسم المشكوك في نسبته للإمام الرازي من التفسير.

قال: "اختلف الناس في معنى كون الله تعالى محاسباً لخلقهم على وجوه: ... القول الثاني: إن المحاسبة عبارة عن المجازاة، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْنِ عَنْتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الطلاق: ٨]؛ ووجه المجاز فيه: أَنَّ الحِسَاب سببٌ للأخذ والإعطاء، وإطلاق اسم السَّبب على المُسَبَّب جائز^(١)، فَحَسُنَ إطلاق لفظ الحساب عن المجازاة"^(٢).

فاستدل الإمام الرازي للتوجيه البلاغي في الآية وهو أَنَّ المحاسبة بمعنى المجازاة وذلك مجاز مرسل، بوروده في موضع آخر في القرآن الكريم يُقصد به المجازاة، وهو مجاز أيضاً.

(٢) في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]:

قال الإمام الرازي: "اعلم أَنَّ قوله: ﴿لِيُحْكَمَ﴾ فِعْلٌ فلا بُدَّ من استناده إلى شيءٍ تقدَّم ذِكرُه، وقد تقدَّم ذِكرُ أمورٍ ثلاثة، فأقربها إلى هذا اللفظ: "الكتاب"، ثم "النبيون"، ثم "الله"، فلا جَرَمَ كان إضمارُ كلِّ واحدٍ منها صحيحاً، فيكون المعنى: ليحكم الله، أو النبيُّ المنزل عليه، أو الكتاب، ثمَّ إنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الاحتمالات يختصُّ بوجهٍ ترجيح، أمَّا الكتاب: فلأنَّه أقربُ المذكورات، وأمَّا الله: فلأنَّه سبحانه هو الحاكم في الحقيقة لا الكتاب، وأمَّا النبيُّ فلأنَّه هو المظهر، فلا يبعد أن يُقال: حمَّله على الكتابِ أولى، أقصى ما في الباب أن يُقال: الحاكم هو الله، فإسناد الحكم إلى الكتاب مجاز، إلا أنَّنا نقول: هذا المجاز يحسُن تحمُّله لوجهين، الأوَّل: أنَّه مجازٌ مشهورٌ يُقال: حَكَمَ الكتاب بكذا، وقضى كتابُ الله بكذا، ورضينا

(١) هذا النوع من المجاز هو المجاز المرسل، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وُضع له ملابسةً غير تشبيهية، ويقع المجاز المرسل على وجوه كثيرة

منها: تسمية السبب باسم المُسَبَّب، كقولهم: أمطرت السماء نباتاً. [يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: (٢٠٩)]

(٢) مفاتيح الغيب: (١٩٠/٥).

بكتاب الله، وإذا جاز أن يكون هديّ وشفاءً، جاز أن يكون حاكماً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩] والثاني: أنه يفيد تفخيم شأن القرآن، وتعظيم حاله " (١).

فهنا استدلل على صحّة المعنى المجازي الذي اختاره بأنه قد صحّ المجاز في آية أخرى، فينبغي أن يصحّ هنا لكونه أكثر شهرةً واستعمالاً.

(٣) الاستدلال بالقرآن الكريم على أن هذا النوع من المجاز مُستعملٌ، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ

وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٦] حيث قال: البياض مجازٌ عن الفرح والسرور، والسواد عن الغم، وهذا مجازٌ مستعملٌ؛ قال

تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] " (٢).

استدلّ الإمام الرازي على أن المجاز هاهنا ليس غريباً عن استعمال القرآن الكريم، بوروده في آية أخرى بالمعنى المجازي وليس الحقيقي.

✽ المطلب السادس: التفسير الإشاري ✽

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ

بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥]

ذكر الإمام الرازي في معنى تثبيت النفس معانٍ عدّة ثم قال: "ورابعها: وهو الذي خطر ببالي وقت كتابة هذا

الموضع: أن ثبات القلب لا يحصل إلا بذكر الله على ما قال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فمن أنفق ماله في سبيل الله لم يحصل له اطمئنان القلب في مقام

التجلي، إلا إذا كان إنفاقه لمحض غرض العبوديّة، ولهذا السبب حكي عن عليّ ؑ أنه قال في إنفاقه: ﴿إِنَّمَا

(١) مفاتيح الغيب: (١٥ / ٦).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٨٥ / ٨).

نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان: ٩]﴾، وَوُصِفَ إِنْفَاقُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩ - ٢١] ، فإذا كان إنفاقُ العبد لأجل عبودية الحقِّ، لا لأجل غرض النفس، فهناك اطمأنَّ قلبه، واستقرَّت نفسه، ولم يحصل لنفسه منازعةٌ مع قلبه، ولهذا قال أولاً في هذا الإنفاق: إِنَّهُ لَطَلِبُ مَرْضَاتِ اللَّهِ، ثم أتبع ذلك بقوله ﴿وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿١﴾.

استفاد الإمام الرازي من الآية إشارةً، وهي أَنَّ الإخلاص لله تعالى في الإنفاق يُوَدِّي إلى تثبيت النفس، وعدم اضطرابها، واستدلَّ على صحَّة هذه الإشارة بأنَّ الإخلاص لله تعالى هو ذكر له ﷻ، ونتيجة هذا الذكر هو حصول الاطمئنان، وهذا المعنى مؤيَّدُ بآياتٍ أخرى تؤكدُ أهميَّة الإخلاص في الإنفاق.

٢- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ [الأنعام: ٦٢]:

قال الإمام الرازي: "قال ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ والمعنى: أُنِّهْم كانوا في الدُّنيا تحت تصرُّفات الموالى الباطلة، وهي النفس والشهوة والغضب؛ كما قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فلما مات الإنسان تَخَلَّصَ مِنْ تصرُّفات الموالى الباطلة، وانتقل إلى تصرُّفات المولى الحقِّ" ﴿٢﴾.

استفاد الإمام الرازي إشارةً من الآية، واستدلَّ لصحَّة هذه الإشارة بآيةٍ أخرى تؤيِّد هذا المعنى، حيث إنه فسَّر الهوى المتَّخذَ إلهاً في الدُّنيا بالنفس والشهوة والغضب، وأنَّ ذلك يزول عند الموت، ويُقَرَّر الجميعُ بالوهمية الله وحده.

(١) مفاتيح الغيب: (٥٩/٧).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٣/١٧ - ١٨).

المبحث الثالث:

تفسير المفردات القرآنية بالقرآن الكريم:

يعتمد الإمام الرازي في تفسير المفردات على ما ورد في القرآن الكريم؛ لأنه أقرب الطرق إلى الصواب في التفسير، ولأن لغة القرآن الكريم بلغت أعلى درجات الفصاحة، فهي أولى بالاحتجاج بها من غيرها. وللإمام في تفسير المفردات أكثر من طريقة:

المطلب الأول: تفسير المفردة القرآنية بلفظة أشهر منها:

وذلك بأن يذكر ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ قد تكون أشهر وأقرب للقارئ من اللفظة القرآنية المراد تفسيرها. والأمثلة على ذلك في تفسيره كثيرة، مثل:

- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]: قال الإمام الرازي: ﴿أَلْفَيْنَا﴾ بمعنى: وجدنا؛ بدليل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [لقمان: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] ^(١). ففسر مفردة "أَلْفَيْنَا" بمفردة أشهر منها وهي "وجدنا" وهي واردة في آيات أخرى في القرآن الكريم.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]: قال الإمام الرازي: "قال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: الإيفاء بالتمام والكمال خيرٌ من التطفيف القليل؛ من حيث إن الإنسان يتخلص بواسطته عن الذُّكر القبيح في الدنيا، والعقاب الشديد في الآخرة،

(١) مفاتيح الغيب: (٦/٥).

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ والتأويل: ما يؤول إليه الأمر، كما قال في موضع آخر: ﴿وَحَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]

و﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] و﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وإثنا حكم تعالى بأن عاقبة هذا الأمر

أحسن العواقب؛ لأنه في الدنيا إذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف، عوّل الناس عليه، ومالت القلوب

إليه، وحصل له الاستغناء في الزمان القليل، وكم قد رأينا من الفقراء لما اشتهروا عند الناس بالأمانة

والاحتراز عن الخيانة، أقبلت القلوب عليهم، وحصلت الأموال الكثيرة لهم في المدة القليلة، وأمّا في

الآخرة: فالفوز بالثواب العظيم، والخلاص من العقاب الأليم" ^(١).

ففسّر الإمام الرازي هنا مفردة "تأويلاً" بأنها "عُقْبًا" أو "أَمَلًا" أو "مَرَدًّا"، وكلّها واردة في القرآن

الكريم، ويستفاد منها أنّ المقصود هو العاقبة.

• في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ [المائدة: ٦]

قال: "واعلم أن هذا التطهير هو الاغتسال؛ كما قال في موضع آخر: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى

تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣]" ^(٢).

وتفسيره التطهير بالاغتسال واضح جليّ، لا لبس فيه.

المطلب الثاني: تفسير المفردة، ثم ذكر ما يدلّ على صحّة هذا التفسير من القرآن

الكريم:

• معنى "خيراً" في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]:

(١) مفاتيح الغيب: (٢٠/٢٠٦).

(٢) مفاتيح الغيب: (١١/١٦٥).

قال الإمام الرازي: "لا خلاف أنه المال هاهنا، و"الخير" يُراد به المال في كثير من القرآن كقوله: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوقِ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] ^(١).

فاستدل على أن معنى الخير في الآية هو المال بورود هذا المعنى في الآيات الأخرى.

• في قوله تعالى ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]:

قال الإمام الرازي: "اعلم أن لينه ﷺ مع القوم عبارة عن حُسن خلقه مع القوم؛ قال الله تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] ^(٢).

فاستدل لمعنى اللين بآية أخرى تدل على المراد هو حُسن الخلق.

• معنى الربوة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنَبُّتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]:

قال: "واعلم أن المفسرين قالوا: البستان إذا كان في ربوة من الأرض كان أحسن وأكثر ريعاً. ولي فيه إشكال: وهو أن البستان إذا كان في مُرتَفَعٍ من الأرض، كان فوق الماء، ولا ترتفع إليه أنهار، وتضربه الرياح كثيراً، فلا يحسن ريعه، وإذا كان في وهدية من الأرض انصبَّت إليه مياه الأنهار، ولا يصل إليه إثارة الرياح، فلا يحسن أيضاً ريعه، فإذا البستان إنما يحسن ريعه إذا كان على الأرض المستوية التي لا تكون ربوة ولا وهدية، فإذا ليس المراد من هذه الربوة ما ذكره، بل المراد منه: كون الأرض طيناً حراً، بحيث إذا نزل المطر عليه انتفخ وربما ونا، فإن الأرض متى كانت على هذه الصفة يكثر ريعها، وتكُمّل الأشجار فيها، وهذا

(١) مفاتيح الغيب: (٥٨/٥).

(٢) مفاتيح الغيب: (٦٣/٩).

التأويل الذي ذكرته متأكدٌ بدليلين، أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] والمراد من ربوها ما ذكرنا، فكذا هاهنا، والثاني: أنه تعالى ذكر هذا المثل في مقابلة المثل الأول، ثم كان المثل الأول هو الصّفوان الذي لا يؤثر فيه المطر، ولا يربو، ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه، فكان المراد بالربوة في هذا المثل: كون الأرض بحيث تربو وتنمو، فهذا ما خطر ببالي، والله أعلم بمراده^(١).

ردّ الإمام الرازي قول من قال من قبله أن المراد بالربوة الأرض المرتفعة، واختار أن المعنى المراد هو الأرض المستوية لا المنخفضة، ولا المرتفعة، والتي تكون تربتها طيناً حراً بحيث تنتفع من الأمطار فتتفخ تربتها وتمدد، واستدلّ على هذا الرأي في تفسير المفردة بأنّ هذا المعنى ورد في آية سورة الحجّ، وبأنّ هذا المعنى وهو انتفاع التربة وربوها هو مقابلٌ لعدم الانتفاع المذكور في الآية السابقة.

المطلب الثالث: التفريق بين المفردات التي تبدو متشابهة:

• في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]:

قال الإمام الرازي في الفرق بين السرعة والعجلة: "الصفة السابعة قوله: ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أنهم يتبادرون إليها خوفاً الفوت بالموت، والآخر: يعملونها غير متثاقلين، فإن قيل: أليس أنّ العجلة مذمومة؛ لقوله ﷺ: (العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن)^(٢)، فما الفرق بين السرعة وبين

(١) مفاتيح الغيب: (٥٦/٧) - (٥٧).

(٢) لم أجد الحديث باللفظ الذي ذكره الإمام الرازي، والموجود في كتب الحديث هو هذا اللفظ عن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (الأنانة من الله والعجلة من الشيطان)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب؛ وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعفه من قبل حفظه. [ينظر: سنن الترمذي: كتاب البرّ الصلة، باب: التأني والعجلة، رقم: (٢٠١٢)، (٤/٣٦٦)]، وهذا اللفظ عن أنس بن مالك رضي الله عنه النبي ﷺ: (التأني من الله والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحبّ إلى الله من الحمد) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. [مجمع الزوائد: (٨/١٩)].

العجلة؟ قلنا: السَّرعَة مَخْصُوصَةٌ بِأَنْ يَقدِّمَ ما يَنْبَغِي تَقْدِيمُهُ، والعَجَلَة مَخْصُوصَةٌ بِأَنْ يَقدِّمَ ما لا يَنْبَغِي تَقْدِيمُهُ، فالمسارعة مَخْصُوصَةٌ بِفَرْطِ الرَّغْبَةِ فيما يَتَعَلَقُ بِالْدينِ؛ لِأَنَّ مَنْ رَغِبَ فِي الْأَمْرِ آثَرَ الْفَوْرِ عَلَى التَّراخِي، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وأيضاً العجلة ليست مذمومة على الإطلاق؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] ^(١).

في البداية فَرَّقَ بين مفردتي "العجلة" و"السَّرعَة" استدلالاً بالآية التي ذكرت المسارعة إلى مغفرة الله تعالى، أمّا العجلة فهي لتقديم ما لا يَنْبَغِي تَقْدِيمُهُ استدلالاً بالحديث، ثمَّ عاد فقال إنَّ العَجَلَة لا تَخْتَصُّ بما هو مذموم، بل قد تَرَدَّدَ مع ما هو مرغوبٌ شرعاً وذلك أيضاً لما دَلَّ عليه القرآن، فالخلاصة أنَّ الأصل هو التفريق بينهما على الغالب في استعمال القرآن الكريم للسَّرعَة مع أمور الدين المرغَّب فيها، وقد تَرَدَّدَ العَجَلَة على خلاف هذا الأصل، وهو أيضاً واردٌ في القرآن.

• جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]:

"أكثر المفسرين لم يفرِّقوا بين الضلال والغَيِّ، والذي قاله بعضهم عند محاولة الفرق: إنَّ الضلالَ في مقابلة الهدى، والغَيِّ في مقابلة الرُّشد؛ قال تعالى: ﴿وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وتحقيق القول فيه: أنَّ الضلالَ أعمُّ استعمالاً في الوضع، تقول: ضلَّ بعيري ورحلي، ولا تقول: غوى، فالمراد من الضلال أنَّ لا يَجِدَ السَّالِكُ إلى مقصده طريقاً أصلاً، والغواية: أنَّ لا يكون له طريقٌ إلى المقصد مستقيماً، يدُلُّك على هذا أنك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد: إنه سفيهٌ غيرُ رشيدٍ، ولا تقول: إنه ضالٌّ، والضالُّ كالكافر، والغاوي كالفاسق، فكأنه تعالى قال: ﴿مَا ضَلَّ﴾ أي:

(١) مفاتيح الغيب: (٨/ ٢٠٣).

ما كفر، ولا أقل من ذلك فما فسق، ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَنْتَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ

ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ۖ﴾ [النساء: ٦] ^(١).

فرّق بين مفردتي: "الضلال" والغى "بأنّ الضلال هو الكفر، والغى هو الفسق، وهو دون الكفر، واستدلّ على ذلك بأن المقصود بالرشد في الآية: ﴿وَابْتَغُوا الْيَنْتَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ۖ﴾ هو عدم الفسق.

(١) مفاتيح الغيب: (٢٨ / ٢٨٠)، هذا المثال من القسم المشكوك في صحة نسبته إلى الإمام الرازي.

المبحث الرابع:

التفسير بالنظائر القرآنية

المطلب الأول: معنى النظائر:

المعنى اللغوي:

النون والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ ترجع فروعه إلى معنى واحد، وهو: تأمُّلُ الشيء ومعاينته، ثم يُستعار ويُتَّسع فيه، فيُقال: هذا نظيرُ هذا، أي إنه إذا نُظِرَ إليه وإلى نظيره كانا سواءً^(١). والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وقيل: المِثْلُ في كلِّ شيءٍ، وفلانٌ نَظِيرُكَ، أي: مثلك؛ لأنه إذا نُظِرَ إليهما النَّاظِرُ رآهما^(٢).

المعنى الاصطلاحي:

- أولاً: المعنى في الاستعمال اللغوي:

ذكر السيوطي^(٣) في "الفتاوى النحوية" الفرقَ بين المِثْلِ والشَّيْبَةِ والنَّظِيرِ فقال: "المِثْلُ أَخَصُّ الثلاثة، والشَّيْبَةُ أَعَمُّ من المِثْلِ وأَخَصُّ من النَظِيرِ، والنَظِيرُ أَعَمُّ من الشَّيْبَةِ، وبيان ذلك: أنَّ المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة، والمِثْلُ لا تستلزم المماثلة، فلا يلزم أن يكون شَبَهُ الشيء مِمَّاثِلًا له، والنَّظِيرُ قد لا يكون مشابهًا، وحاصلُ هذا الفرقُ أنَّ المماثلة تقتضي المساواة من كلِّ وَجْهٍ، والمِثْلُ تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤٤٤ / ٥) مادة "نظر".

(٢) لسان العرب: (٤٤٦٧) مادة "نظر".

(٣) العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ الهمام الخضيرى السيوطى المصري الشافعي، صنف نحو ستمئة كتاباً، منها: الدرر المنتور في التفسير بالمأثور اثني عشر مجلداً وتناسق الدرر في تناسب السور وحاشية على البيضاوي، الإكليل في استنباط التنزيل، والإتقان في علوم القرآن. توفي سنة إحدى عشرة وتسعمئة. [النور السافر: (١ / ٥١)]

كلّها، والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهاً واحداً، يقال: هذا نظير هذا في كذا، وإن خالفه في سائر جهاته، وأمّا اللّغويون فإنهم جعلوا المثل والشّبيه والنّظير بمعنى واحد^(١).

- المعنى في اصطلاح الباحثين في أصول الفقه:

ذكر الباحثون في أصول الفقه تعاريف عدّة للنظائر، واقرن هذا المصطلح مع مصطلح الأشباه، من هذه التعاريف: الأشباه والنظائر: "هي المسائل التي تُشبه بعضها بعضاً، مع اختلافها في الحكم لأمرٍ خفيّة أدركها الفقهاء بدقّة نظرهم"^(٢).

- المعنى في علوم القرآن:

"أن تكون الكلمة الواحدة ذُكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظٍ واحدٍ، وحركةٍ واحدةٍ، وأريدَ بكلّ مكانٍ معنىً واحدٌ"^(٣).

وذكر الزركشي أنّ النظائر في علوم القرآن هي: "الألفاظ المتواطئة"^(٤) ^(٥).

- المعنى عند الإمام الرازي: التعريف الذي اخترته بعد تتبّع الأمثلة الكثيرة التي ذكرها في تفسيره:

"تشابه الآية المفسّرة مع الآية المفسّر بها بوجهٍ من الوجوه، سواءً في المعنى، أم في الأسلوب، أم في وجه الإعراب، أم في البلاغة، أم في الغرض من القصّة".

(١) الحاوي للفتاوي: (٢/ ٢٧٣).

(٢) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر: (١/ ٣٨).

(٣) إتيان البرهان في علوم القرآن: (٢/ ٢٣٤).

(٤) المتواطىء: "إن اتحد المعنى في أفرادهِ سَمِيَ كلياً". ومعنى التواطؤ: التوافق: وهو نسبة وجود معنى كلي في أفرادهِ، وذلك حينما يكون وجودُهُ في الأفراد متوافقاً غير متفاوت، نظراً إلى المفهوم الذي وضع له اللفظ الكليّ. [ينظر: حاشية الدمنهوري على السلم بتحقيق عبد السلام شنار: (٣٧)].

(٥) البرهان في علوم القرآن: (١/ ١٠٢).

وهذا المعنى لا يختلف مع المعنى اللغوي الذي يُستفاد منه معنى التماثل أو التشابه، ولا مع المعنى الذي ذكره السيوطي في فتاويه، ولا مع المعنى الأصولي لكنَّ كلَّ في مجاله. أمَّا التعريف الذي ذُكر للنظائر في كتب علوم القرآن فليس مراداً عند الإمام الرازي حين يذكر النظائر خلال تفسيره القرآن بالقرآن؛ لأنَّ المعنى الذي ذكره يقتصر على دراسة تعدّد دلالة المفردات، وهنا لم يقتصر الإمام على المفردات.

المطلب الثاني: أنواع التفسير بالنظائر في تفسير الإمام الرازي:

أولاً: التفسير بالاستدلال بالنظائر:

وذلك بأن يفسّر الآية ثم يذكر ما يدلّ على المعنى الذي ذكره من النظائر من الآيات القرآنية.

(١) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْتَّكْوِينِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]:

قال الإمام الرازي: " المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ : فيه قولان الأول: إنّ إنفاقهم في سبيل الله لا يضيع، بل ثوابه مؤفّر عليهم يوم القيامة، لا يخافون من أن لا يوجد، ولا يحزنون بسبب أن لا يوجد، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه]:

[١١٢]، والثاني: أن يكون المراد: أنّهم يوم القيامة لا يخافون العذاب البتّة، كما قال: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، وقال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ^(١).

فذكر لسبب خوف المؤمنين معنيين، وأيد كلَّ معنى بآيات تقوي استدلاله، وربط في هذا الاستدلال بين الآيات بأداة التشبيه "الكاف" ممّا يدلّ على أن هذه الآيات نظائر لبعضها البعض.

(١) مفاتيح الغيب: (٤٨ / ٧).

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] قال: "اعلم أن كمال العذاب هو: أن يزول عنه كل ما كان منتفعاً به، ثم يجتمع عليه جميع الأسباب المؤلمة؛ أمّا الأول: فهو المراد بقوله: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾؛ وذلك لأنّ المرء عند الخطوب والنوائب في الدنيا، يفرّغ إلى المال والولد، فهما أقرب الأمور التي يفرّغ المرء إليها في دفع الخطوب، فيبين الله تعالى أنّ صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا؛ لأنّ أقرب الطُّرُق إلى دفع المضارّ إذا لم يتأتّ في ذلك اليوم فما عداه بالتّعذّر أولى، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقوله: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. وأمّا القسم الثاني: من أسباب كمال العذاب، فهو أن يجتمع عليه الأسباب المؤلمة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ وهذا هو النهاية في شرح العذاب؛ فإنّه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس" (١).

فهنا ذكر أن المراد بأن لا تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم أنّه إبعاد للنعم عنهم، واستدلّ لهذا المعنى بنظائر لهذه الآية تقوي المعنى وتؤيده.

(١) مفاتيح الغيب: (٧/ ١٨٥).

ثانياً: النظائر في الحروف، والمفردات، والآيات:

ولهذا النوع من التفسير بالنظائر صورٌ عدة:

أ- الاستدلال بالنظائر في الحروف:

المقصود أن يستدل الإمام الرازي على معنى حرفٍ من حروف المعاني الواردة في القرآن الكريم بورود الحرف في آياتٍ أخرى بالمعنى ذاته، ومن الأمثلة التي وردت لهذا القسم ما يأتي:

- في تفسير آيتي سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] و﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓءَاذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]:

ذكر الإمام الرازي سؤالاً عن سبب عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف "أو" الذي يفيد الشك؟ ثم ذكر الجواب من وجوه: "أحدها: أن "أو" في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها، فاستعيرت للتساوي في غير الشك كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين؛ تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالس أيهما شئت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ أَيْثُمَا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]؛ أي: أن الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما، فكذا قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ معناه: أن كيفية المنافقين شبيهة بكيفيتي هاتين القصتين، فبأيتهما مثلتها فأنت مُصِيبٌ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك، وثانيها: إنما ذكر تعالى ذلك؛ لأنَّ المنافقين قسمان: بعضهم يشبهون أصحاب النار، وبعضهم يشبهون أصحاب المطر، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، وثالثها: "أو" بمعنى بل؛ قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾

[الصفات: ١٤٧]، ورابعها: "أو" بمعنى الواو كأنه قال: وَكَصِيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ، نظيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى

الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١] ^(١).

فيلاحظ في هذا المثال كيف أنّ الإمام الرازي ذكر للحرف "أو" أربعة معانٍ واستدلّ لصحة كلّ معنى بنظائر من آيات القرآن الكريم.

- وفي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى

وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]:

ذكر الإمام الرازي أنّ "الألف واللام في قوله ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ للمعهود السابق، وهو: شهر

رمضان، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾ [النور: ١٣]؛ أي فإذا لم يأتوا

بالشهداء الأربعة ^(٢).

استدلّ الإمام الرازي على أنّ معنى "أل" هنا هو العهد؛ لأنّ ذلك ورد في آية مناظرة لها، حيث إنّ المراد في هذه الآية هو: ألا يُعاد الكلام، فيقال: فمن شهد منكم شهر رمضان، وفي الآية المناظرة كذلك.

ب- الاستدلال بالنظائر في الكلمات أو المفردات:

وذلك بأنّ يستدلّ الإمام الرازي على معنى مفردة في آية قرآنية بمفردة أخرى من آيات أخرى في القرآن الكريم. ومن أمثلة هذا القسم ما يأتي:

١- في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

(١) مفاتيح الغيب: (٧٨/٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (٩٧/٥).

ذكر الإمام الرازي: "أنه سبحانه وتعالى ذكر هاهنا أنه جعل الأرض فراشاً، ونظيره قوله: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَدًا﴾ [النمل: ٦١]، وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ طه: ٥٣]" (١).

استدلّ على تفسير كلمة "فِرَاشاً" بوردها في آيات أخرى على أنها "قرار" أي موضع للاستقرار، وأنها مَهْدٌ كذلك، فتفهم كلمة "فِرَاشاً" على ضوء تلك الكلمات، ويفسّر بعضها بعضاً.

٢- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧]:

قال: "إن معنى "قَفَّيْنَا" أَتْبَعْنَا، مأخوذٌ من الشيء يأتي في قفاه الشيء؛ أي: بعد نحو ذنبه من الذنب، ونظيره قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]" (٢).

استدلّ الإمام الرازي على المعنى الذي ذكره لكلمة "قَفَّيْنَا" بنظير هذه الآية وهو إرسال رسل تترأ، أي بعضهم إثر بعض.

ج- الاستدلال بالنظائر في الآيات القرآنية:

بعد أن ذكرتُ في القسمين السابقين تفسير الإمام للحرف بحرفٍ مناظر له في آيةٍ أخرى، والثاني: تفسيرُ كلمةٍ بكلمةٍ مناظرة لها في آيةٍ أخرى، فهنا سأبين تفسيره للآية بآيةٍ أخرى مناظرة لها في المعنى الكلّي:

من أمثلة استدلال الإمام الرازي بالنظائر في المعاني الكلية الآيات التي تتوافق في المعنى في كتاب الله ﷻ:

- في قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَهِيمٌ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]:

(١) مفاتيح الغيب: (١٠٢/٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٧٦/٣).

قال الإمام الرازي: " قال تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ وهذه الآية نظائر منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال إبراهيم: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] وقال تعالى: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَاَمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤] ^(١) .

فالمعنى الكلّي للآية موضع التفسير مطابق لهذه النظائر التي ساقها الإمام الرازي في استدلاله، حيث إنّ المعنى أصبح أكثر تأكيداً؛ لأنّ الآية واضحة في ذاتها، فالحاجة هنا إلى آيات تعزّز المعنى الظاهر المفهوم وتقويه.

- ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

قال الإمام الرازي: " هذه الآية لها نظائر منها: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠]، ومنها قوله: ﴿ وَلَا يَرَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، ومنها قوله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤١]، ومنها قوله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۚ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ﴾ [٢٣] وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ۚ ﴿ ٢٤ ﴾ تَنْظُرُونَ أَن يَقَعَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۚ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥]، ومنها قوله: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤]، ومنها قوله: ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١] ^(٢) .

إحالة الإمام الرازي هنا إلى نظائر الآية ليذكر القارئ أنّ المقصود ليس هو السواد كلون حقيقي، بل كناية عن سوء الحال، وهذه النظائر التي ذكرها الإمام الرازي تعطي صورةً كلّيةً لحال وجوه الكافرين، حيث

(١) مفاتيح الغيب: (٨ / ١٦١).

(٢) مفاتيح الغيب: (٨ / ١٨٥).

تتعدّد بين الذلّ والقتر، والسواد، والبسر، والغبرة، ولحال وجوه المؤمنين في البياض، والضحك، والبشر، والنضارة، ومن حيث الجملة فالمعنى الكليّ لهذه الآيات واحد، وقد يكون ما ذكره الإمام الرازي حالةً للقارئ لأنّ يراجع تفسير هذه الآيات المناظرة للآية، لتكوّن لديه جميع تفاصيل موضوع حال وجوه الكافرين يوم القيامة.

ثالثاً: النظائر في الأسلوب:

معنى أسلوب القرآن الكريم: " طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه " (١). ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإنّ لكلّ كلام بشري أسلوبه الخاص، والقرآن وهو كلام الله أولى بأن يكون له أسلوب رفيع منقطع النظير.

وقد استدلل الإمام الرازي في تفسيره بأسلوب الآيات القرآنية، بأن يختار عند التفسير المعاني المناظرة من القرآن بما يحافظ على علو أسلوب القرآن الكريم ونظمه.. ومن أمثلة ذلك:

١ - قال الإمام الرازي في تفسير سورة الفاتحة: " إنّه تعالى ذكّر في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة: الله، والربّ، والرحمن، والرحيم، والمالك؛ والسبب فيه كأنّه يقول: خلقتك أولاً فأنا إله، ثم ربّيتك بوجوه النعم فأنا ربّ، ثم عصيت فسرت عليك فأنا رحمن، ثم ثبت فغفرت لك فأنا رحيم، ثم لا بدّ من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين. فإن قيل: إنّه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية مرة واحدة، وفي السورة مرة ثانية، فالتكرير فيهما حاصلٌ وغير حاصلٍ في الأسماء الثلاثة، فما الحكمة؟ قلنا: التقدير كأنّه قيل: اذكر أنّي إله وربّ مرة واحدة، واذكر أنّي رحمن رحيم مرّتين، لتعلم أنّ العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور، ثم لما بيّن

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: (٣٠٣/٢).

الرحمة المضاعفة، فكأنه قال: لا تغتروا بذلك فإني مالك يوم الدين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣] ^(١).

فيلاحظ هنا كيف لفت النظر إلى نظم سورة الفاتحة، ثم ربط بين أسلوبها في النظم وبين أسلوب نظم نظيرتها وهي آية سورة غافر، لما بينهما من تناظرٍ في الأسلوب وترتيب المعاني.

٢- وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣]:

"المراد من كلمة "لولا" معنى "هلا" من كلمات التحضيض، وهي أربع كلمات: "لولا" و"لوما" و"هلا" و"ألا"، ويمكن أن يقال: أصل الكلمات "لم لا؟" على السؤال، كما يقول القائل: إِنَّ كُنْتَ صَادِقًا فَلِمَ لَا يَظْهَرُ صَدَقُكَ؟ ثم إننا قلنا: الأصل "لم لا" لكونه استفهاماً، فأشبهه قولنا "هلا"، ثم إن الاستفهام تارة يكون عن وجود شيء، وأخرى عن سبب وجوده، فيقال: هل جاء زيد؟ ولم جاء؟ والاستفهام بـ"هل" قبل الاستفهام بـ"لم". ثم إن الاستفهام قد يستعمل للإنكار، وهو كثير، ومنه قوله تعالى ها هنا: ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ [الواقعة: ٨١]، وقوله: ﴿ أُنْذِرُكُمْ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَبِكَا إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٦]، ونظائرها كثيرة" ^(٢).

فهنا ذكر نظائر قرآنية جاء فيها أسلوب الاستفهام للإنكار بنوعيه: إنكار الفعل، وإنكار سبب الفعل.

رابعاً: النظائر في القصص القرآني:

في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]:

(١) مفاتيح الغيب: (٢٤١/١ - ٢٤٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٩٨/٢٩)، وهذا المثال من الموضع المشكوك في نسبته للإمام الرازي.

قال الإمام الرازي: "واعلم أن هذه القصة شبيهة بقصة نوح عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] فأجابهم نوح عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٢) ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ﴾ (١١٣) [الشعراء: ١١٢ - ١١٣] وعنوا بقولهم: "الأرذلون" الحاكّة والمحترفين بالحرف الحسيّة، فكذلك ها هنا" (١).

استدلّ الإمام الرازي في هذا المثال على أنه قد جرّت عادة المستكبرين عن اتباع الحقّ من الأقوام أن يتّهموا أتباع الأنبياء بأنهم دونهم في المكانة، وذلك بالاستفادة من نظائر هذه الآية الواردة في موقف الأقوام من أنبيائهم.

خامساً: نظائر في البلاغة:

١ - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]:

قال الإمام الرازي: "لقائل أن يقول: الأكل لا يكون إلا في البطن، فما فائدة قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾؟

وجوابه: أنه كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، والقول لا يكون إلا بالفم، وقال: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والقلب لا يكون إلا في الصدر، وقال: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والطيران لا يكون إلا بالجنّاح، والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة" (٢).

(١) مفاتيح الغيب: (١٢/ ٢٣٧).

(٢) مفاتيح الغيب: (٩/ ٢٠١).

فاستدلّ الإمام بنظائر هذه الآية على أنّ المراد من ذكر البطون مع الأكل هو التأكيد والمبالغة، كما ذكر القول مع الفم، والصدر مع القلب، والجناح مع الطيران. فهذا بيان الإظهار في موضع الإضمار في الآيات.

٢- في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]:

ذكر الإمام الرازي في تفسير الآية قولين، ورجّح القول الثاني وهو: "أنه تعالى أخرج الذرية، وهم الأولاد، من أصلاب آبائهم، وذلك الإخراج أنّهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة، ثم جعلهم بشراً سوياً، وخلقاً كاملاً، ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا: بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في الكلام^(١)، فوجب حمل الكلام عليه^(٢).

استدلّ الإمام الرازي للمعنى الذي ذكره وهو أن إشهاد الله تعالى للناس عظمة خلقهم دليل على أنّهم قد شهدوا على وحدانيته وأقرّوا بها، وإن لم يكن قد حصل نطق باللسان -أي: بالمعنى الحقيقي-، بما ورد في إقرار السماوات والأرض وهي مخلوقات لا تتكلّم، فإذا كان المعنى بالنسبة إلى السماوات مجازاً، فكذلك المقصود في هذه الآية هو المجاز.

(١) المجاز هو ما استعمل في غير ما وُضع له، وله نوعان، المجاز المرسل، والاستعارة، وهي: استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمّى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً. [ينظر: الإيضاح: (٢٥٤)]

(٢) مفاتيح الغيب: (٥٠ / ١٥).

في قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١]:

قال الإمام الرازي: "في قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ وجوه: الأول: على مذهب من يقول من العرب: "أكلوني البراغيث" ^(١)، والثاني: أن يكون: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدلاً عن الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾، والإبدال كثير في القرآن؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧] وقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وهذا الإبدال هاهنا في غاية الحسن؛ لأنه لو قال: عموا وصموا، لأوهم ذلك أن كلهم صاروا كذلك، فلما قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ دلّ على أن ذلك حاصلٌ للأكثر لا للكل، الثالث: أن قوله: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، والتقدير: هم كثيرٌ منهم" ^(٢).

فهنا استدل الإمام الرازي بالنظائر من الآيات على صحة أن يكون الإعراب بدلاً، ورّجحه على الأعراب الأخرى لما ذكر من مزيّته.

(١) إذا أُسِنِدَ الفعل إلى الفاعل الظاهر، فالمشهور تجريده من علامة التثنية والجمع، نحو: قام الزيدان، وقام الزيدون، وقامت الهندات، ومن العرب من يلحقه الألف والواو والنون على أنها حروفٌ دوالّ كناء التانيث لا ضمائر، وهذه اللغة يسميها النحويون "لغة أكلوني البراغيث"، ومنها قول الشاعر: وقد أسلماه مبعدٌ وحميم. [جمع الهوامع: (١/ ٥١٣)، ويُنظر: الكتاب: (٢/ ٤٠)].

(٢) مفاتيح الغيب: (١٢/ ٥٨).

الفصل الرابع:

السياق القرآني:

وفيه مباحث هي:

- المبحث الأول: وظائف السياق:

- المطلب الأول: بيان المعاني:
- المطلب الثاني: الترجيح:
- المطلب الثالث: الكشف عن مقاصد الآيات القرآنية:

- المبحث الثاني: أنواع السياق:

- المطلب الأول: سياق الآية:
- المطلب الثاني: سياق المقطع:
- المطلب الثالث: سياق السورة:
- المطلب الرابع: سياق القرآن الكريم.

- المبحث الثالث: صلة السياق بالنظم عند الإمام الرازي:

- المطلب الأول: تعريف النظم في اللغة والاصطلاح:
- المطلب الثاني: العلاقة بين النظم والسياق والفرق بينهما:
- المطلب الثاني: دور النظم وصلته بالسياق في تفسير الإمام الرازي:

المبحث الأول:

وظائف السياق في تفسير الإمام الرازي

تقدم في الفصل الأول من هذه الدراسة، في أسس تفسير القرآن بالقرآن، تعريف السياق، وبيان صلته بتفسير القرآن بالقرآن.

ومن خلال استقراء التفسير الكبير للإمام الرازي تبين أن للسياق ثلاث مهام رئيسية في تفسيره وهي:

١- بيان المعاني:

٢- الترجيح:

٣- الكشف عن مقاصد الآيات القرآنية:

وسوف تتبين هذه الوظائف من خلال الشرح والأمثلة المأخوذة من التفسير:

المطلب الأول: بيان المعاني:

للسياق مهمة أساسية في تبين المعنى لما ذكر من قبل من أهمية السياق وسبب الاهتمام به، ويظهر ذلك جلياً في التفسير حيث إنه مصدر أساسي في معرفة المعنى المقصود.

الأمثلة:

- ١ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَغَدِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِنَ تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ﴾ الآية [البقرة: ١٩٦] ذكر الإمام قول الإمام الشافعي رحمه الله: إن دم التمتع دم جبران الإساءة؛ فلا يجوز له أن يأكل

منه، ثم قال: "وإذا عرفت صحة ما ذكرنا، فنقول: إن الله تعالى ألزم المكلف إتمام الحج في قوله: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وقد دللنا على أن حج التمتع غير تام، فلهذا قال تعالى: ﴿فَنَ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾؛ وذلك لأن تمتعكم يوقع نقصاً في حجتكم، فاجبروه بالهدي؛ لتكمل به حجتكم، فهذا معني حسن مفهوم من سياق الآية، وهو لا يتقرر إلا على مذهب الشافعي رحمه الله" (١).

فقوله "هذا معنى حسن مفهوم من سياق الآية" يدل على أن للسياق دور بارز في تبين معنى الآية.

٢- قال الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ

مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢-٨٣]

"في (الأمر) وجهان: الأول: أن المراد من هذا الأمر ما هو ضد النهي، ويدل عليه وجوه: الأول: أن لفظ الأمر حقيقة في هذا المعنى، مجاز في غيره دفعاً للاشتراك. الثاني: أن الأمر لا يمكن حمله ها هنا على العذاب؛ وذلك لأنه تعالى قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا﴾، وهذا الجعل هو العذاب، فدللت هذه الآية على أن هذا الأمر شرط، والعذاب جزاء، والشرط غير الجزاء، فهذا الأمر غير العذاب، وكل من قال بذلك قال: إنه هو الأمر الذي هو ضد النهي. والثالث: أنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]، فدل هذا على أنهم كانوا مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب إلى قوم لوط، وبإيصال هذا العذاب إليهم.

إذا عرفت هذا فنقول: إنه تعالى أمر جمعاً من الملائكة بأن يخربوا تلك المدائن في وقت معين، فلما جاء ذلك الوقت، أقدموا على ذلك العمل، فكان قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إشارة إلى ذلك التكليف" (٢).

فقول الإمام الرازي "أنه تعالى قال قبل الآية... فدل على أنهم.." يدل على أن سياق هذه الآية ساعد في تفسير معنى الأمر بأنه الذي ضد النهي.

(١) مفاتيح الغيب: (١٦٩/٥).

(٢) مفاتيح الغيب: (٣٧/١٨).

٣- قال الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]:
 "وفي الآية قولٌ خامسٌ وهو: أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ خطابٌ مع الكفار في ابتداء التبليغ، وليس خطاباً مع المسلمين، وهذا قولٌ حسنٌ مناسبٌ، وتقديره: أن الله تعالى حكى قبل هذه الآية أن أقواماً من الكفار يطلبون آياتٍ مخصوصةً، ومعجزاتٍ مخصوصةً، فإذا كان النبي ﷺ لا يأتيهم بها قالوا: لولا اجتبيتها، فأمر الله رسوله أن يقول جواباً عن كلامهم: إنه ليس لي أن أقترح على ربِّي، وليس لي إلا أن أنتظر الوحي، ثم بيّن تعالى أن النبي ﷺ إنما ترك الإتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها في صحّة النبوة؛ لأنّ القرآن معجزةٌ تامّةٌ كافيةٌ في إثبات النبوة، وعبر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، فلو قلنا: إن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ المراد منه: قراءة المأموم خلف الإمام، لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلّقٌ بوجهٍ من الوجوه، وانقطع النظم، وحصل فساد الترتيب، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى، فوجب أن يكون المراد منه شيئاً آخر سوى هذا الوجه، وتقديره: أنه لما ادّعى كون القرآن بصائرٌ وهدىً ورحمةً؛ من حيث إنه معجزةٌ دالةٌ على صدق محمد ﷺ، وكونه كذلك لا يظهر إلا بشرطٍ مخصوصٍ، وهو: أن النبي ﷺ إذا قرأ القرآن على أولئك الكفار استمعوا له، وأنصتوا حتى يقفوا على فصاحته، ويحيطوا بما فيه من العلوم الكثيرة، فحينئذٍ يظهر لهم كونه معجزاً دالّاً على صدق محمد ﷺ، فيستعينوا بهذا القرآن على طلب سائر المعجزات، ويظهر لهم صدق قوله في صفة القرآن: إنه بصائرٌ وهدىً ورحمةٌ، فثبت أننا إذا حملنا الآية على هذا الوجه استقام النظم، وحصل الترتيب الحسن المفيد، ولو حملنا الآية على منع المأموم من القراءة خلف الإمام^(١)، فسد النظم واختلّ الترتيب، فثبت أن حمله على ما ذكرناه أولاً، وإذا ثبت هذا ظهر أن قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ خطابٌ مع الكفار عند قراءة الرسول ﷺ عليهم القرآن في معرض الاحتجاج بكونه معجزاً على صدق نبوته ﷺ، وعند هذا يسقط استدلال الخصوم بهذه الآية

(١) وهو مذهب الحنفية، يُنظر: رد المحتار: (١/ ٥٣٢).

من كل الوجوه، ومما يقوي أن حمل الآية على ما ذكرناه أولى وجوه، منها: أنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَذَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فحكم تعالى بكون هذا القرآن رحمة للمؤمنين على سبيل القطع والجزم، ثم قال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، ولو كان المخاطبون بقوله: ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ هم المؤمنون لما قال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ؛ لأنه تعالى جزم قبل هذه الآية بكون القرآن رحمة للمؤمنين قطعاً، فكيف يقول بعده من غير فصل: لعل استماع القرآن يكون رحمة للمؤمنين؟ أما إذا قلنا إن المخاطبين بقوله: ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ هم الكافرون صحَّ حينئذٍ قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ؛ لأن المعنى فاستمعوا له وأنصتوا؛ فلعلكم تطلعون على ما فيه من دلائل الإعجاز، فتؤمنوا بالرسول ﷺ فتصيروا مرحومين، فثبت أننا لو حملناه على ما قلناه حسن قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، ولو قلنا إن الخطاب خطابٌ مع المؤمنين لم يحسن ذكر لفظ (لعل) فيه، فثبت أن حمل الآية على التأويل الذي ذكرناه أولى ^(١).

المطلب الثاني : الترجيح:

يستخدم الإمام الرازي السياق في الترجيح واختيار المعنى الأكثر ملاءمةً لما يدل عليه سياق الآيات، ومن صور الترجيح بالسياق:

(١) ترجيح وجه من وجوه التفسير لمراعاة انتظام الآية بما قبلها، ورفضه رأياً لجمهور المفسرين:

قال الإمام الرازي: "فأما قوله تعالى ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فالذي عندي فيه والله أعلم: أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يُزيل الحزن عن قلب رسوله ﷺ من الدلائل العقلية، ومن أخبار الأنبياء المتقدمين، ثم ذكر الدلائل على نبوته ﷺ، ثم ذكر سؤال المشركين في تسميتهم محمداً ﷺ تارةً بالكاهن، وتارةً بالشاعر، ثم إنه تعالى بيّن الفرق بينه وبين الكاهن أولاً، ثم بيّن الفرق بينه وبين الشاعر ثانياً، ثم ختم

(١) مفاتيح الغيب: (١٥/١٠٤).

السورة بهذا التهديد العظيم، يعني: إن الذين ظلموا أنفسهم، وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات والتأمل في هذه البينات، فإنهم سيعلمون بعد ذلك أيّ منقلب ينقلبون. وقال الجمهور: المراد منه الزجر عن الطريقة التي وصف الله بها هؤلاء الشعراء، والأول أقرب إلى نظم السورة من أولها إلى آخرها والله أعلم^(١).

فيلاحظ أن الإمام الرازي استدلل هنا بما يدل عليه سياق السورة مرجحاً ذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين في تفسير الآية، حيث اختار أن التهديد هنا للكفار، بينما اختار الجمهور أن التهديد لمن ظلم من الشعراء.

(٢) ترجيحه لما يدل عليه النظم على ما يدل عليه سبب النزول:

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]:

"نقلوا في سبب نزول هذه الآية أن الكفار لأجل التعنت قالوا: لو نزل القرآن بلغة العجم، فنزلت هذه الآية. وعندي أن أمثال هذه الكلمات فيها حيفٌ عظيم على القرآن؛ لأنه يقتضي ورود آياتٍ لا تعلق للبعض فيها بالبعض، وأنه يوجب أعظم أنواع الطعن، فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتاباً منتظماً، فضلاً عن ادعاء كونه معجزاً؟ بل الحقّ عندي: أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلامٌ واحدٌ؛ على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥]، وهذا الكلام أيضاً متعلق به وجوابٌ له، والتقدير: أننا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم، لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب؟ ويصحّ لهم أن يقولوا: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: من هذا الكلام ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ لأننا لا نفهمه، ولا نحيط بمعناه. أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبألفاظهم، وأنتم من أهل هذه اللغة، فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم في أكِنَّةٍ منها؟ وفي آذانكم وَقْرٌ منها؟ فظهر أننا إذا جعلنا

(١) مفاتيح الغيب: (١٧٦/٢٤).

هذا الكلام جواباً عن ذلك الكلام بقيت السورة من أولها إلى آخرها على أحسن وجوه النظم، وأما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيبٌ جداً^(١).

ردّ الإمام الرّازي سبب النزول ورجّح عليه ما دلّ عليه سياق السورة، من أنّ هذا الكلام ليس ردّاً على طلب العرب أن يكون القرآن أعجمياً، بل هو تشنيعٌ عليهم بأنّ القرآن نزل بلغتهم وهم معرضون عنه.

وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

ذكر في سبب نزول هذه الآية أقوالاً، وردّ ما يخالف سياق الآيات قال: "القول الثاني: أنّها نزلت في واقعة أخرى، وهي أنّ النبي ﷺ بعث جمعاً من خيار أصحابه إلى أهل بئر معونة ليعلموهم القرآن، فذهب إليهم عامر بن الطفيل مع عسكره وأخذهم وقتلهم، فجزع من ذلك الرسول ﷺ جزعاً شديداً، ودعا على الكفار أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية^(٢)، وهو بعيد؛ لأنّ أكثر العلماء اتفقوا على أنّ هذه الآية في قصة أحد، وسياق الكلام يدلّ عليه، وإلقاء قصة أجنبية عن أول الكلام وآخره غير لائق^(٣).

ردّ سبب النزول الذي يدلّ على أنّ الآية نزلت في حادثة بئر معونة، بل هي في غزوة أحد، وهذا ما دلّ عليه سياق الآيات.

(٣) ترجيحه لوجه نحويّ على آخر محافظة على النظم:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] قال الإمام الرّازي: "كثيرٌ من المفسّرين زعموا أنّ جواب "لو" محذوفٌ وذكروا فيه وجوهاً، وعندي أنّ الجواب غير محذوفٍ وفي تقريره وجوه، أحدها: أن الله تعالى إذا خاطبهم بقوله: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ فيها هنا يشتدّ الخوف

(١) مفاتيح الغيب: (١٣٣/٢٧).

(٢) هذا السبب ذكره الثعلبي، عن مقاتل: (١٤٧/٣).

(٣) مفاتيح الغيب: (٢٣٢/٨).

عليهم، ويلحقهم شيء كالسدر^(١) والدُّوار، ويصيرون بحيث لا يبصرون شيئاً، فقال تعالى لهم: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ شيئاً، أما لما صاروا من شِدَّةِ الخوف بحيث لا يبصرون شيئاً، لا جَرَمَ ما رأوا العذاب. وثانيها: أنه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهي الأصنام أنهم لا يجيئون الذين دعوهم، قال في حقهم: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ أي: هذه الأصنام كانوا يشاهدون العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين، ولكنها ليست كذلك، فلا جَرَمَ ما رأت العذاب. فإن قيل: قوله: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ ضميرٌ لا يليق إلا بالعقلاء، فكيف يصح عوده إلى الأصنام؟ قلنا: هذا كقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٢]، وإنما ورد ذلك على حَسَبِ اعتقاد القوم، فكذا هاهنا. وثالثها: أن يكون المراد من الرؤية رؤية القلب، أي: والكفار علموا حقيقة هذا العذاب في الدنيا، لو كانوا يهتدون. وهذه الوجوه عندي خيرٌ من الوجوه المبنية على أن جواب "لو" محذوفٌ؛ فإن ذلك يقتضي تفكيك النظم من الآية^(٢).

فها هنا استدللّ بسياق الآية على أن جواب "لو" غير محذوف، كما يظهر في الوجه الأول، حفاظاً على اتصال السياق.

المطلب الثالث: الكشف عن مقاصد الآيات القرآنية:

إنّ التدبّر في السياق الذي سبقت فيه الآيات، وتعميق النظر، والتفكر في ترتيب الألفاظ والمعاني في نظم الآية أو الآيات، يُرشد إلى معنىٍّ أعمّ وأوسع تنضوي تحته المعاني الجزئية في السياق أو النظم، وهذا المعنى العامّ الواسع هو المقصد من الآية أو الحكمة منها، وهذا التدبّر والتأمل يوجبه استحالة أن تكون الآية أو

(١) سدر بصره إذا تحير فلم يحسن الإدراك. [يُنظر: أساس البلاغة : سدر: (١/٤٤٥)].

(٢) مفاتيح الغيب: (٨/٢٥).

الآيات مفككة لا رابط بين معانيها وألفاظها، مما يدعو المفسر للاجتهاد لمعرفة هذا المعنى الخفي الواسع الذي هو الحكمة والمقصد من الآية أو الآيات، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا لذي بصيرة وكفاءة^(١).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير الإمام الرازي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] قال: "واعلم أننا إن قلنا: إن المقصود من الآية المتقدمة إقامة الدليل على وجود الصانع القادر المختار، قلنا: المقصود من هذه الآية بيان كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، فإن الآيتين المتقدمتين تدلان على كمال القدرة، وهذه الآية تدل على كمال العلم، وحينئذ يكمل العلم بالصفات المعبرة في حصول الإلهية. وإن قلنا: المقصود من الآية المتقدمة إقامة الدلالة على صحة المعاد، فالمقصود من هذه الآية: تكميل ذلك البيان؛ وذلك لأن منكري المعاد إنما أنكروه لأمرين، أحدهما: أنهم يعتقدون أن المؤثر في حدوث بدن الإنسان هو امتزاج الطباع، وينكرون أن يكون المؤثر فيه قادراً مختاراً. والثاني: أنهم يسلّمون ذلك، إلا أنهم يقولون: إنه غير عالم بالجزئيات، فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي، ولا تمييز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو، ثم إنه تعالى أثبت بالآيتين المتقدمتين كونه تعالى قادراً ومختاراً لا علة موجبة، وأثبت بهذه الآية كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، وحينئذ تبطل جميع الشبهات التي عليها مدار القول بإنكار المعاد وصحة الحشر والنشر"^(٢).

استفاد الإمام من النظر في المقطع الذي وردت فيه الآية وبالأخص ما سبقها من الآيات لتحديد المقصد منها، واستفاد من ذلك مقصدين للآية تم اختيارهما بحسب المعنى المختار في الآيات السابقة.

(١) يُنظر: دلائل النظام: (٢٨).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٥٤/١٢).

المبحث الثاني :

أنواع السياق القرآني

وَرَدَ في تفسير الإمام الرازي استدلالٌ بالسياق القرآني في مواضع كثيرة، وللسياق القرآني أنواعٌ ثلاثةٌ^(١):

النوع الأول: سياق الآية:

النوع الثاني: سياق المقطع القرآني:

النوع الثالث: سياق السورة القرآنية:

وفي المطالب الآتية شرح وبيان لهذه الأنواع:

المطلب الأول: النوع الأول: سياق الآية:

الاستدلال بسياق الآية موضع التفسير وظيفته من وظائف السياق التي سبق أن ذكرناها.

وقد رجَّح الإمام الرازي المعنى الذي يوافق سياق الآية في تفسير كلمةٍ من الكلمات الواردة فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَرَيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] فذكر أنَّ المقصود من قوله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: التوراة "وهذا هو الأقرب لوجهين، الأول: أنَّ النَّبْدَ لَا يُعْقَلُ إِلَّا فِيهَا تَمَسَّكُوا بِهِ أَوَّلًا، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، فَلَا يُقَالُ: إِنَّهُمْ نَبَذُوهُ، الثَّانِي: أَنَّهُ قَالَ: ﴿بَدَّ وَرَيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنَ، لَمْ يَكُنْ لِتَخْصِصِ الْفَرِيقِ مَعْنًى؛ لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَصِحُّ نَبَذُهُمُ التَّوْرَةَ وَهُمْ

(١) اصطلاح عددٌ من الباحثين المعاصرين الذين ألفوا دراساتٍ متخصصةً حول دلالة السياق القرآني على تقسيم السياق إلى هذه الأنواع، وقمْتُ بهذا التقسيم لموافقة لما وجدته من صنيع الإمام الرازي، فبيَّرتُ في هذا المبحث بما يوافق هذه التقسيمات. يُنظر: السياق القرآني وأثره في التفسير "ابن كثير نموذجاً"، السياق القرآني وأثره في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام.

يتمسكون به؟ قلنا: إذا كان يدلّ على نبوة محمد ﷺ لما فيه من النّعت والصفة، وفيه وجوب الإيمان، ثم عدلوا عنه، كانوا نابذين للتوراة" (١).

فلاحظ أن الإمام الرازي رجّح المعنى الدال على أنّ المقصود هو التوراة؛ لأنّه هو الموافق للسياق.

✽ المطلب الثاني: النوع الثاني: الاستدلال بسياق المقطع: ✽

المقصود بالمقطع: مجموعة الآيات القرآنية المتجاورة في مكانها في السورة التي تتحد في موضوعها.

وفي هذا النوع يرجّح الإمام المعنى الذي يوافق ما جاء في الآيات الواردة في المقطع الواحد، ولا يختار معنى مخالفاً لمعاني المقطع؛ لأنه يؤدي إلى انقطاع السياق أو النظم.

وسأطيل في المثال الذي سأورده في هذا النوع؛ لأن بيان عمل الإمام الرازي لا يتم إلا بذلك.

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُطْلِقُ مَرَّتَانٍ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]: حيث قال: "اختلف المفسرون في أنّ هذا الكلام هل هو مبتدأ؟ أم متعلّق بما قبله؟... القول الثالث في تفسير هذه الآية: أنّ نقول: إنها ليست كلاماً مبتدأً، بل هي متعلّقة بما قبلها؛ وذلك لأنه تعالى بيّن في الآية الأولى أنّ حقّ المراجعة ثابتٌ للزوج، ولم يذكر أنّ ذلك الحقّ ثابتٌ دائماً، أو إلى غايةٍ معيّنة، فكان ذلك كالمُجْمَلِ المفتقر إلى المبيّن، أو كالعام المفتقر إلى المخصّص، فبيّن في هذه الآية أنّ ذلك الطلاق الذي ثبت فيه للزوج حقّ الرجعة، هو أنّ يوجد طلقان فقط، وأمّا بعد الطلقتين فلا يثبت البتّة حقّ الرجعة. والألف واللام في قوله: (الطلاق) للمعهود السابق، يعني: ذلك الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة، هو أنّ يُوجَد مَرَّتَيْنِ، فهذا تفسيرٌ حسنٌ مطابقٌ لنظم الآية. والذي يدلّ على أنّ هذا التفسير أولى وجوه، الأول: أنّ قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إنّ كان لكلّ الأحوال فهو مُفْتَقِرٌ إلى المخصّص، وإن لم يكن عاماً فهو مُجْمَلٌ؛ لأنه ليس فيه بيان الشرط الذي

(١) مفاتيح الغيب: (٣/ ٢٠٠).

عنده يثبت حق الرجعة، فيكون مُفْتَقَرًا إلى البيان، فإذا جعلنا الآية الثانية متعلقةً بما قبلها، كان المخصّص حاصلًا مع العام المخصوص، أو كان البيان حاصلًا مع المجمل، وذلك أولى مِنْ أَنْ لا يكون كذلك؛ لأنّ تأخير البيان عن وقت الخطاب وإن كان جائزاً، إلا أنّ الأرجح أنّ لا يتأخر.

الحُجَّةُ الثانية: إذا جعلنا هذا الكلام مبتدأ، كان قوله: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ﴾ يقتضي حَصَرَ كُلِّ الطلاق في المَرَّتَيْنِ، وهو باطلٌ بالإجماع، لا يقال: إنه تعالى ذكر الطلقة الثالثة، وهو قوله: ﴿أَوْ تَسْرِحُ بِإِحْسَنِ﴾، فصار تقدير الآية الطلاق مَرَّتَانِ ومَرَّةً، لأنّا نقول: إنّ قوله: ﴿أَوْ تَسْرِحُ بِإِحْسَنِ﴾ متعلّق بقوله: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾ لا بقوله: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ﴾، ولأنّ لفظ التسريح بالإحسان، لا إشعار فيه بالطلاق، ولأنّا لو جعلنا التسريح هو الطلقة الثالثة، لكان قوله بعد ذلك: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٠] طلقةً رابعةً، وهو غيرُ جائزٍ^(١).

بيّن الإمام الرازي اتصال آية: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ فَمَسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحُ بِإِحْسَنِ﴾ بما قبلها في قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ التي فيها ﴿وَيَعُولُنَّ أَحَقُّ بِرَبِّهِنَّ﴾ وهذا دفعه إلى اختيار معنى مغاير لما ذكره الحنفية والإمام الشافعي - رحمه الله - حيث اقتصرت الأقوال في هذه الآية - بحسب ما نقل الإمام الرازي عنهم - على مسألة أنّ التطليق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع، وهل يجوز الجمع أم لا؟ بينما اختار الإمام الرازي أنّ المراد هنا: هو بيان حكم الرجعة، وذلك في التطليقتين الأولى والثانية، وهذا أفاد معانٍ كثيرة للآية لم تذكر في القولين الآخرين.

ثمّ ذكر أنّه على هذا الوجه الذي اختاره في التفسير يحسن اتصال المعنى بالآية الواردة بعد ذلك وهي: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٠] وإلاّ فإنّ اختيار معنى غير المختار يخلّ بمعنى الآية التالية.

ثمّ إنّ حين فسر الآية الثالثة وهي: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَكْحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠] قال:

(١) مفاتيح الغيب: (٦/١٠٣-١٠٤).

"الذين قالوا إن قوله: ﴿أَوْ تَصْرِیحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] إشارة إلى الطلقة الثالثة. قالوا: إن قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ تفسير لقوله: ﴿تَصْرِیحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ وهذا قول مجاهد، إلا أننا بينّا أن الأولي أن لا يكون المراد من قوله: ﴿تَصْرِیحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ الطلقة الثالثة؛ وذلك لأن للزوج مع المرأة بعد الطلقة الثانية أحوالاً ثلاثة، أحدها: أن يراجعها وهو المراد بقوله: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، والثاني: أن لا يراجعها، بل يتركها حتى تنقضي العدة، وتحصل البينونة، وهو المراد بقوله: ﴿أَوْ تَصْرِیحٌ بِإِحْسَنٍ﴾، والثالث: أن يطلقها طلاقاً ثالثاً، وهو المراد بقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾. فإذا كانت الأقسام ثلاثة، والله تعالى ذكر ألفاظاً ثلاثة، وَجَبَ تنزيل كل واحد من الألفاظ الثلاثة على معنى من المعاني الثلاثة، فأمّا إن جعلنا قوله: ﴿أَوْ تَصْرِیحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ عبارة عن الطلقة الثالثة، كنّا قد صرّفنا لفظين إلى معنى واحد على سبيل التكرار، وأهملنا القسم الثالث، ومعلوم أن الأول أولي"^(١).

فأعاد التنبيه على أهمية مراعاة حسن ترتيب الكلام، واستدلّ بالسياق على معنى الآية، وأكد وجه ارتباطها بما قبلها.

المطلب الثالث: النوع الثالث: الاستدلال بسياق السورة:

يستدلّ المفسّر في هذا النوع بسياق الآيات في السورة كلها، وذلك للمحافظة على اتصال المعاني وعدم انقطاعها وتنافرها.

مثال ذلك ما ذكره الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكُونًا وَتَيْمًا وَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] قال: "روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الحسن^(٢) والحسين^(٣) -رضي الله عنهما- مرضا، فعادهما

(١) مفاتيح الغيب: (١١١/٦).

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب هاشم بن عبد مناف الهاشمي، أبو محمد، سبط رسول الله ﷺ وريحته، ولد سنة ثلاث من الهجرة، قال عنه النبي ﷺ: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح بين فتنتين من المسلمين، توفي سنة تسع وأربعين ودفن بالبقيع. [الإصابة: (١/٢٣٧)].

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو عبد الله، سبط رسول الله ﷺ وريحته، ولد سنة أربع للهجرة، وقتل في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة. [الإصابة: (١/٣٣١)].

رسول الله ﷺ في أناسٍ معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي (عليه السلام) وفاطمة رضي الله عنها (٢) وفضة (٣) جارية لهما، إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفا وما معهم شيء، فاستقرض علي رضي الله عنه ثلاثة أصوعٍ من شعير، فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صائمين، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيماً، فأثروه، وجاءهم أسيرٌ في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما، ودخلوا على الرسول ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها، قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام، وقال: خذها يا محمد، هناك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة (٤). والأولون يقولون: إنه تعالى ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلق للابتلاء والامتحان، ثم بين أنه هدى الكل، وأراح عليلهم، ثم بين أنهم انقسموا إلى شاكِرٍ وإلى كافرٍ، ثم ذكر وعيد الكافر، ثم أتبعه بذكر وعد الشاكِر، فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، وهذه صيغة جمعٍ فتتناول جميع الشاكِرين والأبرار، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد؛ لأنَّ نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بياناً لحال كلِّ مَنْ كان من الأبرار

(١) علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، أبو الحسن، أول الناس إسلاماً على قول الكثيرين، أمير المؤمنين، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، ورَبِّي في حَجَرِ النَبِيِّ ﷺ، ولم يفارقه وزوجه ابنته فاطمة رضي الله عنها، شهد كل المشاهد إلا غزوة تبوك، ولما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار قال له: أنت أخي. روى عن النبي ﷺ كثيراً، بوع له بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، قُتِل سنة أربعين للهجرة. [الإصابة: (٢/ ٥٠١)]

(٢) فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله ﷺ، وهي أصغر بنات النبي ﷺ وأحَبُّهُنَّ إليه، وُلِدَتْ قبل البعثة، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة اثنتين، عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، توفيت في رمضان سنة إحدى عشرة ودفنت بالبقيع. [الإصابة: (٤/ ٣٦٥)]

(٣) فضة النوبية جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. لم يُذكر تاريخ وفاتها. [كذا في الإصابة: (٤/ ٣٧٦)].

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف": (١٨٠)، فقال: رواه الثعلبي والكلبي من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، ونقل عن الحكيم الترمذي قوله: إنه من الأحاديث التي تنكرها القلوب، وهو حديث مزوَّقٌ مفتعلٌ لا يروج إلا على أحمق جاهل، ثم قال ابن حجر: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال: وهذا لا نشك في وضعه.

والمطيعين، فلو جعلناه مختصاً بشخصٍ واحدٍ لفسد نظم السورة. والثاني: أنَّ الموصوفين بهذه الصفات المذكورون بصيغة الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾، ﴿يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ﴾ [الإنسان: ٧]، ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾ [الإنسان: ٨]، وهكذا إلى آخر الآيات. فتخصيصه بجمعٍ معيَّنٍ خلافُ الظاهر، ولا يُنكر دخول علي بن أبي طالب عليه السلام فيه، ولكنه أيضاً داخلٌ في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين، فكما أنَّه داخل فيها، فكذا غيره من أتقياء الصحابة رضي الله عنهم والتابعين داخل فيها، فحينئذٍ لا يبقى للتخصيص معنى البتة، اللهم إلا أن يقال: السورة نزلت عند صدور طاعةٍ مخصوصةٍ عنه، ولكنه قد ثبت في أصول الفقه أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " (١).

فيلاحظ أنَّ الإمام الرازي في تفسيره هذه الآية، رفض سبب نزول الآية؛ استدلالاً بما دلَّت عليه آياتُ هذه السورة من أولها إلى موضع الآية.

(١) مفاتيح الغيب: (٣٠/٢٤٣ - ٢٤٤).

المبحث الثالث:

صلة السياق بالنظم عند الإمام الرازي

وردت كلمة "النظم" في تفسير الإمام الرازي في مواضع كثيرة اقترب عدد مرات ورودها من الثلاثمئة، كثيرٌ منها يقترب من معنى السياق أو يطابقه، ومنها ما ليس كذلك بل المراد منه المعنى اللغوي للنظم. وهذا الاهتمام من قبل الإمام الرازي بالنظم، يفرض دراسته ومعرفة صلته بالسياق القرآني.

المطلب الأول: معنى النظم في اللغة والاصطلاح:

* أولاً: معنى النظم في اللغة:

النون والطاء والميم: أصلٌ يدلُّ على تأليف شيءٍ. ونَظَمْتُ الحُرَزَ نَظْماً، ونَظَمْتُ الشَّعْرَ وغيره^(١).
نَظَمْتُ الدُّرَّ ونَظَمْتُهُ، ودُرٌّ منظومٌ ومنظم، وقد انتَظَمَ وتَنَظَّمَ وتناظم، وله نَظْمٌ منه ونِظَامٌ، ومن المجاز: نَظَمُ الكلام، وهذا نَظْمٌ حَسَنٌ، وانتَظَمَ كلامه وأمره، وليس لأمره نِظامٌ؛ إذا لم تستقم طريقته^(٢).

* ثانياً: معنى النظم في الاصطلاح:

- عرّفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني -الذي اعتمد الإمام الرازي على نظريته في النظم - فقال: اعلم أن ليس النظم إلا أن تَضَعَ كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهَجَّت له فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَتْ لك، فلا تُحِلَّ بشيءٍ منها^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤٤٣/٥).

(٢) أساس البلاغة: (٢٨٤/٢).

فكلام الشيخ يدلّ على أنّ النظم هو تعليق الكلام بعضها ببعضٍ على وفق أحكام النحو.

ثمّ يؤكّد ويوضح صلة النظم بعلم النحو، فيقول: "فلست بواجدٍ شيئاً يرجع في صوابه إنّ كان صواباً، وخطؤه إنّ كان خطأً إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو من معاني النحو قد أُصيبَ به موضعه، ووضِعَ في حقه، أو عومِلَ بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وُصفَ بصحة نَظْمٍ وفساده، أو وُصفَ بمزِيَّةٍ وفضلٍ منه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزيّة، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه" (٢).

المطلب الثاني: العلاقة بين النظم والسياق:

جاء التفصيل للعلاقة بين النظم والسياق في الدراسات المعاصرة من أكثر من جهة:

١ - النظم هو الكلام على اختيار ألفاظ الآية ومواقع الألفاظ من الآية، وسبب اختيار هذه المفردة في هذا المكان من الآية.

والمراد بالسياق: هو ما دلّ عليه وضع الآية في موضعها مع غيرها من الآيات السابقة أو اللاحقة لها، أو مع الآيات في السورة (٣).

٢ - النظم هو الذي يكشف عن حُسن ارتباط المعاني بألفاظها، وهو ما يكثر عنه الحديث في بيان الوجوه البيانية، كاختلاف المعاني للألفاظ التي تُنعت بالمترادفة، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، فإذا أُطلق النظم قُصد به أوجه الاختلاف هذه، وما ينشأ عنها من نُكتٍ بيانية.

أما السياق فإنه يختلف عن النظم بهذا الاعتبار، إذ إنه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية في مساقٍ واحدٍ، ومدى انسجامها فيما بينها، بحيث تتشكّل قطعة موضوعية من الحقائق العقديّة، أو التشريعيّة، أو

(١) دلائل الإعجاز: (٨٣).

(٢) دلائل الإعجاز: (٨٣).

(٣) يُنظر: معايير القبول والرد في تفسير النص القرآني: (٧١٢).

الآفاقية والكونية، بما يحقق للإنسان درب الهداية والفلاح، ومدى ترابط المعاني وتتابعها في طريق واحد؛
لأجل الوصول إلى غاية محددة^(١).

٣- السياق فرع عن النظم أو جزء منه لأن النظم هو تأليف الكلمات وضم بعضها إلى بعض، وترتيبها على ترتيب المعاني في النفس، لا أن تكون هذه الكلمات تتابعت لتفيد معانيها السامع... والسياق يتمثل في القرائن اللفظية المحتقة بالنص المفسر، أو بتتابع الألفاظ لتحقيق غرض الكلام، وعلى كلا المعنيين يكون السياق فرعاً عن النظم؛ لأن القرائن اللفظية جزء من الكلام المنظوم، وكذلك التابع هيئة تحصل بنظم الكلام^(٢).

وهذا الوجه الأخير هو الأكثر موافقة لما جرى عليه الإمام الرازي في استخدامه لمصطلحي النظم والسياق في تفسيره.

فالسؤال صار أكثر تحديداً: وهو أنه ينبغي البحث فيما قاله الإمام الرازي فيما يخص النظم والسياق، هل استعمل أحدهما في موضع الآخر أم لا؟ هذا ما سيتضح في المطلب الآتي..

المطلب الثالث: دور النظم وصلته بالسياق في تفسير الإمام الرازي:

- يعد الإمام الرازي القرآن الكريم معجزاً بنظمه، وذلك متابعاً لرأي الشيخ عبد القاهر الجرجاني الذي تأثر به كثيراً، ويذكر ذلك في مواضع كثيرة في تفسيره، وعلى سبيل المثال قوله في معنى آية: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]: "بركته: كثرة منفعه، وغزارة علومه، وقوله: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ فالمعنى أنه لا إنكار في أنزانه، وفي عجائب ما فيه، فقد آتينا موسى وهارون التوراة، ثم هذا القرآن معجزاً

(١) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: (٨٣).

(٢) منهج أبي السعود في الترجيح: (٣٣٩).

لاشتماله على النظم العجيب، والبلاغة البديعة، واشتماله على الأدلة العقلية، وبيان الشرائع، فمثل هذا الكتاب مع كثرة منافعه، كيف يمكنكم إنكاره؟" (١).

فذكر الإمام الرازي أنّ من أسباب كون القرآن الكريم معجزاً اشتماله على النظم العجيب.

• إذا أطلق الإمام الرازي النظم فإنه يريد به النظم للآية أو السياق بحسب ما يتبين من الكلام.

مثاله "ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]:

"وقد سبق ذكر القرآن وذكر محمد ﷺ فالضمير في قوله: ﴿عَنْهُ﴾ محتمل أن يكون عائداً إلى القرآن، وأن يكون عائداً إلى محمد ﷺ، فلهذا السبب اختلف المفسرون، فقال بعضهم: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآن وتدبره والاستماع له، وقال آخرون: بل المراد ينهون عن الرسول ﷺ، واعلم أن النهي عن الرسول ﷺ محال، بل لا بُدَّ وأن يكون المراد: النهي عن فعلٍ يتعلّق به ﷺ، وهو غيرُ مذكورٍ، فلا جرم حصل فيه قولان: منهم من قال: المراد أنهم ينهون عن التصديق بنبوته والإقرار برسالته، وقال عطاء ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى قريشاً عن إيذاء النبي ﷺ ثم يتباعد عنه، ولا يتبعه على دينه. والقول الأول أشبه لوجهين، الأول: أن جميع الآيات المتقدمة على هذه الآية تقتضي ذمَّ طريقتهم، فكذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ينبغي أن يكون محمولاً على أمرٍ مذمومٍ، فلو حملناه على أن أبا طالب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم. والثاني: أنه تعالى قال بعد ذلك: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني به: ما تقدّم ذكره، ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ النهي عن أذيتهم؛ لأن ذلك حسنٌ لا يوجب الهلاك" (٢).

(١) مفاتيح الغيب: (١٧٩/٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٨٩/١٢).

فقوله: "الآيات المتقدمة" يدل على أنه لا يقصد نظم الآية الواحدة، بل يقصد المقطع الذي وردت فيه الآيات، كما أن كلام الإمام الرازي هنا يظهر منه أنه لا يتحدث عما في الآية من تقديم وتأخير، بل يتحدث عن تتابع المعاني. فهذا يدل على أنه يقصد بـ(النظم) هنا السياق.

• إذا قيّد النظم بأن قال "نظم الآية" فهذا يعني أحد ثلاثة احتمالات: أنه يقصد النظم بما يوافق المعنى الاصطلاحي المتعارف اليوم، أو أنه يقصد السياق، أو أنه يقصد ذكره مناسبة الآية لما قبلها. ولكن كونه يطلق النظم على ما يوافق اصطلاح اليوم للنظم، لا يعني أنه يفرّق بين النظم والسياق؛ ذلك لأنه يطلق السياق على النظم. وأمثلة ذلك في تفسير الإمام الرازي فاقت ثلاثين مثلاً، وهذا عرض لبعض الأمثلة الواردة في تفسير سورة الأنعام:

- من الأمثلة التي ورد فيها "نظم الآية" وهو يقصد: المعنى الاصطلاحي:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]

قال الإمام الرازي: "كفار قريش ينكرون نبوة جميع الأنبياء -عليهم السلام-، فكيف يمكن إلزام نبوة موسى عليهم؟ وأيضاً فما بعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش، وإنما يليق باليهود، وهو قوله: ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ فمن المعلوم بالضرورة أنّ هذه الأحوال لا تليق إلا باليهود، وهو قول من يقول: إنّ أول الآية خطابٌ مع الكفار وآخرها خطاب مع اليهود فاسد؛ لأنه يوجب تفكيك نظم الآية، وفساد تركيبها، وذلك لا يليق بأحسن الكلام، فضلاً عن كلام رب العالمين، فهذا تقرير الإشكال على هذا القول. وجوابه: أنّ كفار قريش واليهود والنصارى لما كانوا متشاركين في

إنكار نبوة محمد ﷺ، لم يبعد أن يكون الكلام الواحد وارداً على سبيل أن يكون بعضه خطاباً مع كفار مكة، وبقيته يكون خطاباً مع اليهود والنصارى^(١).

فيلاحظ هنا أنه استخدم لفظ "نظم الآية" وهو تأليف الكلمات وضم بعضها إلى بعض، وترتيبها.

- ومن الأمثلة التي ورد فيها لفظ نظم الآية وهو يقصد السياق:

في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] قال:

"قول جمهور المفسرين: إن الكفار يكذبون في هذا القول، قالوا: والدليل على أن الكفار قد يكذبون في القيامة وجوه، الخامس: أنه تعالى في هذه الآية حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وحمل هذا على أن المراد ما كنا مشركين في ظنوننا وعقائدنا مخالفة للظاهر، ثم حمل قوله بعد ذلك: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤] على أنهم كذبوا في الدنيا يوجب فك نظم الآية، وصرف أول الآية إلى أحوال القيامة، وصرف آخرها إلى أحوال الدنيا، وهو في غاية البعد"^(٢).

فيلاحظ في قوله: "يوجب فك نظم الآية" يعني فك ارتباط الآية وتعلقها بالآية التي قبلها والتي بعدها، فهذا يعني أنه يقصد السياق.

- ومن الأمثلة التي ورد فيها لفظ "نظم الآية" وهو يقصد المناسبة^(٣):

في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] قال الإمام الرّازي:

(١) مفاتيح الغيب: (٧٦/١٣).

(٢) مفاتيح الغيب: (١٨٤/١٢) - (١٨٥).

(٣) المناسبة: ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني. [الإنشقاق في علوم القرآن: (٣/٣٦٩)].

" اعلم أنّ في نظم الآية وجهين، الأول: أنّه تعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة والقضاء والقدر، أتبعه بالكلام في المعاد؛ لما بينّا: أنّ المطالب الكلية في القرآن ليست إلا هذه الأربعة، الثاني: أنّه تعالى لما قال في الآية المتقدمة: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥] باعثاً بذلك على المثابرة إلى التوبة والإصلاح، قال بعده: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾؛ ليتحقق في القلوب أنّ وقت الساعة مكتومٌ عن الخلق، فيصير ذلك حاملاً للمكلفين على المسارعة إلى التوبة، وأداء الواجبات " (١).

فقوله "نظم الآية" واضحٌ في أنه عن مناسبة الآية لما قبلها. وها هنا تؤدي المناسبات غرضاً هاماً وهو أنّ توضيح المفسر للمناسبة يدفع توهم الانقطاع عن آيات القرآن الكريم. فكلما احتيج إلى التوفيق بين عناصر السياق، وهي السوابق واللواحق من الآيات القرآنية، يظهر دور المفسر في استجلاء المناسبة بين ما يبدو متنافراً، وبذلك يندفع التنافر ووهم الانقطاع عن الآيات القرآنية. والله تعالى أعلم.

(١) مفاتيح الغيب: (١٥/٧٩-٨٠).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذه خاتمة البحث وفيها:

١ / نتائج البحث. ٢ / التوصيات.

نتائج البحث:

- ١ - لم تصل كثير من الكتب التي كتبها الإمام الرازي، وذكرها في كتبه إلينا.
- ٢ - فيما يخص تسمية التفسير بـ "مفاتيح الغيب": يمكن أن يُستعان بما ذكره الإمام الرازي لتفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] حيث قال: "قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ قضية عقلية محضة مجردة، فالإنسان الذي يقوى عقله على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جداً، والقرآن إنما نزل لِيَتَفَعَّ به جميع الخلق" ^(١).
- فبعد النظر في كلام الإمام الرازي يمكن أن يُقال: إن تفسير الإمام الرازي هو استخلاص للقضايا العقلية المجردة من كتاب الله تعالى، ثم إنه يبذل جهده في شرحها وتقريبها للقارئ تحقيقاً للغرض من إنزال القرآن، وهو انتفاع كل الناس. وذلك بحيث يقوم الإمام الرازي بربط القضايا العقلية بالأمثلة المحسوسة.
- مثلاً: إن ذكر المسائل الكونية في التفسير وشرحها، الغرض منه هو التوصل إلى أصول عقلية وعقدية، وهي قضايا عقلية مجردة.

(١) مفاتيح الغيب: (٩ / ١٣).

- ٣- وضع الإمام الرازي في ثنايا بحثه أصولاً تستحق العناية من قبل من كل مختص في التفسير.
- ٤- ما أثير حول التفسير من شبهات لا تقلل من شأن التفسير، بل تبقى مكانته بين التفاسير لما له من مزايا.
- ٥- أولوية تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام تجلّت في شدة الاعتناء به.
- ٦- لم يلتزم الإمام الرازي بذكر تفسير القرآن بالقرآن في كل آية.
- ٧- عدم صحّة الرأي الشائع عن التفسير أنّه مختص بعلم الكلام والفقه فقط.
- ٨- تفسير القرآن بالقرآن هو أحد الطرق الأساسية في الردّ على استدلالات الفرق المبتدعة التي اعتمدت على القرآن لتدعيم آرائها.
- ٩- تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام هو أعلى درجات الاجتهاد، وهو يخصّه بالذكّر من بين الآراء، ويتوصّل به إلى معاني لم يسبق إليها في التفسير.
- ١٠- ارتباط تفسير القرآن بالقرآن بعلم أصول الفقه بالدرجة الأولى.
- ١١- تتبّع تكرارات الآيات في القرآن طريقة من الطرق التي اعتمد عليها الإمام لتثوير معاني القرآن الكريم، وتفسير بعضه ببعض.
- ١٢- انطلاق الإمام الرازي من فكر أهل السنّة والجماعة حفظه من التناقض والانتقائية، وساعد في تفسير المتشابه بالمحكم.
- ١٣- عدّ الإمام القراءات المتواترة آيات من القرآن الكريم، ولذلك احتجّ بها في التفسير.
- ١٤- اعتمد الإمام في تفسير القرآن بالقرآن على الإعجاز اللغويّ والبيانيّ في القرآن، وعلى علوّه في الفصاحة، ممّا جعله أقوى الحجج اللغوية.
- ١٥- عبارة "القرآن الكريم كالكلمة الواحدة" قليلة الألفاظ كثيرة المعاني فقد وظّفها الإمام في تفسيره:

أ- عدم تناقض القرآن الكريم مع تعدد آياته وسوره.

- ب- أن آيات القرآن الكريم يفسر بعضها بعضاً.
- ت- أن آياته تكمل بعضها البعض فيما تفيده في الموضوع الواحد.
- ١٦- حمل دلالات الآيات بعضها على بعض مقنن عند الإمام بقواعد لا بُدَّ من مراعاتها، فليست أي آية عامّة تُفسر بأي آية خاصّة، وكذلك الأمر في المطلق والمقيّد.
- ١٧- دلائل العقل السليم القطعيّة حاكمة في التفسير عموماً، وفي تفسير القرآن بالقرآن على الخصوص؛ لأنّ هذه الدلائل هي التي تعين على تحديد المحكّم والمتشابه، ثمّ يُحمل المتشابه على المحكّم.
- ١٨- استدللّ الإمام الرازي بالقرآن الكريم لتدعيم صحّة اجتهاداته العقديّة والفقهية، واللغوية، والنحوية والبلاغيّة ولما يستنبطه من إشارات من القرآن الكريم.
- ١٩- اجتهد الإمام الرازي في الجمع بين الآيات التي يُتوهم تناقضها؛ لأنّ القرآن الكريم عنده كالكلمة الواحدة.
- ٢٠- توسّع الإمام في الاستدلال بالنظائر على اختلاف أنواعها.
- ٢١- لا يمكن الوصول إلى دقائق الفهم لآيات القرآن الكريم دون الاعتماد على ما اقترن بالآية من قرائن لفظية، ولذلك استدللّ الإمام الرازي بسياق الآيات بأنواعه.

التوصيات:

(١) البحث عن مخطوطات تفسير الإمام الرازي في مكتبات العالم وذلك لهدفين:

١/ للتوصل إلى الأقسام المفقودة من التفسير، التي قد يكون الإمام قد كتبها بنفسه.

٢/ حتى تكون صورة التفسير كاملة، وتكتمل بذلك العلوم التي أرساها الإمام فيه، مما يعطي الدارسين رؤيةً تامةً عنه.

(٢) إعادة طباعة الكتاب بإشراف لجنة من المختصين في العلوم الطبيعية، كالطبّ والفلك وعلم الأرض وغيرها... لتُحال إليهم مسائل التفسير التي تتحدّث عن الكون، فيبينوا مدى صحة هذه المسائل وواقعيتها.

(٣) دراسة تفسير القرآن بالقرآن في الكتب الأخرى، خاصّةً تلك الكتب التي صُنفت تحت مسمّى التفسير بالرأي، كتفسير أبي حيّان وتفسير أبي السعود، وتفسير الألوسي، مع المقارنة بين تلك المناهج.

(٤) دراسة حول صلة تفسير القرآن بالقرآن بعلم أصول الفقه وعلم النحو والبلاغة، وأثر هذه العلاقة على الآراء التفسيرية.

(٥) البحث عن كتب الإمام الرازي التي لم تُطبع بعد ولم يُعرف مكان وجودها.

الفهارس العلمية:

- ١ - فهرس الآيات القرآنية:
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار:
- ٣ - فهرس الأبيات الشعرية:
- ٤ - فهرس الأعلام:
- ٥ - فهرس المصطلحات العلمية:
- ٦ - فهرس الفرق:
- ٧ - فهرس الأماكن:
- ٨ - فهرس المراجع:
- ٩ - فهرس الموضوعات:

فهرس الآيات القرآنية:

لم أقتصر في هذا الفهرس على ذكر الآية وموضع ورودها في البحث، بل أضفت وظيفة هذه الآية في البحث، وذلك مناسب لموضوع الدراسة، ويسهل على القارئ الرجوع لمبتغاه، وقد رتبّت هذه الآيات بحسب ورودها في القرآن الكريم.

الآية	وظيفة الآية	رقم الصحيفة
﴿الْعَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْفَلَاحِ﴾ [الفاتحة: ٢]	شاهد	١٢٢، ١٢١، ١١٨، ٣٥، ١٣٤
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٣]	شاهد	١١٨
﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]	شاهد	١١٨
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]	شاهد	١١٨
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]	مفسرة	١٣٥
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]	مفسرة	٤١
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]	شاهد	١١٨
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]	شاهد	١١٨
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]	مفسر بها	٢٠١
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]	مفسرة	١٤٠
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]	مفسرة	٢٠٣، ١٨٠، ١٧١
﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢ - ٣]	مفسر بها	١٥٢
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]	مفسرة	١٥٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]	مفسر بها	١٦٠
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١]	مفسر بها	١٣٨
﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]	شاهد	١٧٨
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]	مفسرة	٢٢١
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَنُقُذٌ﴾ [البقرة: ١٩]	مفسرة	٢٢١
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]	مفسرة	٢٢٣
﴿وَلِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]	مفسرة	١٠٢
﴿وَيَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]	مفسرة	١٣٦

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ إِيَّاهُ إِلَّا الْفَتَقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]	مفسر بها	١٣٢
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]	مفسر بها	١٣٥
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]	مفسر بها	١٣٥
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]	مفسرة	١٤٠
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]	مفسرة	١٥٨
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَتُوسَىٰ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾ [البقرة: ٥٥]	مفسرة	١٣٦
﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]	مفسر بها	٢٠٧
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]	مفسرة	١٥٣
﴿قُلْنَا أَضْرِبُوا بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣]	مفسر بها	٢٠٦، ٢٠٤
﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١]:	مفسرة	١٦٠
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧]	مفسرة	٢٢٣
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٩٨]	مفسر بها	١٥٢
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٩٨]	مفسرة	١٨٤
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠١]	مفسرة	٢٣٩
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤]:	مفسرة	٣٩
﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]	مفسر بها	١٨٦
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]	مفسر بها	٢٢٤
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]	مفسرة	٩٩
﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]	مفسر بها	٢٢٤
﴿وَوَحَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]	مفسرة	١٠٠
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥]	مفسر بها	٢٢١
﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]	شاهد	٤١

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨]	مفسرة	١٤٠
﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]	مفسرة	١٣٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠]	مفسرة	٢١١، ١٥٤
﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]	مفسر بها	٢٠٠
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]	مفسر بها	٩١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠]	مفسرة	٢١٢
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]	مفسر بها	٩١
﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]	مفسر بها	٢٢٢، ١٣٢
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]	مفسرة	١٧٣
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]	شاهد	١٦٥، ١٦٤
﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]	مفسرة	١٠٥
﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]	مفسرة	٢٣١
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٠٢]	مفسرة	٢٠٧
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]	مفسرة	١٣٧، ٨١
﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢٠٩]	مفسر بها	١٨٢
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]	مفسرة	١٨٣، ١٨٢، ١٠٠
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]	مفسرة	٢٠٧
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢١٥]	مفسرة	٩٠
﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]	شاهد	١٥٠
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]	مفسرة	١٥٤
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]	شاهد	١٧٨، ١٥٠
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]	مفسر بها	٢٤١، ٢٤٠، ١٦٤

﴿ اَطْلُقْ مَرَّتَانٍ فَلَيْسَ كَافٍ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَشْرِيحٍ بِحَسَنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]	مفسرة	٢٤١، ٢٤٠
﴿ اَطْلُقْ مَرَّتَانٍ فَلَيْسَ كَافٍ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَشْرِيحٍ بِحَسَنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]	مفسر بها	٢٤٢
﴿ فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُلْدَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٠]:	مفسرة	٢٤٢، ٢٤١، ١٦٣
﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اَنْ يَتَرَاجَعَا اِنْ ظَنَّا اَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٠]	مفسر بها	٢٠٠
﴿ وَمَا اَنْزَلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [البقرة: ٢٣١]	شاهد	١٢٦
﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]	شاهد	٨٣
﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ اَزْوَاجًا يَرْضَوْنَ ﴾ [البقرة: ٢٣٤]	مفسرة	١٩٨، ١٥٦
﴿ اَوْ يَعْزَمُوا الَّذِي يَدْرِي عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]	شاهد	١٧٨
﴿ الَّذِي يَدْرِي عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]	مفسر بها	١٨٨
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥]	مفسر بها	٢٠٣
﴿ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]	شاهد	١٢٦
﴿ قَدْ بَيَّنَّ الرُّسُلُ مِنَ النَّبِيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]	مفسر بها	٢١٥، ٢٠٢
﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٦٢]	مفسرة	١٥٣
﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٥]	مفسرة	٢١٣، ٢٠٨
﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]	شاهد	١٢٦
﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]	مفسر بها	٢١٣
﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْتَهَارِ ﴾ [البقرة: ٢٧٤]	مفسرة	٢١٩، ١٣٤
﴿ وَاحْلَ اللَّهُ الْبَسِجَ وَحَرَّمَ الزُّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥]	مفسرة	١٥٥
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]:	مفسرة	٢٠٥
﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقِوَصَةً ﴾ [البقرة: ٢٨٣]	مفسر بها	٢٠٠
﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]	مفسرة	١٨١
﴿ هُوَ الَّذِي اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكَ ﴾ [آل عمران: ٧]	شاهد	١٨٠، ١٢٧
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]	مفسرة	١٨١، ١٢٩
﴿ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٠]	مفسرة	٢٢٠
﴿ سَهِدَ اللَّهُ اَنْهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوتُ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ [آل عمران: ١٨]	شاهد	١٢٧
﴿ فَاِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]	مفسرة	١٩٥
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨]	مفسرة	١٣٩

﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]	شاهد	١٧٨
﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ مَقَامُ الْإِزْهِيمِ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]	مفسرة	٢٢٤
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]	مفسر بها	٢٢٩
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]	مفسرة	٢٢٤، ٢٠٧
﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [آل عمران: ١١٤]	مفسرة	٢١٤
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]	مفسر بها	١٣٩
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]	مفسرة	٢٣٦
﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]	مفسرة	١٣١
﴿أُجِدْتُ لِلنَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]	مفسر بها	٢١٥، ١٦٣
﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠]	مفسرة	١٣٧
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]	مفسرة	١٩٧
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]	مفسر بها	١٢٠
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]	مفسرة	٢١٣
﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]	مفسرة	٩١
﴿يَقُولُونَ يَأْفِكُهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]	مفسر بها	٢٢٧
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]	مفسر بها	١٣٧
﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]	شاهد	٦٥
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]	مفسرة	١٧١
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]	مفسرة	١٢٤، ٩٧
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: ٢]	شاهد	١٦٥، ١٦٤
﴿وَابْتَاعُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦]	مفسرة	٢٠١، ١٦٤
﴿وَابْتَاعُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦]	مفسر بها	٢١٦
﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]	مفسرة	٨٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]	شاهد	١٦٥، ١٦٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]	مفسرة	٢٢٧
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]	مفسر بها	٨٢
﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ [النساء: ١٤]	شاهد	٨٣

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]	مفسرة	٢٠٢، ٨٤
﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]	مفسر بها	٢٠٢
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُنَظِّمَ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]	مفسر بها	١٣٢
﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٣٩]:	مفسرة	٦٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ شَيْءٌ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُ مَا فِي خَزَائِنِ السَّمَوَاتِ وَالتُّرَاثِ﴾ [النساء: ٤٠]:	مفسرة	٨١
﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣]	مفسر بها	٢١٢
﴿وَيَقْرَأُونَ ذَلِكَ لَعْنٍ لِكُلِّ كَافِرٍ﴾ [النساء: ٤٨]	مفسر بها	١٦٢
﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]	شاهد	١٢٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]	شاهد	١١٥
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]	شاهد	١٢٧
﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٩]	مفسر بها	١٣٧
﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]	شاهد	١٢٦
﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].	شاهد	٢٠٥، ١٤
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]	شاهد	١٨٠
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]	مفسرة	١٦١
﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥٥﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦]	مفسرة	٨٢
﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ [النساء: ٩٥]	شاهد	١٢٧
﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١]	مفسر بها	٢٠٠
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]	شاهد	١٢٦
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]	شاهد	١٢٤
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]	مفسر بها	٨٥
﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٥]	مفسرة	٨١
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]	شاهد	١٥٠
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]	مفسرة	٢١٢، ١٧٥
﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ [المائدة: ٣٣]	مفسر بها	١٨٥، ١٨٣
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]	شاهد	١١٢
﴿: مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمُ﴾ [المائدة: ٤١]	مفسر بها	١٤١

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]	مفسر بها	١٠١
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا [المائدة: ٤٨]	مفسرة	١٩٦
﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]	مفسر بها	١٣٩
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]	مفسرة	١٨٧
﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]	مفسر بها	١٩٧
﴿وَحَسِبُوا أَنَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]	مفسرة	٢٢٩
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]	شاهد	١٢٧
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]	مفسرة	٤١
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]	شاهد	١٢١، ٣٥
﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]	مفسرة	٢٣٨، ١٨٧، ١٨٥
﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢]	مفسر بها	١٨٦، ١٨٥
﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُلْعِمُ﴾ [الأنعام: ١٤]	مفسر بها	٢٠٥
﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]	مفسرة	٢٥٠
﴿أَنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤]	مفسر بها	٢٥١
﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٦]	مفسرة	٢٤٨
﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]	مفسرة	١٧٤، ١٧٣
﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]	مفسر بها	٢٢٧
﴿بَلْ إِيَّاهُ نَدْعُونَ فَكَيْشِفُ مَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]	مفسر بها	١٧٣
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ٥٠]	شاهد	١٢٧
﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]:	مفسرة	٢٢٦
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]	مفسر بها	٩١
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]	مفسرة	٢٥٢
﴿ثُمَّ رَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]	مفسر بها	١٠٠
﴿ثُمَّ رَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]	مفسرة	٢٠٩
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: ٦٥]:	مفسرة	٦٣

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]	مفسرة	٤١
﴿لَا أُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]	مفسر بها	٩١
﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨٠]	مفسرة	٩١
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]	شاهد	٨٠
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]	مفسر بها	١٤١
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]	مفسر بها	٩١
﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَ وَٱلتَّوْبَةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]	شاهد	١٢٦
﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰ ٱللَّهُ فِيمَهُدِّهُمُ أَفْئِدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠]	مفسر بها	١٩٦
﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]	مفسرة	٢٤٩
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]	مفسر بها	٢٢٠
﴿ذَٰلِكُمْ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٠٢]	مفسرة	٤٢
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]	مفسرة	حاشية ١١٥
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]	مفسرة	٩٨
﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٣]	مفسرة	٤٢
﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]	مفسرة	١٣٩
﴿وَكَمْ مِّن قَرَبٍ مَّا هَلَكَ نَاجَا فَجَآءَهَا بِٱسْنَانٍ بَيْنَا﴾ [الأعراف: ٤]	مفسر بها	٢٢١
﴿قَالَ مَا مَنَّكَ ٱلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]	مفسر بها	١٢٠
﴿وَوَٱدَّىٰ أَحْصَىٰ ٱلْجَنَّةَ أَصْحَبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]	مفسر بها	١٦٣
﴿خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةَ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]	مفسر بها	١٤٠
﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]	مفسرة	٣٨
﴿أَنذَرْتُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيَفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧]	مفسر بها	١٣٨
﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَوْعًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]	مفسر بها	١٣٧
﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]	مفسر بها	٢١٥
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ [الأعراف: ١٧٢]	مفسرة	٢٢٨
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّارِ ٱلْجِٰنِ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]	مفسرة	٨٤
﴿وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُمُ﴾ [الأعراف: ١٨٥]	مفسر بها	٢٥١
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُّرْسَتُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]	مفسرة	٢٥٠

١٨٨	شاهد	﴿ اَللّٰهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا اَمْرٌ لَّهُمْ اَيَّدِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]
١٦٩	مفسرة	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّاتِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]
٢٣٣	مفسر بها	﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ وَهَذِي رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]
٢٣٣	مفسرة	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]
١٢٧	شاهد	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]
١٢٧	شاهد	﴿ لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنفال: ٤]
١٧٠	مفسرة	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٢]
١٧٥	مفسر بها	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٢٨]
٨١	مفسر بها	﴿ فَتِلْكَ الْأَلْذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]
١٩٧	مفسر بها	﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [التوبة: ٣٣]
٤٣	مفسرة	﴿ إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠]
١٣٩	مفسر بها	﴿ وَالْمُؤْمِنَتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]
١٩٤	مفسر بها	﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠]
٢٥	مفسرة	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْكَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [التوبة: ١١١]
٨٢	مفسر بها	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ [التوبة: ١٢٠]
٨٢	مفسر بها	﴿ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢١]
١٧٩	شاهد	﴿ اَلرَّيَالُكَ مَا يَنْتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١]
٢٨	مفسرة	﴿ دَعُونَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس: ١٠]
٢٢٤	مفسر بها	﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]
٢٠١	مفسر بها	﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصْرِفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]
١٣٢	مفسر بها	﴿ فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ﴾ [يونس: ١٠٨]
١٧٩	شاهد	﴿ اَلرَّكْبَتِ اُحْكَمَتْ اِبْنَتُهُ ﴾ [هود: ١]
٤٣	مفسرة	﴿ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكَ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ﴾ [هود: ٣]

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمُ هُودًا قَالَ يَنْفَوِرَ اعْبُدُوا اللَّهَ [هود: ٥٠]:	مفسرة	٢٩
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]	مفسر بها	٢٣٢
﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا جِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣]	مفسرة	٢٣٢
﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]	مفسر بها	٢٠٢
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]:	مفسرة	٣٨
﴿وَالْفَيَّا سَيِّدَهَا لَدَا آلِبَابٍ﴾ [يوسف: ٢٥]	مفسر بها	٢١١
﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: ٤٢]	مفسرة	٢٩
﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]	مفسر بها	١٨٣
﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي﴾ [يوسف: ١٠١]	مفسرة	٣٠، ٢٩
﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾ [الرعد: ٨]	شاهد	١٠٥
﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا يَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]	مفسر بها	١٣٢
﴿أَمْ هَلْ سَوَّيْتُ الظُّلُمَاتُ وَالنُّورَ﴾ [الرعد: ١٦]	شاهد	١٢٧
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]	مفسر بها	٢٠٩
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [الرعد: ٢٩]	مفسرة	١٠٦
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]	شاهد	٣٦
﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]	مفسر بها	١٦٢
﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣]	شاهد	١٢٧
﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الْآلَىٰ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦]	شاهد	١٢٠
﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]	مفسرة	٣٣

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩]	شاهد	١٧٨
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]	شاهد	٤٢
﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨]	مفسر بها	٢١٣
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]	مفسرة	١٥٨
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر: ٩٧]	مفسر بها	١٣٥
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحجر: ٩٨]	مفسر بها	١٣٥
﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩]	مفسر بها	١٣٥
﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]	مفسر بها	١٣٤
﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ [النحل: ٣٠]	مفسرة	١٧٠
﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣]	مفسر بها	١٨٣
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]	مفسر بها	٢٢٨
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْتِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]	شاهد	١٤
﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ تَعَمُّقٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]	مفسر بها	٢٠٥
﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ مِنْهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسُوءِ تَقْلُوبٍ ﴾ [النحل: ٥٥]	مفسرة	٣٠
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨]	مفسر بها	٢٠٨
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُرَوِّفُكُمْ وَيُنَكِّرُكُمْ لِيُدْخِلَ أُولَئِكَ أَزْوَاجَ الْعُمَرِ ﴾ [النحل: ٧٠]	مفسرة	٣٨
﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١]:	مفسرة	٣١
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠]	شاهد	٣٦
﴿ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل: ١٠٦]	مفسر بها	١٤١
﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ ﴾ [النحل: ١٢٥]	شاهد	١٢٦
﴿ سَتَجِدُنَ الَّذِينَ أُشْرِي بِعِبَادِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١]:	مفسرة	٤٣
﴿ سَتَجِدُنَ الَّذِينَ أُشْرِي بِعِبَادِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١]:	مفسر بها	١٣٦
﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٩]	مفسر بها	٢٠٨
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦]	مفسر بها	١٣٢

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٣٤]	مفسرة	٨٥
﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٥]	مفسرة	٢١١
﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَيِّفَ بِكُمْ جَابَ الْبَرْقِ ﴾ [الإسراء: ٦٨]	شاهد	١٠٤
﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]	مفسر بها	١٩٩
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]	شاهد	١٢٦
﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [الإسراء: ١٠٧]	شاهد	١٢٨
﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ [الإسراء: ١٠٩]	شاهد	١٢٨
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [الكهف: ١]	شاهد	١٢٢
﴿ وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ [الكهف: ٣٦]	مفسر بها	١٠٠
﴿ قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ ﴾ [الكهف: ٣٧]	مفسرة	٣٤
﴿ وَخَيْرٌ عِقَابًا ﴾ [الكهف: ٤٤]	مفسر بها	٢١٢
﴿ أَلَمَّا أُلْبِنُوا أَنَّهُ حَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦]	مفسر بها	٢٢٠، ٢١٢
﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ [الكهف: ٥٢]	مفسر بها	٢٣٧
﴿ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩]	مفسر بها	١٣٥
﴿ وَأَتَيْنَهُ الْخُكُمَ صَيِّبًا ﴾ [مريم: ١٢]	شاهد	١٢٦
﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ [مريم: ٣٠]	مفسر بها	١٣٦
﴿ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢]	مفسر بها	١٩٥
﴿ وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ [مريم: ٧٦]	مفسر بها	٢١١
﴿ وَنَرِثُهُ، مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم: ٨٠]	مفسر بها	٢٢٠
﴿ الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]	شاهد	١٤
﴿ الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]	مفسرة	٣٧
﴿ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [طه: ٦]	مفسر بها	١٨٥
﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه: ١٤]	مفسر بها	١٣٦

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴾ [طه: ١٧]	مفسر بها	٢٠٤
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ [طه: ٥٣]	مفسر بها	٢٢٣
﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ﴾ [طه: ٧٥]	شاهد	١٢٧
﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَاهِدَى ﴾ [طه: ٧٩]	مفسر بها	١٣٢
﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه: ٨٤]	مفسر بها	٢١٥
﴿ وَأَضْلَعُ السَّامِرَى ﴾ [طه: ٨٥]	مفسر بها	١٣١
﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٣]	شاهد	٨٣
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [طه: ١١٢]	مفسر بها	٢١٩
﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه: ١٢١]	مفسر بها	٢٠٢
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ [الأنبياء: ١٨]	مفسر بها	١٩٩
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]	مفسر بها	١٩٧
﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]	مفسر بها	٢٤٧
﴿ لَا يَخْزِيهِمُ الْقَرْعُ الْكَثِيرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]	مفسر بها	٢١٩، ١٥٨، ١٣٤
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]	مفسر بها	٢٠٤
﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]	مفسر بها	٢٠٤
﴿ إِنَّكَ زَلْزَلَهُ السَّاعَةَ شَقٌّ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١]	شاهد	١٢٣
﴿ يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ﴾ [الحج: ٢]	شاهد	١٥٨
﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [الحج: ٥]	مفسر بها	٢١٤، ١٣٦
﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]	مفسر بها	٢٢٧
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى ﴾ [الحج: ٥٢]	شاهد	٣٢
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُثَبِّرًا ﴾ [المؤمنون: ٤٤]	مفسر بها	٢٢٣
﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَاكِرُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٨]	مفسر بها	٢٠٥
﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]	مفسر بها	١٠٠
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١]	مفسر بها	٨١
﴿ لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ ﴾ [النور: ١٣]	مفسر بها	٢٢٢
﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ [النور: ٢٧]	مفسر بها	١٩٥
﴿ وَأَنْكَحُوا الْأَيَمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢]	مفسر بها	١٧٤

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَانَكُمْ عَلَى إِلِغَاءِ إِنَّ أَرَدْنَ حَصْنًا﴾ [النور: ٣٣]	مفسر بها	٢٠٠
﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]	مفسر بها	٢٢٢
﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]	مفسر بها	١٩٨
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]	شاهد	٤٤
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَا مَنْ أَمَى اللَّهُ قَلْبَ سُلَيْمٍ﴾ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]	مفسر بها	٢٢٠
﴿فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَائِلُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤]	مفسر بها	١٣١
﴿إِذْ نَسُوبُكُمْ رَبِّ الْمَالِيْنَ﴾ [الشعراء: ٩٨]	مفسر بها	١٣١
﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]	مفسر بها	٢٢٧
﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [الشعراء: ١١٢ - ١١٣]	مفسر بها	٢٢٧
﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥]	شاهد	١٠٥
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]	مفسر بها	٢٣٤
﴿زَيْنًا لَمْ أَعْمَلْهُمْ فَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٤]	شاهد	١٣٢
﴿أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا﴾ [النمل: ٦١]	مفسر بها	٢٢٣
﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]	شاهد	١٧٣
﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ بِوَيْعٍ بِأَمْنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]	مفسر بها	٢١٩
﴿فَأَرْسَلَهُ مَعَى رِجَالٍ يَصُدُّونَ﴾ [القصص: ٣٤]	شاهد	٧
﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]	مفسر بها	١٣٢
﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤]	مفسر بها	٢٣٦
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]	مفسر بها	١٦٢
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [الْعنكبوت: ٦٧]	مفسر بها	٢٢٤
﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نُسُوتُ وَحِينَ نَقُصُّونَ﴾ [الروم: ١٧]	مفسر بها	٢٤
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]	مفسر بها	٨١
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]	شاهد	١٢٦
﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]	شاهد	٨٠
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢١]	مفسر بها	٢١١
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]	مفسر بها	٢٢٩

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]	شاهد	١٠٤
﴿ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ الَّتِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤]	شاهد	٣٧
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]	مفسر بها	١٨٥
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١]	شاهد	١٢٢
﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣]	شاهد	٣٥
﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِجُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٠]	مفسرة	٣٣
﴿ قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ يُوحَدٌ ﴾ [سبأ: ٤٦]	مفسرة	٣٦
﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْدِرُ بِالْحَقِّ ﴾ [سبأ: ٤٨]	مفسر بها	١٩٩
﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩]	مفسرة	١٩٨
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١]	شاهد	١٢٢
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠]	شاهد	١٤
﴿ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مَلْعُ أَجَاجٍ ﴾ [فاطر: ١٢]	شاهد	٣٦
﴿ إِنَّمَا يَخْتَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]	شاهد	١٢٧، ١٢٨
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [يس: ١٢]	شاهد	٣٤
﴿ إِنْ يَرِدْنا الرِّجْحَنُ يُضَيِّرْ ﴾ [يس: ٢٣]	شاهد	٣٤
﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ﴾ [يس: ٣٣]	مفسرة	٣٤
﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [يس: ٧١]	شاهد	١٧٨، ١٨٧
﴿ أَفِيكَاءَ إِلَهِةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصفات: ٨٦]	مفسر بها	٢٢٦
﴿ أَلْتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصفات: ١٢٥]	مفسرة	١٠٥
﴿ أَلْتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصفات: ١٢٥]	مفسر بها	٢٢٦
﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصفات: ١٤٧]	مفسر بها	٢٢١
﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ [ص: ٢٠]	شاهد	١٢٦
﴿ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴾ [ص: ٤٥]	مفسر بها	١٨٨
﴿ وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٨﴾ هَذَا ذِكْرُ ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٩]	مفسر بها	٢٠٤

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظُّلُمِ أَنْزَابٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ [ص: ٥٢ - ٥٣]	مفسر بها	٢٠٤
﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي﴾ [ص: ٧٥]	مفسر بها	١٨٨، ١٨٧
﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]	مفسرة	٤٤
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]	شاهد	١٢٧
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [الزمر: ٢٣]	شاهد	١٨٠
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]	مفسر بها	١٩٧
﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]	مفسر بها	٢٢٤
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٦٧]	مفسرة	٣٨
﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]	شاهد	١٧٨
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]	شاهد	١٣٦
﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩]	مفسر بها	١٣٧
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]	مفسر بها	٢٢٦
﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦]	مفسر بها	١٣٨
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ﴾ [غافر: ٢٨]	مفسرة	٣١
﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]	شاهد	٦٥
﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]	شاهد	١٧٣
﴿قُلُوبَنَا فِي أَكْثَرِ مَا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آدَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥]	مفسر بها	٢٣٥
﴿قُلْ أَتُكْفِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيَالٍ﴾ [فصلت: ٩ - ١٠]	مفسر بها	١٤٠
﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ۖ بَالِيَا ۖ إِنِّي بِطَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]	مفسر بها	٢٢٨
﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَيَهْدِيهِمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]	مفسر بها	١٣٢
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَرَ الْأَرْضَ خَشَعَةً﴾ [فصلت: ٣٩]	مفسرة	٣٥
﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]	مفسر بها	١٣٩
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٤٤]	مفسرة	٢٣٥
﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ [فصلت: ٥٠]	مفسر بها	١٠٠

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]	شاهد	٢٤، ١٤
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]	مفسر بها	١٩٦
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]	مفسر بها	١٧٣
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]	مفسرة	١٧٢
﴿وَمَا كَانَ لِيَثَرَّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]	مفسرة	٣٢
﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٥٣]	مفسر بها	١٠١
﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَلْأَفْسُ وَكَذَلِكَ الْأَعْرَابُ﴾ [الزخرف: ٧١]	شاهد	١٠٤
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]	مفسر بها	١٨٦
﴿وَلَنْ لَّ تَقُومُوا إِلَى فَعْنٍ يُرُونَ﴾ [الدخان: ٢١]	مفسرة	٣٢
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]	شاهد	١١١
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]	مفسر بها	٢٠٩
﴿وَحَمَلُهُ، وَفَصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]	شاهد	٨٣
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [محمد: ٢٢]	مفسر بها	١٣٨
﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨]	شاهد	١٤
﴿يُدْأَى اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]	مفسر بها	١٨٧
﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الفتح: ١١]	مفسرة	٣٤
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]	شاهد	٤٤
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]	مفسر بها	١٣٢
﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]	مفسر بها	١٤١
﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]	مفسر بها	١٤١
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [ق: ٦]	شاهد	٦٥
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]	مفسر بها	١٨٦
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]	مفسر بها	٢٠٤
﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]	مفسرة	١٩٥
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣]	مفسرة	٣٤
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]	شاهد	٦٥
﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]	مفسرة	٣٤
﴿مَا حَسَلَ صَاجِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]	مفسرة	٢١٥

عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ [النجم: ١٤ - ١٥]	شاهد	حاشية ١٦٣
﴿الْأَنْزِلُ وَأَزِدْهُ وَزْرًا غَيْرِي﴾ [النجم: ٣٨]	مفسرة	٣٦
﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤]	مفسر بها	٢٠٦
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ نَزَغَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر: ١٩ - ٢٠]	مفسرة	٢٠٥
﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣]	مفسرة	٣٥
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]	شاهد	٣٦
﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]	شاهد	١٧٨
﴿فَيُؤَيِّدُ لَا يُشَلُّ عَنْ دَنِيَّةٍ إِشْشَ وَلَا جَبَانٌ﴾ [الرحمن: ٣٩]	شاهد	١٥٨
﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسَمَتِهِمْ فَيُؤَخِّدُ بِالْوَيْصِ وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]	مفسر بها	٢٢٤
﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]	مفسرة	٣٥
﴿يَا كُؤَابِ وَأَبَارِقَ وَكُلَّيْنِ مِنْ مَعِينِ﴾ [الواقعة: ١٨]	مفسرة	٣٤
﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِ أَلْكُؤُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]	مفسرة	٢٤
﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]	مفسرة	٢٥
﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]	مفسر بها	١٩٦
﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]	شاهد	١٣٦
﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَقُونَ﴾ [الواقعة: ٦٧]	شاهد	١٣٦
﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠]	مفسرة	٣٦
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّحْدِيدَ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]	مفسر بها	٢٢٦
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]	مفسرة	٢٢٦
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]	مفسرة	٤٤
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]	مفسر بها	١٨٦
﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٠]	مفسرة	١٩٤
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]	مفسرة	١٦٢

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]	مفسر بها	١٢٠
﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هِيَ أَقْبَهُتُمْ﴾ [المجادلة: ٢]	مفسرة	٣٦
﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [المجادلة: ١١]	شاهد	١٢٧
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]	مفسر بها	١٣٩، ١٤١،
﴿لَا تَنْجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ﴾ [المنافقة: ١]	مفسر بها	١٣٩
﴿وَأُولَئِذْ الْأَحْزَالُ أَجْهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]	شاهد	١٥٠، ١٥٦
﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْنِي عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَيْحَا﴾ [الطلاق: ٨]	مفسر بها	٢٠٧
﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذُّنْبَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [الملك: ٥]	شاهد	٣٣
﴿كَلَّمَا أَلْفِي فِيهَا فَوَجَّ سَأَلَهُمْ خَزَنَتَاهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]	مفسر بها	١٣١
﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفُّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٢١) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٦ - ١٧]	شاهد	١٠٥
﴿ن﴾ [القلم: ١]	مفسرة	٣٥
﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]	شاهد	١٢٠
﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ [الحاقة: ٧]	مفسر بها	٢٠٦
﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرْوَدُونَ حَفِظُونِ﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا عَلَى أَرْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المعارج: ٢٩ - ٣٠]	مفسر بها	٢٠٣
﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾ [الجن: ٢٣]	مفسرة	١٥٩
﴿فَكَيْفَ تَنْفِقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [الزمل: ١٧]	مفسر بها	٢٠٥
﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١]	مفسرة	١٢٠
﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ﴾ [القيامة: ١٨]	شاهد	٧٥
﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ فَاصْرُخْ﴾ (٢٣) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٤) ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَةِ رَبِّهَا فَاصْرُخْ﴾ (٢٥) ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٦) [القيامة: ٢٢ - ٢٥]	مفسر بها	٢٢٤
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]	مفسر بها	٢٤٣
﴿عَبَا يَسْرِبْهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]	شاهد	٤٤
﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ نَجَّاهُمْ﴾ [الإنسان: ٧]	مفسر بها	٢٤٣
﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَى حُبٍّ مَشْكِيانًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]	مفسرة	٢٤٢
﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكَ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا تَرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]	مفسر بها	٢٠٩

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٣]	مفسرة	١٢٥
﴿ وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ يَوْمًا أَوْ كَثُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٤]	مفسر بها	٢٢١
﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٦]:	مفسرة	٣٥
﴿ فَآخِذْهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ [النازعات: ٢٥ - ٢٦]	مفسر بها	٢٠٤
﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٥]	مفسر بها	١٩٨
﴿ وَجُودٌ يُؤْمِرُ مُسِيرَةً ﴾ (٢٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْفَعُهَا قَنَرَةٌ ﴿٤١﴾ [عبس: ٣٨ - ٤١]	مفسر بها	٢٢٤
﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤]	مفسر بها	٢٢٤
﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ [سورة الأعلى: ٩]	مفسرة	١٩٩
﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥]	مفسر بها	١٠١
﴿ وَجَاءَ رُبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]	مفسر بها	١٨٣
﴿ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴾ (٥) وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ [الشمس: ٥ - ٧]	مفسر بها	١٨٦
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٩ - ٢١]	مفسر بها	٢٠٩
﴿ لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ الْمَشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ ﴾ [البينة: ١]	مفسرة	٣٠
﴿ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ٤]	مفسرة	٣٠
﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨]	مفسر بها	٢١٣
﴿ الَّذِينَ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤]	مفسر بها	٢٢٤
﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣]	مفسر بها	١٨٦
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ [الكافرون: ٦]	مفسر بها	١٦٠
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]	شاهد	١٤

فهرس الأحاديث والآثار:

أول الحديث أو الأثر	نوعه	الصحيفة
"إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين والآخرين"	أثر	٨١
أن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ	حديث	٢٤٢
(أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية...	حديث	١٥٧
(إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس)	حديث	٢٣
أن النبي ﷺ بعث جمعاً من خيار أصحابه	أثر	٢٣٦
(رب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية)	حديث	٤٤
(رحمة الله سابقة على غضبه وغالبة عليه)	حديث	١٦١
(سقفها عرش الرحمن)	حديث	١٦٣
(العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن)	حديث	٢١٤
(لا تحلفوا بأبائكم)	حديث	٩٧
(لا تسبوا أصحابي)	حديث	١٩٤
"لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا: ...	حديث	٨٠
(ما سلك عمرُ فجاً إلا وسلك الشيطان فجاً آخر)	حديث	٣٢
(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)	حديث	٤٣
(من رأي في المنام فقد رأي فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي)	حديث	٣٢
"من نساء أهل الكتاب من يحلُّ لنا، ومنهم من لا يحلُّ لنا"	أثر	٨١

فهرس الأبيات الشعرية:

الترتيب حسب حرف الروي:

طرف البيت	حرف الروي	الشاعر	الصحيفة
المرء ما دام حيّاً يستهان به	الدال	الإمام الرازي	١٤
لا وأبيك ابنة العامري	الراء	امرء القيس	١٢٠
يا ابن الكرام المطعمين إذا شتّوا	الفاء	ابن عُنين	١٣
نهاية إقدام العقول عقلاً	اللام	الإمام الرازي	١٤
ماتتْ بهِ بِدَعْ تَمادى عُمُرُها	اللام	ابن عُنين	١٥
فيا حسنّها إذ يغسل الدمعُ كُحْلَهَا	اللام	جميل بن معمر	١٧٦
فلو كانت الأقدارُ منقادَةً لنا	الميم	الإمام الرازي	٤٠
وكلُّ نصٍّ أوهم التشبيها	الهاء	اللقاني	٥٧

فهرس الأعلام:

اسم العلم	صفحة ورود الاسم في البحث
الآلوسي	٧٥
أرسطاليس	١٥
الأرموي	٥
الأشعري	٧
الأصفهاني: إبراهيم بن أبي بكر	٦
الأصفهاني: أبو مسلم	٥٠
الأصمّ: أبو بكر	١٧٥، ٥٠
أبو القاسم الأنصاري	٤٣، ٤٢
الباقلاني	٤٩
الحسن البصري	٥٤
البغوي	٣
بطليموس	١٦
أبو بكر بن عياش	٩٩
الترمذي: الحكيم	٥١
محمد بن تكش	٦
الثعلبي	٥٥
الجبائي	٥٠، ١٥
الجرجاني: عبد القاهر	٢٤٧، ٢٤٥، ١١٤، ٥٠
جميل بن معمر	حاشية: ١٧٦
الجويني	١١٠
الجيلي "المجد الجيلي"	٣
حسان بن ثابت	١٠٣
الحسن بن علي رضي الله عنه	٢٤٢

اسم العلم	صفحة ورود الاسم في البحث
الحسين بن علي رضي الله عنه	٢٤٢
حمزة بن حبيب الزيات	١٠١، ٩٧
أبو حنيفة	٢٠٣
شمس الدين الخسروشاهي	٥
الخطابي	٥١
شمس الدين الخوي	٤٦، ٤٥، ٢٧، ٢٣، ٢١، ٥
ابن دقيق العيد	١١٢
الذهبي	١٢، ٤
الإمام الرازي	١
الرازي الحنفي: أبو بكر	١٦٥، ١٦٤، ٥١
الزجاج	٩٧، ٥٢
الزركشي	٢١٨، ١١١، ٨٢، ٧٥
الزخشري	٤٩، ٤٨
السبكي	١١٢، ١٢، ٩
سُبَيْعَةُ الأَسْلَمِيَّة رضي الله عنها	١٥٧
السُّدِّي	٥٤
سعد بن خولة رضي الله عنه	١٥٧
سعيد بن جبير	٥٥
سفيان بن عُيَيْنَةَ	٧٥
الكمال السمناني	٤
السيوطي	٢١٧
الإمام الشافعي	١٥١، ١٠٩، ١٩، ٩ ٢٤١، ٢٣١، ١٥٣،
صفوان بن أمية	١١٢
صلاح الدين الأيوبي	٣٩، ٢٣

اسم العلم	صفحة ورود الاسم في البحث
ضياء الدين عمر والد الإمام الرازي	٤٢، ٤١، ٢٣، ٣
الطبري	٥٥، ٥٠
القاضي عبد الجبار	١٧٠، ٤٩
ابن عاشور	٩٣، ٧٦
أبو العالية	٥٥
ابن عامر	١٠١، ١٠٠، ٩٩
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٨٢
عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان	٢٧
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه	٢٦
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	٨١، ٥٤
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٨١، ٨٠
ابن العربي	٥١
العز بن عبد السلام	١١١
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٢٤٣
عمرو بن عبيد	٦٣
أبي عمرو بن العلاء	٦٣
ابن عُنَيْن	١٥، ١٢، ٦
الغزالي	١١٩، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٢٣
الغوري: شهاب الدين	٣٢، ١٣، ٦
فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٤٣
الفراء	٥٢
قتادة	٥٤
القرطبي	٢٧، ٢٦، ٢٥
القرظي	٥٥، ٢٧، ٢٦
القطب المصري	٥

اسم العلم	صفحة ورود الاسم في البحث
القفال	٤٩
القموي	٤٦،٤٥،٢١
ابن كثير	٩٩
الكسائي	١٠١
زين الدين الكشي	٥
الكعبي	٥٠
لبيد بن ربيعة	١٠٣
المبرد	٥١
مجاهد	٩٧،٨١،٥٤
المعلمي البيهقي	٤٥،٢٢
نافع المدني	١٠٠
نجم الدين كبرى	٤
النسفي	٦٠
الواحدي:	٥٠
أبو الحسين اليونيني	٤

فهرس المصطلحات العلمیة:

المصطلح:	صفحة ورود المصطلح في البحث
الاستدلال	١٩٢
أسلوب القرآن الكريم	٢٢٥
اسم العدد	١٦٧
أكلوني البراغيث	٢٢٩
الالتزام	١٧٤
أصول الفقه	٩٣
التخصيص	١٥٠، ١٤٩
التضمن	١٧٤
التفسير	٧٦
التفسير الإشاري	٥٨
التفسير بالرأي	٨٧
التفسير بالمأثور	٨٧
الجوهر الفرد	٤١
الحمل	١٤٦
حمل العام على الخاص	١٥٠
حمل المطلق على المقيد	١٦٨، ١٦٩
خلق الأفعال	٨٤
الدلالة	١٤٦
الدليل	١٩٢
الدليل اللفظي	١١٤
الدليل المتصل	١٥٠
الدليل المنفصل	١٥٠
السياق	١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢

المصطلح:	صفحة ورود المصطلح في البحث
	٢٤٧، ٢٤٦، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠
الصفات السلبية	٩٠
عادة القرآن	٩٠
العالم	١٥٠، ١٤٩، ١٤٨
فحوى الخطاب	٩٤
فرش الحروف	٥٥
الفتيلة	٥٤
القرآن	٧٧
القراءات	٩٦
القراءة الشاذة	٥٥
القرينة المقالية	١١١
المتشابه	١٧٩، ١٧٨، ١٧٧
المتواطئ	٢١٨
المجاز المرسل	٢٠٧
المحكم	١٧٩، ١٧٨، ١٧٧
المطابقة	١٧٤
المطلق	١٦٧، ١٦٦
مفهوم المخالفة	٩٤
المقطع القرآني	٢٤٠
المقيد	١٦٧، ١٦٦
المناسبة	٢٥٠
الموضوع	١١٧
النظائر	٢١٨، ٢١٧
النظم	٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥
الوحدة	١١٦

المصطلح:	صفحة ورود المصطلح في البحث
وحدة الموضوع القرآني	١٢٥، ١١٨
الوحدة الموضوعية في القرآن	١٢٣، ١١٨، ١١٧
الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية	١١٨

فهرس الفرق:

اسم الفرقة	صفحة ورود الاسم في البحث
الحشوية	٦٣
الكرامية	٦
المجبرة	.٤٤،١٣١
المعتزلة	١٦١،١٦٠،١٥٩،٦٠،٣٢ ١٦٣،١٦٢
الوعيدية	٦٠

فهرس الأماكن:

اسم المكان	صفحة ورود الاسم في البحث
أفغانستان	١٦
إيران	١٦
بلاد الترك	٢٩
حلب	٢٧
خراسان	٦
خوارزم	٦
دمشق	٢٧
الري	٦،٢
طبرستان	٢
عُزْنَة	٣٤
مراغة	٣
هراة	١٥،٦،٢
بلاد الهند	٢٩

فهرس المراجع والمصادر:

تمّ ترتيب هذه المراجع بحسب اسم الكتاب، وإذا لم يكن للكتاب رقم للطبعة يُرمز له هكذا: (د. ط)، وإذا لم يكن للطبعة تاريخ يُرمز له هكذا: (د. ت).

- ١- أبجد العلوم: صدّيق بن حسن القنّوجي، منشورات دار الثقافة، دمشق، ١٩٧٨م.
- ٢- الإيهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ٣- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، مؤسسة التاريخ العربي، د. ط.، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٤- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدميّاطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.
- ٥- إتيقان البرهان في علوم القرآن: د. فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، ط٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م.
- ٦- الإتيقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- ٧- آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المَعْلَميّ اليَماني: اعتنى به: علي العمران ومجموعة من الباحثين، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٤هـ.
- ٨- أثر السياق في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة: محمد عبد الله الربيعة، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة محمد بن سعود بالرياض.
- ٩- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة، الطبعة: ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ١٠- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ١١- أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥.
- ١٢- إحياء علوم الدين: حُجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي (٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط. ت.

- ١٣- الأربعين في أصول الدين: الإمام محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٤- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٥- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، جار الله (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ١٦- أساس التقديس: الإمام محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ١٧- الاستنباط عند الإمام الفخر الرازي من خلال تفسيره "مفاتيح الغيب" دراسة نظرية تطبيقية: عبد الله معايل القحطاني، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠١٤م.
- ١٨- الأشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق أحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- ١٩- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر (٨٥٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط. ت.
- ٢٠- أصول السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط. ت.
- ٢١- أصول اللغة، من أعمال لجنة أصول اللغة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف: مجموعة من الباحثين، ١٩٥٠م.
- ٢٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط. ، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٨م.
- ٢٣- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ٢٤- الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته: د. طه جابر العلواني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- ٢٥- إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري: د. عبد القادر الحسين، دار المشرق، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- ٢٦- الإمام في بيان أدلة الأحكام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.

- ٢٧- أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم: حمد السنان، فوزي العنجري، دار الضياء للنشر والتوزيع، د. ط. ت.
- ٢٨- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- ٢٩- البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) دار الكتب، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٣٠- البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، راجعه: عبد القادر العاني، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ٣١- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د. ط. ١٤٢٠هـ.
- ٣٢- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، د. ط. ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦م.
- ٣٣- البرهان في أصول الفقه: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: د. عبد العظيم الديب، توزيع دار الأنصار، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ٣٤- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م.
- ٣٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د. ط. ت.
- ٣٦- تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي: حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ٣٧- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالْأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٣٨- التاريخ الإسلامي: محمود شاكر، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- ٣٩- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٣، ١٤٠٤ .

- ٤٠- تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة: د. محمد عمر با زمّول، جامعة أم القرى، د. ط. ت.
- ٤١- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط.، ١٩٨٤م.
- ٤٢- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني، دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت.
- ٤٣- الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول، د. محمد أبو زيد. بحث في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد ٣ + ٤، المجلد ٢٨، سنة ٢٠١٢م.
- ٤٤- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ٤٥- تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية: د. أحمد البريدي، دراسة تأصيلية، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد (٢) ذو الحجة عام ١٤٢٧هـ.
- ٤٦- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ٤٧- التناسب في تفسير الإمام الرازي: دراسة في الاقتران: منال مبطي المسعودي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، د. ت.
- ٤٨- تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت.
- ٤٩- التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ٥٠- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- ٥١- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- ٥٢- جواهر القرآن: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ)، د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ٥٣- الجواهر المضئية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانة، كراتشي، باكستان، د. ط. ت.

- ٥٤- الحاوي للفتاوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٥٥- حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على متن جمع الجوامع للسبكي: عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- ٥٦- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على متن جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، د. ط. ت.
- ٥٧- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها وملحات من تأثيرها في سائر الأمم: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- ٥٨- خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، حلب، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ٥٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
- ٦٠- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط. ت.
- ٦١- دلائل النظام: عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، د. ط.، ١٣٨٨هـ.
- ٦٢- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي: أحمد لافي بطي المحييه المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، سنة ٢٠٠٧م.
- ٦٣- دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى ؑ، فهد بن شتوي الشتوي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة ٢٠٠٥م.
- ٦٤- ديوان جميل بثينة "جميل بن معمر": دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د. ط. ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٦٥- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "تاريخ ابن خلدون": عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ٦٦- الرازي مفسراً: د. محسن عبد الحميد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- ٦٧- ردّ المحتار على الدرّ المختار: محمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

- ٦٨- الرسالة: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت.
- ٦٩- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار عالم الكتب، لبنان، بيروت، ١٩٩٩ م، ١٤١٩ هـ.
- ٧٠- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.
- ٧١- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجستاني (٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط. ت.
- ٧٢- سنن النسائي الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.
- ٧٣- السياق في كتب التفسير الكشاف وابن كثير نموذجاً: محمد المهدي حمادي الرفاعي، إشراف: د مصطفى عثمان، رسالة ماجستير، جامعة حلب.
- ٧٤- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: المثني عبد الفاتح محمود، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، إشراف: د. فضل حسن عباس، سنة ٢٠٠٥ م.
- ٧٥- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايَاز الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- ٧٦- شبهات حول تفسير الرازي: د. عيادة بن أيوب الكبيسي، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد ١٦، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٧٧- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سائر مخلوف (١٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
- ٧٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.
- ٧٩- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.
- ٨٠- شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة: عبد الكريم تتان، ومحمد أديب الكيلاني، دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٩٩٤ م.

- ٨١- شرح طيبة النشر في القراءات: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٨٢- شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١ هـ)، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٦، ١٤٢١ هـ.
- ٨٣- شرح العلامة الأخضري على السلم: عبد الرحمن بن محمد الأخضري، دار الفرفور للطباعة، دمشق، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- ٨٤- شرح المقاصد: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٧٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
- ٨٥- "الصحيح" تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٩٩٠ م.
- ٨٦- صحيح البخاري "الجامع الصحيح": محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
- ٨٧- صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، طباعة بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٨٨- طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ٨٩- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
- ٩٠- طبقات الشافعيين: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.
- ٩١- طبقات المعتزلة "فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومبايئتهم لسائر المخالفين: القاضي عبد الجبار بن أحمد (٤١٥هـ)، الدار التونسية للنشر، د. ط. ت.
- ٩٢- طبقات المفسرين الأدنه وي: أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
- ٩٣- طبقات المفسرين: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت.
- ٩٤- طبقات المفسرين: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة، مصر، ط ١، ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦ م.

- ٩٥- العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى، وامرؤ القيس: لم يذكر اسم المؤلف، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م.
- ٩٦- علوم القرآن: د. نور الدين عتر، مطبعة جامعة دمشق، ط ٤، ٢٠٠٨م.
- ٩٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: المؤلف: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ)، تحقيق: د. نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د. ط. ت.
- ٩٨- غاية الوصول في شرح لب الأصول: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (٩٢٦هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، مصر مصطفى البابي الحلبي وأخويه، د. ط. ت.
- ٩٩- غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر: أحمد بن محمد الحنفى الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ١٠٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار علمائها: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط. ت.
- ١٠١- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- ١٠٢- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٧٣ و ١٩٧٤م.
- ١٠٣- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ١٠٤- قواعد الترجيح عند المفسرين: د. حسين علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- ١٠٥- قواعد الترجيح المتعلق بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي: عبد الله بن عبد الرحمن الرومي، دار التدمرية، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- ١٠٦- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ملحق بتفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، د. ط. ت.
- ١٠٧- الكتاب "كتاب سيبويه": أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- ١٠٨ - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري (٧٣٠هـ): تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- ١٠٩ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- ١١٠ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١١٦٢هـ)، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ١١١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٤١م.
- ١١٢ - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د. ط. ت.
- ١١٣ - لسان العرب: ابن منظور: دار المعارف، القاهرة، د. ط. ت.
- ١١٤ - لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ.
- ١١٥ - المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي دراسة بلاغية تفصيلية، د. أحمد هندواي هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- ١١٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ١١٧ - مجموع رسائل عبد الرحمن المعلمي البياني: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي البياني المكّي، أعدها للنشر: ماجد عبد العزيز الزيايدي، المكتبة المكيّة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- ١١٨ - المحصول في علم أصول الفقه: الإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ١١٩ - المدخل إلى أصول التفسير: د. أسامة السيد الأزهرّي، شركة الوابل الصيّب للإنتاج والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م.
- ١٢٠ - المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ١٢١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، د. ط. ت.

- ١٢٢ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: الحافظ أحمد بن حجر بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت، د.ط.ت.
- ١٢٣ - المطالب العالية من العلم الإلهي: الإمام محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ١٢٤ - معايير القبول والرد في تفسير النص القرآني: د. عبد القادر الحسين، دار الغوثاني، دمشق، ٢٠١٢م، ١٤٣٤هـ.
- ١٢٥ - معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب": شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ١٢٦ - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط. ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ١٢٧ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ١٢٨ - مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- ١٢٩ - مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ١٣٠ - الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ١٣١ - المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الرازي: عبد الله بن مقبل بن ظافر اليماني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤١٣هـ.
- ١٣٢ - مناقب الإمام الشافعي: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ١٣٣ - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، د.ت.
- ١٣٤ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

- ١٣٥ - المنحول من تعليقات الأصول: حُجّة الإسلام محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ١٣٦ - منهج أبي السعود في الترجيح في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: عجاج برغش: رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة دمشق.
- ١٣٧ - منهج الرازي في الردّ على النصاري: سميحة الواحدي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة في الجزائر، سنة ٢٠١٠م.
- ١٣٨ - الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ١٣٩ - المواقف في علم الكلام: عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار عالم الكتب، د. ط. ت.
- ١٤٠ - الموسوعة العربية الميسرة: إعداد مجموعة من الباحثين، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م، ١٤٣١هـ.
- ١٤١ - موسوعة المدن العربية والإسلامية: يحيى الشامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ١٤٢ - موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي: د. سميح دُغيم، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٤٣ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م.
- ١٤٤ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ١٤٥ - نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، (١٠٦٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- ١٤٦ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- ١٤٧ - نهاية السؤل شرح منهاج الوصول: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (٧٧٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ١٤٨ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العبدُوس (١٠٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

- ١٤٩ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- ١٥٠ - الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- ١٥١ - الوحدة البنائية للقرآن المجيد: طه جابر العلواني، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- ١٥٢ - الوحدة القرآنية: دراسة تحليلية مقارنة: د. محمد بن محمود خوجة، دار كنوز اشبيليا، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٥٣ - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة. د. ط. ت.
- ١٥٤ - وفيات الأعيان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط. ت.
- المراجع الأجنبية:

١. THE TELEOLOGICAL ETHICS OF FAKHR AIDIN ALRAZI. : AYMAN SHIHADDEH ,BRILL. BOSTON, USA.

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصحيفة
المقدمة	
الإهداء:	ب
شكر وتقدير:	ت
المقدمة:	ث
أهمية البحث	ج
سبب اختيار البحث	ج
أهداف البحث	ج
منهج البحث	ح
منهج الكتابة في البحث	ح
الدراسات السابقة	د
خطة البحث	ر
الفصل التمهيدي	
حياة الإمام الرازي.	٢
مكانة الإمام الرازي العلمية:	٩

١٦	حالة العصر السياسية والعلمية:
١٩	تأليف الإمام الرازي للتفسير:
٤٩	عرض موجز لمنهج الإمام الرازي في تفسيره.
٥٩	شبهات حول التفسير:
الفصل الأول:	
٧٤	تعريف المفردات
٧٥	المعنى الاصطلاحي للمفردات:
٧٨	معنى تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الرازي:
٨٠	أدلة حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:
٨٣	أقوال الإمام الرازي في حُجِّيَّة تفسير القرآن بالقرآن:
٨٧	هل تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور أو بالاجتهاد
٩٠	الأساس الأول: الاستفادة القصوى من آيات القرآن الكريم.
٩٣	الأساس الثاني: الاستناد إلى علم أصول الفقه في التعامل مع دلالات الآيات.
٩٦	الأساس الثالث: حُجِّيَّة القراءات المتواترة في تفسير القرآن بالقرآن
١٠٢	الأساس الرابع: الاعتماد على لغة القرآن الكريم البالغة أعلى درجات الفصاحة.
١٠٧	الأساس الخامس: الاستدلال بالسياق القرآني.
١١٦	الأساس السادس: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

١٢٩	الأساس السابع: الاعتماد على أصول مدرسة أهل السنة والجماعة في التفسير التي ترى القرآن الكريم سطوراً واحداً لا تتعارض آياته:
١٣٣	أنواع تفسير القرآن بالقرآن
١٣٤	ألفاظ تفسير القرآن بالقرآن
الفصل الثاني	
١٤٦	تمهيد
١٤٨	التعريف بالعام والخاص، وما يتعلق بالتخصيص في تفسير القرآن بالقرآن:
١٥٨	الأمثلة التطبيقية على حمل العام على الخاص في تفسير الإمام الرازي:
١٦٦	المقصود بحمل المطلق على المقيّد، وصلته بتفسير القرآن بالقرآن:
١٧٣	الأمثلة التطبيقية على حمل المطلق على المقيّد في تفسير الإمام الرازي:
١٧٧	المقصود بحمل التشابه على المحكم، وصلته بتفسير القرآن بالقرآن:
١٨٢	الأمثلة التطبيقية على حمل التشابه على المحكم في تفسير الإمام الرازي
الفصل الثالث	
١٩٢	تمهيد
١٩٤	دور الاستدلال بالقرآن الكريم في التفسير بالرأي عند الإمام الرازي:
٢٠١	صور من الاستدلال بالقرآن الكريم في التفسير بالرأي في تفسير الإمام الرازي:
٢١١	تفسير المفردات القرآنية بالقرآن الكريم:

٢١٧	الاستدلال بالنظائر القرآنية
٢٣١	وظائف السياق في تفسير الإمام الرازي
٢٣٩	أنواع السياق القرآني
٢٤٥	صلة السياق بالنظم عند الإمام الرازي
٢٥٢	الخاتمة
٢٥٧	فهرس الآيات القرآنية
٢٧٧	فهرس الأحاديث النبوية
٢٧٨	فهرس الأشعار
٢٧٩	فهرس الأعلام
٢٨٣	فهرس المصطلحات العلمية
٢٨٦	فهرس الفرق
٢٨٧	فهرس الأماكن
٢٩١	فهرس المصادر والمراجع
٣٠٠	فهرس الموضوعات